



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم: التاريخ

**الدور الاستعماري لـ كزافيي كبولاني
(Xavier Coppolani) في الجزائر وموريتانيا
1866-1905م**

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (لم د) في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر.

إشراف الأستاذ:

د. معمر العايب

إعداد الطالب:

صابر نورالدين

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	تلمسان	رئيسا
د معمر العايب	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	مشرفا و مقرا
د. الطاهر جبلي	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د بوعزة بوضرساية	أستاذ التعليم العالي	الجزائر	عضوا مناقشا
أ.د محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.ة رحمونة بليل	أستاذة محاضرة (أ)	معسكر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م

شكر و تقدير

أقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف للأستاذ الدكتور " معمر العايب " ، الذي تحمل معي

مشقة وتعب إتمام هذا العمل في أحسن صورة ممكنة، وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ

بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان .

كما أقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذا البحث المتواضع

بصدر رحب .

كما أشكر عمال المكتبات ودور الأرشيف التي زرتها أثناء قيامي بالبحث .

وإلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا

العمل المتواضع .

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها .

إلى روح والدي الحبيب رحمه الله وأدعوه تعالى أن يسكنه فسيح جناته .

إلى من رافقتني دعواتها طول حياتي إلى جدتي رحمها الله وأسكنها

فسيح جناته .

إلى زوجتي التي كانت عوناً وسنداً وحملت معي عناء هذه السنوات .

إلى أبنائي: هديل، عيبر، أحمد، سرين، وكل أفراد عائلة صابر الكريمة .

إلى كل زملائي الأساتذة وطلبي بقسم التاريخ بجامعة أبي بكر بلقايد -

تلمسان .

إلى كل الأهل والأحباب في كل مكان .

قائمة المختصرات:

الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

ش.و.ن.ت

ديوان المطبوعات الجامعية

د.م.ج

جزء

ج

طبعة

ط

عدد

ع

دون بلد نشر

د ب ن

دون تاريخ نشر

د ت

صفحة

ص

من الصفحة إلى الصفحة

ص ص

ترجمة

تر

تحقيق

تح

تعريب

تع

تقديم

تق

Liste des Abréviation :

A.N.O.M	Archives Nationales d'Outre mer
A.O.F	Afrique occidental Française
C.M	Commune Mixte
G.G.A	Gouverneur Général de l'Algérie
R.A	Revue Africaine
R.H	Revue de l'histoire
R.I	Revue indigène
Rap	Rapport
ED	Edition
Imp	Imprimerie
S	Série
T	Tome
Vol	Volume
p	Page
P-P	De la Page à la Page

المقدمة

تركت العديد من الشخصيات الفرنسية بصمتها كشخصيات استعمارية حيث ساهمت بالكثير من الأفكار والأعمال السياسية و العسكرية التوسعية التي خدمت بها في هذا الجزء أو ذاك من المجال الاستعماري الفرنسي السابق. وفي هذا الصدد، فإن الشخصيات الكبيرة من ذوي المناصب العليا سواء السياسية أو العسكرية مثل سافورنان دي برازا (Savorgnan de Brazza)، فيدهيرب (Faidherbe)، غاليني (Gallieni) أو ليوتي (Lyautey)، ظلت موجودة في الذكريات من خلال عدة كتابات و مؤلفات تاريخية تجسد أعمالهم و إنجازاتهم في هذا الخصوص. لكن الشخصيات، التي لا تنتمي إلى "صانعي القرارات ذات الأهمية الكبرى"، ظلت في الغالب مهملة أو مجهولة رغم ما حققته من إنجازات في المجال الاستعماري الفرنسي، وكان هذا هو حال كزافيي كبولاني (Xavier coppolani) الذي يعتبر مؤسس موريتانيا الحديثة والذي كرس حياته في خدمة التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر و خاصة في موريتانيا. حيث تعتبر دراسة حياته هي جزء من الإطار العام للتوسع الفرنسي في الخارج، وعلى الأخص في تاريخ الوسط الاستعماري الجزائري الذي بدأ منه مشواره و تعلم فيه أبعاد الحياة و تقنيات العمل الإداري و السياسي الاستعماري الذي مكنه فيما بعد من تحقيق العديد من الانجازات الاستعمارية لصالح الإدارة الفرنسية في المستعمرات الإفريقية وهو موضوع أطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر من خلال هذه الدراسة بعنوان " الدور الاستعماري لكزافيي كبولاني (Xavier coppolani) في الجزائر وفي موريتانيا 1855-1905م".

وتكمن أهمية الموضوع في تسليط الضوء والاهتمام بدراسة حياة وأعمال واحد من أهم الشخصيات الاستعمارية الفرنسية وتتبع مراحل تكوينه، وأهم إنجازاته ومخططاته الإدارية في خدمة سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر وموريتانيا، وما لهذا الموضوع من أهمية كبرى من خلال الاستفادة منه واستخلاص العبر عن استراتيجيات الاستعمار في تفكيك واختراق المجتمعات العربية

الإسلامية، وكذا معرفة مختلف السياسات الاستعمارية التي طبقتها الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي .

أسباب اختيار الموضوع:

أ-أسباب ذاتية:

إن من أبرز الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة والميل إلى هذا النوع من البحوث حول الشخصيات التاريخية التي تركت بصمتها من خلال ما قدمه من خدمات كبيرة للاستعمار الفرنسي، خاصة إذا تعلقنا بهذه الأعمال بتاريخ الجزائر و إن كان بتأثير سلمي ، من خلال تسليط الضوء على دور واحد من أهم الشخصيات الاستعمارية التي كرسَتْ حياتها لخدمة السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و في موريتانيا.

-محاولة الوصول بالباحث إلى معرفة كل ما يحيط بهذه الشخصية الاستعمارية.

ب- أسباب موضوعية:

- أهمية موضوع الدراسة لارتباطه بالسياسة الاستعمارية في الجزائر، و إضافة عمل أكاديمي للمكتبة التاريخية الوطنية وذلك بالمساهمة في دراسة مستفيضة لهذه الشخصية الاستعمارية.

- قلة الدراسات باللغة العربية عن كزافيي كبولاني، وعن دوره الاستعماري في الإدارة الفرنسية في الجزائر و هندسته للاحتلال الفرنسي لموريتانيا باستثناء بعض الكتابات الفرنسية.

- رغبتنا في تسليط الضوء على الأساليب التي استعملتها فرنسا لتجسيد وجودها في المغرب العربي ، خاصة في الجزائر و موريتانيا.

يتناول البحث الذي بين أيدينا فكرة أساسية ومهمة ألا وهي أن فرنسا كانت تنظر إلى موريتانيا على أنها همزة وصل بين مستعمراتها من شمال وغرب القارة الإفريقية، أي بين الجزائر و السنغال ، لذلك بدا اهتمامها بالسيطرة عليها سياسيا واقتصاديا لذلك حشدت كل طاقاتها السياسية والاجتماعية والثقافية والانثروبولوجيا لتحقيق ذلك.

إشكالية البحث:

ومن هنا فإن الإشكالية المطروحة في هذا البحث هي: " إلى أي مدى ساهمت أعمال وإنجازات كزافيي كبولاني العلمية و العملية في إرساء قواعد الحركة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ومنها إلى موريتانيا؟ "

وللإجابة على هذه الإشكالية وجب علينا طرح مجموعة من التساؤلات لمعرفة ملامح الموضوع، التي تتمثل فيما يلي:

- من هو كزافيي كبولاني؟ و ماذا قدم للإدارة الفرنسية في الجزائر؟
- كيف انتقل كبولاني من العمل الإداري في الجزائر إلى احتلال موريتانيا؟
- ماهي مراحل التغلغل الفرنسي في أراضي موريتانيا و ما هي أساليبه؟
- هل تمكن كبولاني من تحقيق حلمه باحتلال موريتانيا؟

وللإجابة على ذلك اتبعت من خلال بحثي هذا خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة، ودعمت بحثي بمجموعة من الملاحق.

تناولت في الفصل التمهيدي "الاستشراق و الاستعمار الفرنسي في الجزائر و موريتانيا" من خلال دراسة ظاهرة الاستشراق وعلاقتها بالاستعمار الفرنسي للقارة الإفريقية عموما وللجزائر خصوصا لمكانتها الإستراتيجية كونها بوابة إفريقيا من الشمال حيث كانت تمثل للاستعمار الفرنسي قطعة أساسية وقاعدة خلفية لتكوين إمبراطورية استعمارية في إفريقيا ومنافسة الاستعمار البريطاني.

✓ و في الفصل الأول تطرقت إلى "التعريف بشخصية كزافيي كبولاني"، بداية من تسليط الضوء على موطنه الأصلي جزيرة كورسيكا النائبة والمحرومة، ثم التعريف بأسرته و ظروف عيشها والبيئة التي ولد وأمضى سنواته الأولى بها ، وصولا إلى انتقاله مع عائلته إلى الجزائر التي نشأ وتكون فيها طوال مساره الدراسي و الإداري .

✓ أما الفصل الثاني فعاجت من خلاله "الدور الاستعماري ل كزافيي كبولاني في الجزائر"، فخصصته لإسهاماته الاستعمارية الكبيرة في الجزائر انطلاقا من توظيفه بالإدارة الفرنسية، ودراساته للمجتمع الجزائري و طرق اختراقه ،و الذي بلوره في كتاب بعنوان "الطرق الصوفية الإسلامية" ليصنع اسما ، فتح له أبواب النجاح كشخصية استعمارية في بارزة في إفريقيا.

✓ وبالنسبة للفصل الثالث فقد خصصته لذكر "موريتانيا من التنافس الأوربي إلى الهيمنة الفرنسية"، الذي حاولت فيه إلقاء الضوء على بداية التغلغل الفرنسي في موريتانيا من خلال إعطاء نظرة عامة حول هذا البلد ، ثم التطرق إلى جذور التدخل الأوربي به ، وصولا إلى الهيمنة الفرنسية عليه، من خلال وصف التدخل الفرنسي بالمنطقة ، بداية بالعلاقات التجارية الفرنسية مع الإمارات الموريتانية ، إلى البعثات الاستكشافية للمجال الموريتاني و التي كللت في النهاية بميلاد مشروع كبولاني لاحتلال موريتانيا .

✓ أما الفصل الرابع "كبولاني وفرض الحماية على موريتانيا " حاولت من خلاله دراسة دور كزافيي كبولاني في فرض الحماية على موريتانيا، انطلاقا من مشروعه التوسعي الذي بدأ بطابعه السلمي من خلال سياسة كبولاني التوسعية، وصولا إلى فرض الحماية على موريتانيا ، لينتهي مشوار حياته قبل استكمال تحقيق حلمه ، فتتغير السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا وتأخذ طابعا عسكريا بعد مقتل كبولاني.

✓ و انهيينا بحثنا بخاتمة وهي عبارة عن استنتاجات أمت بجوانب الموضوع إلى جانب الملاحق.

مناهج البحث:

أما المناهج التي اعتمدها في هذه الأطروحة فقد اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي . من خلال وصف واستعراض الأحداث التاريخية، وذلك حسب التسلسل الزمني مع مراعاة كل ما له علاقة بالموضوع الموصوف، ثم دراسة الوقائع ومناقشتها وربطها ببعضها البعض واستنتاج الأحكام منها.

دراسة المصادر و المراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة باللغتين العربية والفرنسية:
- اعتمدت في دراستي على الأرشيف باعتباره المصدر الرئيسي لكشف الأحداث التاريخية،
وقد اعتمدت على سجلات أرشيف التاريخ الجزائري في المحفوظات الخارجية بفرنسا في إيكس إن بروفنس (archives d'outre-mer, à Aix-en-Provence)

- ثانيا: المصادر:

وهي في أغلبها عبارة عن مذكرات و مراسلات كتبها أصحابها أو كتبها عسكريون فرنسيون وباحثون بعد أن قاموا بجمعها وتحقيقها، ولها علاقة بالفترة المدروسة ومنها: من بين المصادر التي اعتمدت عليها في دراستي لهذا الموضوع كتاب للرائد الفرنسي جلييه، المعنون بالتوغل في موريتانيا اكتشافات... استكشافات.....غزو، وهذا الكتاب ورغم كونه يميل نوعا ما إلى سرد الأحداث من وجهة فرنسية إلا أنه يعتبر مصدرا مهما، حيث يقدم لنا الكثير من المعلومات الموضوعية . بالإضافة إلى مصادر أخرى كالشنيطي احمد بن الأمين، وكتابه الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، وكتاب الخليل النحوي ، في كتابه بلاد شنقيط (المنارة و الرباط)، وذلك من خلال دراسة تاريخ موريتانيا من خلال الكتابات المحلية. أما المصادر باللغة الفرنسية فوجدنا أغلبها لعسكريين فرنسيين على غرار كتاب صديقه Robert arnaud بعنوان:

Un Corse d'Algérie chez les Hommes Bleus, Xavier Coppolani-Le pacificateur

الذي ساعدنا كثيرا في فك الغموض حول حياة هذه الشخصية، وكذلك كتاب

1903-1911 للقائد فريرجان Commandant Frérejean الذي يروي تاريخ موريتانيا منذ

دخول الاستعمار في سنواته الأولى، وهو مصدر مهم نظرا لان مؤلفه كان من بين القادة الفرنسيين

الذين شجعوا السلطات الفرنسية في دخول واستعمار موريتانيا، بالإضافة إلى مصادر أخرى سوف

يأتي ذكرها في المذكرة.

ثالثا - المراجع:

أما المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث فأذكر منها:

- كتاب الهام محمد علي ذهني المعنون ب جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914) و التي تطرقت فيه للمقاومات في غرب إفريقيا ومن بينها موريتانيا للاستعمار الفرنسي الغاشم و استفدنا منه في التعرف على السياسة الفرنسية اتجاه موريتانيا خصوصا في فترة "فيدهيرب" ، و كتاب شاكر محمود بعنوان التاريخ الإسلامي بجزأيه 14 و 15 اللذين يدرسان التاريخ الحديث لبلاد المغرب و غرب إفريقيا ، و منها تاريخ موريتانيا بيد أن هذه الأخيرة تعد من دول بلاد المغرب و كذا دول إفريقيا الغربية ، إضافة إلى مراجع أخرى.

- اما المراجع باللغة الفرنسية فقد اعتمدنا على كتاب : Deschamps hubert بعنوان Histoire générale de l'Afrique noire و يحكي تاريخ إفريقيا السوداء و كتاب La Maurutanie لمؤلفه Etienne RICHEL.

رابعا - الرسائل والأطاريح:

اعتمدت على مجموعة من البحوث من رسائل ماجستير و أطاريح دكتوراه والتي تناولت بعض الجوانب من الموضوع أذكر منها:

- علي سالماني البدوي : أطروحة دكتوراه من جامعة القاهرة بعنوان " الطريقة القادرية و الاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)" أفادتني في رسم خطة القسم المتعلق باحتلال موريتانيا.

- المختار ولد محمد: رسالة ماجستير بعنوان " الطرق الصوفية في موريتانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي" اطلعت من خلالها خاصة على مراحل احتلال الأراضي الموريتانية.

خامسا - الجرائد و المجلات:

تعتبر الصحافة مهمة لأنها عايشت الوقائع اليومية لتطورات السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و موريتانيا، من خلال رصدتها للأحداث البارزة خلال القرنين 19 و 20م، خاصة

المقدمة

الفترة المعاشية للشخصية المدروسة، فقد اعتمدت على مجموعة من الجرائد والمجلات التي لها صلة بالموضوع خاصة أعمال ونشاط كبولاني، وحادث قتله . وأذكر على سبيل المثال :

- صحيفة لابراس (Le Presse) اليومية و التي نشرت في عددها 4745 الصادر بتاريخ 27 ماي 1905م حول خبر مقتل كبولاني في إقليم أدرار بموريتانيا.

- بالإضافة إلى صحيفة La Dépêche Coloniale illustre التي تعد مصدرا مهما للمعلومات كونها واكبت عملية احتلال موريتانيا بمختلف مراحلها من خلال عدة أعداد .

- مجلة Revue d'Histoire des colonies وهي واحدة من أهم مصادر هذا العمل، بما تحتويه من مادة علمية خام حول مشروع كبولاني في موريتانيا .

-سادسا المقالات:

تعتبر المقالات المنشورة إحدى المصادر المهمة لانتقاء المعلومات المنقحة، حيث اعتمدت على مجموعة منها ، أذكر على سبيل المثال:

- بن عمار محمد عبد الرحمن، مقال: فيدهرب وتوسيع النفوذ الفرنسي في موريتانيا، مجلة الفسطاط التاريخية، حيث يشخص لنا بدايات التوسع الفرنسي في موريتانيا من خلال أعمال شخصية فيدهرب العسكرية.

صعوبات البحث:

لا شك أن إنجاز أي بحث تكون مادته متناثرة هنا وهناك في دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة وبعد المسافة عن بعضها البعض، وحتى خارج الوطن خاصة بالأراضي الفرنسية وموريتانيا الشقيقة ، وبالتالي يشكل عقبة أمام الباحث، لأن إنجاز البحوث الأكاديمية ليس بالأمر السهل كما يظنه البعض من الذين لم يلجوا هذا الميدان، وما على الباحث إلا أن يسخر كافة إمكانياته المادية والفكرية من أجل جمع المعلومة من مختلف المصادر والمراجع ومن أهم الصعوبات التي واجهتني:

المقدمة

- انعدام المصادر والمراجع التي تتحدث عن القسم الخاص بتفاصيل حياة هذه الشخصية في الجزائر وندرتها حتى على مستوى التراب الفرنسي.
- اختلاف الروايات في ذكر التواريخ والأحداث خاصة فيما تعلق بالحياة الشخصية لكبولاني في كورسيكا والجزائر، والتضارب في الآراء بين ما ذكرته الكتابات التي تناولت سيرته.
- معظم المادة العلمية المعتمدة في البحث باللغة الفرنسية مما صعب جمعها وأضاف هذا جهدا مضاعفا في قراءتها و ترجمتها.
- من المشاكل الكبرى التي واجهتني خصوصا للحصول على المادة العلمية الدسمة على مستوى الأرشيف بولايي قسنطينة و ميلة باعتبار الأولى هي المقاطعة التي عمل بها آنذاك، والثانية كونها عاصمة المقاطعة الإدارية التي أصبحت منطقة سيدي مروان تابعة لها في الوقت الحاضر، وما وجد منها فهو غير مستغل لحد اليوم بشكل إيجابي لخدمة كتابة أجزاء دقيقة عن مراحل تاريخية مهمة من التاريخ الوطني، ومثل هذا النوع من البحوث لا يمكن الاستغناء عن المادة الأرشيفية لأنه يحمل التقارير المدنية والعسكرية والمراسلات الإدارية التي تتم بين موظفي البلديات والعمالات، والوالي العام بالجزائر.

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت بحول الله في إنجاز هذا البحث، و ذلك من خلال تقديم إضافة علمية وموضوعية جديدة، فرغم هذه الصعوبات التي واجهتني إلا أنني بذلت كل طاقتي قصد الإلمام بالموضوع ودراسته دراسة علمية حتى بلغ الشكل الذي هو عليه. وفي الأخير لا ينبغي في هذا المقام إلا أن أوجه خالص شكري وعظيم امتناني إلى الدكتور "معمر العايب" على سهره طيلة أعوام على مساعدتي بكل أتيح له من جهد ووقت ومادة، كما لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته رغم كثرة التزاماته ومسؤولياته، راجيا الله عز وجل أن يكتب هذا العمل في ميزان حسناته، كم لا أنسى شكر اللجنة العلمية التي أشرفت على مناقشة ومراجعة هذه الأطروحة.

الطالب: صابر نورالدين

تلمسان في: 03-11-2017

الفصل التمهيدي

الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر

وموريتانيا .

I. الاستعمار الفرنسي في الجزائر و موريتانيا

- 1 . مفهوم الاستعمار و تطوره.
- 2 . فرنسا و التكالب الاستعماري الأوربي.
- 3 . الاستعمار الفرنسي في إفريقيا.
- 4 . التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر و موريتانيا

II. الاستشراق و الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

- 1 . تعريف الاستشراق.
- 2 . نشأته.
- 3 . خصائصه و وسائله.
- 4 . دوافعه.
- 5- الاستشراق الفرنسي في الجزائر.

I. الاستعمار الفرنسي في الجزائر و موريتانيا:

اشتهر التاريخ الحديث بمجموعة من الحركات التوسعية ، التي قادتها الدول الأوروبية العظمى ضد شعوب إفريقيا ، بهدف بسط نفوذها السياسي والاقتصادي للحفاظ على هيبتها الدولية، في ظل سياسة امبريالية تعرف بالحركة الاستعمارية.

و تعتبر فرنسا من الدول التي تبنت تلك السياسة و جسدتها في مجموعة من الوسائل والأساليب الإستراتيجية ، المتمثلة في القوانين التعسفية التي اعتمدت عليها في إخضاع القارة الإفريقية عامة و دول المغرب العربي على وجه الخصوص ما فعلته القوى الاستعمارية الفرنسية الجزائر و في موريتانيا من خلال تدعيم المشروع الاستيطاني فيها .

و للتعرف على هذا الموضوع و توضيحه أكثر لابد من التطرق في البداية إلى دراسة ظاهرة الاستعمار بصفة عامة، و التركيز فيما بعد على تاريخ فرنسا الاستعمارية و تطورها، ثم تحليل سياساتها المختلفة في على مر الزمن واختلاف المكان، طبعاً باختلاف الظروف القريبة و البعيدة سواء ما تعلق بظروفها الداخلية أو الظروف الدولية، و حتى ظروف المستعمرات.

1- مفهوم الاستعمار و تطوره عبر التاريخ:

1-1 مفهومه:

● لغة: الاستعمار كلمة مشتقة من الفعل عمر، يعمر، إعماراً، نقول أعمارته : المكان واستعمره فيه: جعله يعمره. وأعمار الأرض: وجدها عامرة، والعمارة: ما يعمر بها المكان، والاستعمار من الفعل عمر، يعمر أي ملاً فراغاً أو أرضاً لم تكن أهلة¹.

¹ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، القاهرة، 2008م، ص 445.

و يعتبر لفظ (الاستعمار) من الكلمات المظلومة، كما ذكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومما قال في ذلك "مادة هذه الكلمة (الاستعمار) في العمارة، ومن مشتقاتها التعمير وال عمران، وفي القرآن الكريم: وردت هذه الكلمة بمفهومها الإيجابي نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾¹، ومنه فأصل هذه الكلمة في لغتنا العربية طيب، وفروعها طيبة لكن إخراجها من معناها العربي إلى المعنى الأجنبي ظلم لها.²

أما أصلها فهي كلمة سياسة حديثة، أصلها في اللغة الفرنسية من اللاتينية التي تسربت إليها في القرن 16م، مشتقة من كلمة (colonialisme)، بمعنى كولونيالية في معناه الأصلي الاستعمار الاستيطاني وهو مستمد من كلمة (colony) المشتقة من لفظ (Colonia) واستخدم مفهوم الاستعمار لأول مرة في إنجلترا في القرن 19م، للإشارة إلى التوسع الاستعماري فيما وراء البحار.³

● اصطلاحاً: الاستعمار تسلط دولة على بلاد غير بلادها الأصلية من اجل استغلال ثروتها الاقتصادية، و تعمل الدولة المستعمرة على بسط نفوذها السياسي في البلاد المستعمرة من اجل تحقيق أهدافها و يتخذ أساليب متعددة، منها الاحتلال العسكري المباشر و الغزو الفكري عن طريق نشر اللغة و فكر الدولة المستعمرة، أو صورة الثقافات السياسية أو شكل سياسة عنصرية مثل سياسة البيض ضد السود في دولة جنوب إفريقيا. كما أخذت مفاهيم أخرى كالحماية، الانتداب و الوصاية... إلخ.⁴

¹ الآية 61 من سورة هود.

² عبد الملك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1954 - 1962، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ت ، ص - ص 18-19.

³ نفسه، ص 19.

⁴ يحيى محمد بنيهان، معجم مصطلحات التاريخ، ط 1، دار يافا العلمية للنشر و التوزيع، الأردن، 2008، ص 21.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

و يذهب " روبر " في معجمه الكبير بأن استعمار بلد من البلدان استغلال لما فيه من ثروات فالاستعمار إذن مفهوم معظم اللغات الغربية هو استغلال ارض لغير فائدة أهلها ، ولكن لفائدة الطارئين عليها لاستنزاف ما فيها من كنوز و خيارات.¹

كما يقصد بلفظ الاستعمار قيام دولة بغرض سيطرتها الكاملة خارج حدودها على شعب دولة أخرى و بدون مرافقة أو رفض أهلها. وتقوم هذه السيطرة على استغلال الإقليم المستعمر و سكانه مما يفقد هذا الإقليم سيادته الداخلية و الخارجية فيصبح إقليما مستعمرا وليس دولة. وقد ادعت الدول الاستعمارية في ذلك وجود شرعية للاستعمار تبرر لها حق الغزو على أراضي الغير الضعفاء دون مراعاة لحقوقهم في الحرية و الحياة الكريمة المستقلة .²

الاستعمار قديم قدم المجتمع، و هو كائن طالما هناك دول ضعيفة تملك شيئا ما، و دولة قوية لا تملك هذا الشيء و تود أن تستولي عليه، و لكن اختلف الكتاب و المؤرخون في تصويره. و على هذا الأساس نستطيع أن نعرف الاستعمار بأنه امتداد نفوذ لدولة ما إلى دولة أخرى، على أن يصحب هذا النفوذ استغلال للأرض و السكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ، و يوافق هذا الرأي تعريف "كوامي نكروما" رئيس جمهورية غانا بقوله: "أن استيلاء الصهاينة على أرض فلسطين لم يتم بواسطة دولة قائمة فعلا بل قام بهذا العمل جماعة من الناس، استغلوا الأرض لصالحهم بعد أن طردوا أهل البلاد منها، فهو اغتصاب وليس استعماراً".³

¹ عبد المالك مرتاض، دليل من مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، دت، ص 10.

² حسن سيد سليمان، ظاهرة الاستعمار في إفريقيا و العالم العربي، مجلة بحوث دراسات افريقية، العدد الثاني، المركز الإسلامي الإفريقي، السودان، 1986، ص 55.

³ زاهر رياض، استعمار افريقية، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1965، ص 6.

ونستطيع أن ندخل في دائرة الاستعمار تلك الأراضي التي يعقد أصحابها مع دولة أقوى منهم اتفاقا على فرض حماية هذه الدولة عليهم، كما كان الحال في تونس و مراکش و غانا (ساحل الذهب)، ما دامت الشخصية الدولية للدولة المحمية قد زالت وما دامت الدولة الحامية قد أخذت في استغلال الأرض والسكان لصالح شعبها. كما تدخل أيضا في نطاق المستعمرات، تلك البلاد المتخلفة التي أعطيت انتدابا أو وصاية عن عصبة الأمم أو هيئة الأمم المتحدة إلى دولة ما، برغم تقديمها تقريرا إلى لجنة الانتداب أو الوصاية تبين فيه مقدار ما أتمته من الأعمال في سبيل تقدم هذه البلاد.¹

2-1 بروز ظاهرة الاستعمار و تطورها:

قد يعد الاستعمار قديما قدم الإنسان ، فمن الممكن أن ننظر إلى التاريخ القديم على أنه فصول متلاحقة أو متداخلة من الهجرات و الغزوات منذ التاريخ القديم للبشرية ، ولكن هذه التحركات لم تكن مقننة أو مخططة حيث أنها لم تتجه تدريجيا و بشكل أوضح نحو الاستعمار ، إلا مع تطور المجتمع و الحضارة وزيادة الارتباط البيئي ، عضويا و مجتمعا بين الجماعات والأقاليم، مع زيادة نمو الدولة كشكل سياسي .²

وقد اختلفت الآراء و النظريات حول أهداف الاستعمار حيث ركز البعض على الأهداف الاقتصادية أي العمل على استغلال الموارد الطبيعية لصالح المستعمر، و ركز البعض الآخر على الأهداف الإستراتيجية، أي الاستفادة من الموقع الجغرافي للبلاد المستعمرة في العمليات العسكرية وغيرها (مثلا قناة السويس بالنسبة لربط بريطانيا بمستعمراتها في الهند).³

¹ زاهر رياض، المرجع السابق، ص 7.

² جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار و التحرير، ط1، دار الشروق ، بيروت، 1983، ص 13.

³ حسن سيد سليمان، المرجع السابق ، ص 55.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

والملاحظ أن الاستعمار في شكله التقليدي قد اعتمد على الاحتلال العسكري المباشر لتحقيق أهدافه، وكان من أساليبه أيضا بجانب استغلال ونهب الثروات الطبيعية للأقاليم المستعمرة العمل على تشويه معالم هذه الأقاليم الحضارية، من خلال التبشير الديني وفرض لغة المستعمر وثقافته وكذلك تشجيع رعايا الدولة المستعمرة على الهجرة بغرض الاستيطان في الأقاليم المستعمرة، مما يضع أهل هذه الإقليم الأصلي في ظروف معيشية تجعلهم في درجة اقل من مكانة المستوطنين الأجانب، الذين يحظون برعاية الحكومة الاستعمارية بالحصول على امتيازات معينة ليست من نصيب السكان الأصليين.¹

و قد عرفت الحركة الاستعمارية تطورا كبيرا خاصة بعد التطورات التي شهدتها القارة الأوروبية منذ مطلع العصور الحديثة، لما حوته هذه الحقبة التاريخية من أحداث و تطورات كان لها تأثير في أوروبا في جميع المجالات و امتد تأثيرها حتى خارج أوروبا، بداية من "عصر النهضة" الذي يمتد من القرن 14م و حتى القرن 17م تقريبا، لتستمر ذبول النهضة في حركة الكشوف الجغرافية و في صورة الإصلاح الديني و بداية الصراعات في أوروبا، خاصة الصراع المذهبي بين الكاثوليكية و البروتستانتية.²

ويمكن تقسيم الاستعمار الغربي في العصور الحديثة إلى مرحلتين أولهما تغطي القرنين السادس عشر و السابع عشر، وتركز على الاستعمار الاستيطاني لحد بعيد، وثانيهما خلال القرن التاسع عشر ويسودها طابع الاستعمار الاستغلالي³. فالمرحلة الأولى ترتبط بتطور الكشوف الجغرافية التي صاحبت التوسع التجاري في المرحلة الأولى ليعود و يرتبط بالثورة الصناعية في المرحلة الثانية. و بدأت الكشوف في نهاية القرن الخامس عشر و أوائل القرن السادس عشر من قبل البرتغال الذي استأنف مع الأسبان الصراع الصليبي ليبدأ بذلك استعمارا كاثوليكيا موجها ضد

¹ حسن سيد سليمان، المرجع السابق، ص55.

² أشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ط 1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2009، ص9.

³ جمال حمدان، المرجع السابق، ص49.

الإسلام و المسلمين، فمنذ غارات القرصنة الاسبانية على المغرب وقبل الاسترداد النهائي لاسبانيا عام 1492.¹

و قد بدأ الاستعمار الغربي للعالم مع بداية عصور النهضة في أوروبا، حيث استفادة أوروبا على طول وقع الإصلاح الديني و السياسي في القرن 15 و 16م و بدأت تحركاتهم بالإطباق على العالم الإسلامي، فانتشرت المراكب الاستكشافية تجول البحار بحثا على تحقيق أهداف الاستعمار المختلفة الدينية و الاقتصادية.²

إن الكشوفات الجغرافية موضوعات سابقة عن الاستعمار و هي التعرف على مجاهل جغرافية في العالم و مناطق لم تعرف، و أول دولة اهتمت بالكشوفات هي اسبانيا والبرتغال³، فقد ساعد ظهور الشعور القومي فيهما على التوسع الخارجي و تنفيذ هذه السياسة في ظل الكشوفات الجغرافية⁴ و قد كان ذلك لعدة أسباب نذكر منها: النشاط المادي: فبعض السلع التي كانت تحتاج إليها دول أوروبا كالتوابل و العاج، كانت تأتي عن طريق لتجار عبر الأراضي العربية فقد كان المسلمون هم المتحكمون في كمية هذه المواد و أثمانها لذلك فوجدت هذه الدول مجال للحصول عليها بأثمان منخفضة و كميات كبيرة و دون الحاجة إلى وساطة إسلامية وهو ما فعلته اسبانيا و البرتغال.⁵

¹ حسن سيد سليمان، المرجع السابق، ص 57.

² عبد الرحمان حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة و حوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار) دراسة و تحليل و توجيه، ط 1، دار القلم، دمشق، 2000، ص 125.

³ عبد العزيز سليمان و محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة النهائية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص 58.

⁴ ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث 1868-1453، ط 1، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، 1996، ص 68.

⁵ عبد العزيز سليمان و محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 59.

و كذلك الدوافع الدينية التي كانت تحل المحل الأول و لعبت دورا مهما، مما دفع هاتان الدولتان للقيام بالكشوفات الجغرافية لأن اسبانيا و البرتغال دولتان مسيحتان فيهما الروح الصليبية¹. فقد كانت البرتغال تهدف إلى تحويل المسلمين في غرب إفريقيا إلى المسيحية الكاثوليكية، فكان رجال الدين يرافقون الرحالة في الأماكن المستكشفة لنشر المسيحية كما وعدوا المغامرين بالجنة².

وبذلك بدأ الاستعمار الغربي في العصور الحديثة، حيث أسس البرتغال أول إمبراطورية استعمارية إلا أنها لم تدم طويلا بسبب المنافسة الاسبانية في نهاية القرن السادس عشر، حيث انتقل اهتمام البرتغال من الشرق إلى البرازيل التي جلب لها البرتغاليون الرقيق الإفريقي بأعداد ضخمة، مما جعلهم مؤسسي مدرسة الرق العصر الحديث³.

و من الأسباب التي شجعت البرتغاليين و الإسبان رحلة "ماركو بولو"⁴ (Marco Polo) و ما كتبه عن وصف الصين و ما تتمتع به من ثروات واسعة، قد شجع هذا العمل العديد من

¹ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص 69.

² عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج4، د ط، الموسوعة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1994، ص 156.

³ حسن سيد سليمان، المرجع السابق، ص 58.

⁴ **ماركو بولو** : تاجر و رحالة إيطالي، ألف كتابا أعطى الأوربيين من خلاله بعض المعلومات الأولية عن الصين. ولد ماركو بولو في البندقية و كان والده تاجرا، حيث سافر معه سنة 1271م بحرا من البندقية إلى عكا في فلسطين، و من هناك إلى قصر شانجدو عند "قبلاي خان" (حاكم مغولي) الذي أرسل ماركو في كثير من الجولات في أنحاء مملكته. و في عام 1292م بدأو رحلة العودة إلى البندقية التي وصلوها سنة 1295م، و قطعوا في رحلتهم من البندقية إلى الصين ذهابا و إيابا مسافة 24.000 كم و استغرقت تلك الرحلة 24 عاما. و عاد آل بولو محملين بالثروات التي أعطاهما لهم قبلاي خان. و في عام 1298م قام جيش جنوة بإلقاء القبض على ماركو و أودعه السجن. و هنا قرر بولو أن يكتب عن رحلاته فأكمل كتابه "وصف العالم" عام 1298م و الذي ذكر فيه معلومات عن مدى تقدم إمبراطورية قبلاي خان و استغلالها للتعدين واستخدام الفحم وقودا. و قد حقق الكتاب انتشارا واسعا في أوروبا، حيث اعتمد عليه الكثير من الرحالة و المكتشفين منهم "كريستوف كولمبوس لتقدير المسافة بين اسبانيا و آسيا. و في عام 1299م عقدت جنوة و البندقية سلاما بينهما فأطلق سراح بولو ليعود إلى مزاولة التجارة في البندقية. للمزيد ينظر: أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 67.

المغامرين من أجل القيام برحلات استكشافية. و قد ساعد الشعور القومي في اسبانيا و البرتغال على التوسع الخارجي و تنفيذ السياسة في ظل الكشوف الجغرافية، فالبرتغال مثلا جعلت شعارها ضرب المسلمين في غرب إفريقيا، فالعوامل الدينية كانت بارزة جدا في حركة الكشوف الجغرافية.¹ ويمكن التمييز خلال القرن التاسع عشر بين ظاهرتين بارزتين أولهما التعمير أي خروج أوروبا إلى القارات و الأقطار الجديدة بقصد الاستعمار الاستيطاني ، و ثانيهما الاستعمار بمعنى الغزو و التملك السياسي بقصد الاستعمار الاستغلالي أو الاستراتيجي. و بانتشار حوالي 60 مليوناً من العنصر الأوربي الأبيض على القارات الجديدة ، أرادت أوروبا أن تحقق عالمية العنصر الأبيض أو أوروبا الكبرى بالولاء و التبعية بدرجة أو بأخرى.²

2- فرنسا و التكاليف الاستعماري الأوربي :

مع نهاية القرن الخامس عشر كانت فرنسا قد استكملت وحدتها القومية حول باريس. غير أنها في وصولها وتدعيمها لحدودها الشرقية البرية غير الواضحة دخلت في صراع بري مع القوى المجاورة استغرقها مدى النصف الأول من قرن السادس عشر، كما أنفقت نصفه الآخر في حروب الإصلاح الديني، كذلك كان عليها أن تقاوم أطماع اسبانيا في السيطرة عليها طوال ذلك القرن. فلم تكن لذلك كله مستعدة للخروج إلى العالم الخارجي سواء في القارة أو عبر البحار إلا مع مطلع القرن 17م.

ولكن إذا كانت قوة اسبانيا قد تدهورت حينذاك، فقد كانت هولندا في طريقها إلى السيطرة البحرية، و لهذا أصبحت السياسة الفرنسية منذ ذلك الوقت موزعة بين محورين، التوسع القاري شرقا وصولاً إلى "الحدود الطبيعية" *les limites naturelles*، عقدة فرنسا منذ البداية و إلى اليوم وبناء قوة بحرية عظيمة للتوسع عبر البحار، وقد قام على تلك السياسة كل من ريشيليو

¹ جمال حمدان ، المرجع السابق ، ص 67.

² حسن سيد سليمان، المرجع السابق ، ص 57.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

و كولبير في القرن السابع عشر. و سيصبح هذان الهدفان والتمزق العضوي بينهما ملمحا أساسيا مزمننا في كل كيان فرنسا المقبل.¹

ولا شك أن فرنسا خلال العصور الحديثة وحتى الانقلاب الصناعي كانت أوسع و ارسخ و أقوى قاعدة أرضية في غرب أوروبا ، فهي تكاد تمثل أقصى رقعة للدولة الوطنية الموحدة قبل عصر السكك الحديدية ، و هي ضعف بريطانيا مساحة ، فقد كانت أكثر بلاد أوروبا كثافة في هذا الوقت و كان شعبها أكبر شعب في أوروبا². ثم هي أغنى القوى بالموارد الطبيعية و أقربها إلى التوازن الحربي و الاكتفاء الذاتي. وقد كان من الممكن لها أن تبني أعظم قوة بحر في ذلك الوقت بل بنتها بالفعل في بعض مراحل القرنين السابع و الثامن عشر و كان من الممكن لها أن تكون إمبراطورية استعمارية كبرى، و نجحت في ذلك فعلا.³

يذكر التاريخ رجلين، ساهما في تقدم فرنسا في كافة المجالات، و من أهمها مجال البحرية، و ما يتعلق به من كشف و استعمار، و هما "ريشيلو" رئيس الوزارة في عهد الملك لويس الثالث عشر الذي أعطاه مطلق الحرية في الشؤون الفرنسية⁴، فقد تمكن من أن يستخدم نشاطه و قوته ابتداء من الوقت الذي وصل فيه إلى الوزارة سنة 1624م⁵، حيث أنشأ إدارة للبحرية و التجارة و بدأ في بناء أسطول فر نسي يمكن استخدامه في السلم من أجل تطوير التجارة الفرنسية في الخارج، و حمايتها في حالة الحرب، و إذا دعت الحاجة الدخول في مجال الاستعمار خارج أوروبا مثل هولندا والبرتغال و اسبانيا. و الثاني هو "كولبير" المسؤول الاقتصادي في عهد الملك لويس الرابع عشر،

¹ جمال حمدان ، المرجع السابق ، ص67.

² جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث و المعاصر (سيطرة أوروبا على العالم) ، ج4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دت، ص304.

³ جمال حمدان ، المرجع السابق ، ص68.

⁴ أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص88.

⁵ جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث و المعاصر (حتى الحرب العالمية الأولى) ، ج2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دت، ص49.

والذي يرجع إليه الفضل في وضع فرنسا فعليا في مسار الاستعمار خارج أوروبا، من خلال تأسيسه لشركة "الهند الشرقية الفرنسية" كما فعلت إنجلترا و هولندا من قبل.¹

إلا أن توزيع اهتماماتها بين البحر والقارة، وحروبها المتصلة في القارة، كان يمتص مواردها ويسلب مشاريعها البحرية و يجد من إمكانياتها. و فضلا عن هذا فإن فرنسا بغناها الزراعي واقتربها من الكفاية الذاتية، لم تكن تشعر بقوة طرد طبيعي على اليابس أو قوة جذب على البحر. و في هذا كله تكرر فرنسا دور اسبانيا و توسعاتها إلى حد بعيد و إن يكن على نطاق أكبر. والحقيقة أنها ورثت اسبانيا استراتيجيا مثلما ورثت هولندا البرتغال. وكما كان على اسبانيا أن تواجه البرتغال كان على فرنسا أن تتصدى لقوة هولندا الطافرة.²

3- الاستعمار الفرنسي في إفريقيا:

بقيت القارة الإفريقية فترة طويلة من الزمن مطروقة الساحل، لكن الاتصال بداخل القارة كان قليلا، و هكذا بقي قلب القارة مجهولا للأوروبيين حتى بدأت الحركة الاستكشافية الكبرى في العصر الحديث. و قد كانت الحركة الاستكشافية التي بدأها البرتغاليون في القرن 15م بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح، و التي اشتدت بعد ذلك قد وصلت إلى ذروتها في القرن 19م، بداية حملة استعمارية عنيفة شنتها أوروبا على القارة الإفريقية³. حيث تعتبر الكشوفات الجغرافية فاتحة للاستعمار الحديث، كما تعتبر بداية تاريخ العلاقات بين أوروبا و إفريقيا في العصور الحديثة.⁴ نشطت حركة اكتشاف إفريقيا أثناء القرن 19م ، و بلا شك أن هذا النشاط كان مرتبط باحتياج الدول الأوروبية للمواد الخام الموجودة في هذه القارة ، و ذلك نتيجة للتطور الصناعي التي

¹ أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص88.

² جمال حمدان ، المرجع السابق ، ص68.

³ نفسه، ص70.

⁴ محمد متولي و آخرون ، إفريقيا في العلاقات الدولية ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة، 1975، ص29.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

تم فيها . كما تجد أن حركة الكشوف الجغرافية أو محاولة الأوربيين اكتشاف هذه القارة¹ ، قد سارت في غالبها على مجاري المياه الهامة مع اكتشاف نهر النيل و نهر النيجر و الزمبيري² ، و أخيرا نهر الكونغو³ . و قد كان جيمس بروس أول المستكشفين الذي اتصل بالعرب و درس لغتهم و عمل في القنصلية البريطانية في الجزائر، و من هنا جاء اهتمامه بالقارة الإفريقية، فقد تتبع هذا الأخير منابع النيل الأزرق و بدأ بنهر أباي و هو نهر صغير يبدأ على مسافة 110 كم إلى الجنوب من بحيرة شان ، و عاود الرحلة مرة ثانية متتبعا النهر من نقطة التقائه مع النيل الأبيض حيث تقع مدينة الخرطوم، و قد نشر الرحالة وصفا كاملا لرحلته في سبع مجلدات تتناول جميع البلاد التي جال فيها مبينا بخرائط توضيحية مجرى النيل الأزرق التي نشرها.⁴

أما إذا تحدثنا عن فرنسا على وجه الخصوص، فقد استطاعت في تاريخها الاستعماري في العصر الحديث أن تكون إمبراطوريتين :

¹ جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، دط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 219.

² نهر الزمبيري: نهر في إفريقيا وصل إليه "ليفن غيستون" المستكشف البريطاني عام 1850م، و عرف مقدار صلاحيته للملاحة. للمزيد ينظر: محمد محي الدين رزق، إفريقيا و حوض النيل، ط2، مطبعة عطايا لباب الخلق، مصر، 1934، ص 82.

³ نهر الكونغو: أحد أكبر الأنهار في العالم و ثاني نهر في إفريقيا طوله حوالي 4700 كم ، ينبع من هضبة "كاتنغا" بين زامبيا و زائير و يجتاز وسط إفريقيا الاستوائية و يصب في المحيط الأطلسي، اكتشفه الملاح البرتغالي "دييغو كام" سنة 1482م حيث وصل إلى مصب النهر التي دعاها "زائير" و تعني باللغة البرتغالية المياه العظمية، ثم دعي بعد ذلك "الكونغو" نسبة لمملكة إفريقية قوية كانت تشمل في القرنين 16 و 17م مناطق هي اليوم أنغولا زائير و الكونغو . للمزيد ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية ج2، دار رواد النهضة للنشر و الطباعة و التوزيع، بيروت، 1994، ص 163.

⁴ عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي و الكشوف الجغرافية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 164.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

الإمبراطورية الأولى بدأت في القرن السابع عشر و تقوضت أركانها بعد هزيمة فرنسا على اثر حروب "نابليون بونابارت" 1814م و كان ميدان نشاط الفرنسيين في هذه المرحلة :

- العالم الجديد كندا، و جزر البحر الكاريبي .

- في الهند و جزر المحيط الأطلنطي (موريشيوس بوروبن).

أما الإمبراطورية الثانية فتبدأ باحتلال الجزائر عام 1830م و استطاع الفرنسيون خلال هذه المرحلة أن يمدوا نفوذهم في شمال إفريقيا انطلاقا من الجزائر ثم تونس و أخيرا المغرب ، و في غرب القارة إلى ما أطلق عليه اسم إفريقيا الغربية الفرنسية (السنغال-موريتانيا-السودان الفرنسي-غينيا الفرنسية-ساحل العاج- داهومي- النيجر- فولتا العليا).وهي مناطق تبلغ مساحتها نحو السدس من مساحة القارة الإجمالية . كما مدت فرنسا نفوذها إلى ما سمي بإفريقيا الاستوائية (التشاد وسط إفريقيا الكونغو و الغابون)، وفي الساحل الشرقي للقارة تثبتت فرنسا أقدامها في الصومال الفرنسي بالإضافة إلى جزيرة مدغشقر.¹

تبدأ الإمبراطورية الثانية باحتلال فرنسا للجزائر ، و لكن يلاحظ أن نشاط فرنسا في الجزائر منذ عام 1830م لم يقابله نشاط مماثل في أي منطقة أخرى من إفريقيا. وضلت الجزائر محطة أنظار الفرنسيين فبعد عام 1815 و بمقتضى مبدأ مونرو أقلعت فرنسا عن أية محاولة للتوسع في أمريكا ، و تمسكت التوسع في القارة الإفريقية و قررت حكومة شارل العاشر إنشاء مستعمرة في شمال إفريقيا حيث يستطيع الأسطول الفرنسي أن يجد بعض القواعد على الساحل الإفريقي المقابل تكفل له حرية التنقل في البحر المتوسط كما كان من الغرض من ذلك أيضا لفت انتباه أنصار الفرنسيين خارج بلادهم² ، بدلا من التركيز على مشاكلهم الداخلية ، فصرح رئيس الوزراء

¹ شوقي عطى الله الجمل، تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها، ط2، القاهرة، 1980، ص 450.

² إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار

المريخ للنشر، الرياض، 1988، ص59 .

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

الفرنسي "بوليناك" (polignac) في مجلس الوزراء بأن الحملة على الجزائر ستجعل أنصار الشعب الفرنسي متجهة إلى الخارج وان النصر الخارجي سيساعد على تقوية الملكية.¹

يعتبر استيلاء فرنسا على الجزائر عام 1830 أول فتح لإفريقيا في العصر الحديث وكان السبب المباشر لذلك انه بعد الحروب النابوليونية مرت فرنسا بفترة من الضعف ، كادت فيها أن تفقد هيبتها الدولية وكان الشعب الفرنسي في حالة قلق داخلي فاحتلت الحكومة الفرنسية الجزائر لتحويل نظر الشعب إلى الناحية الخارجية ولإظهار مقدرتها على الخروج من ضعفها وأنها أصبحت من جديد قادرة على أن تسلك سلوكا إمبراطوريا.²

وقد حاولت الحكومة الفرنسية بتبرير استعمالاتها باتخاذ شعار نقل الحضارة إلى الشعوب الأخرى وكانت تلك الحضارة في نظرهم تعني تحويل السكان إلى الديانة المسيحية ونشر الثقافة الفرنسية³ و اعتبر الفرنسيون بأن لهم واجبا حضاريا عليهم الالتزام به (Remplir notre mission Civilisatrice) ولم يقبل الفرنسيون أنفسهم و أدركوا انه كان للتضليل و لإلباس الاستعمار ثوبا جذابا وقد عرض إرسال حملة الجزائر الرأي العام الفرنسي ، وشن أعضاء المعارضة حملة شعواء على الحكومة الفرنسية . وتأكدت الدول الأوروبية من نوايا فرنسا تجاه الجزائر ، كما أكد الدون "ولنغتون" (Wilmington) بأن روح التوسع و الفتح عاطفة قوية في فرنسا ، ولم تكتف فرنسا باحتلالها الجزائر فمضت في فتوحاتها حتى كونت الإمبراطورية الفرنسية في شمال إفريقيا.⁴

¹ علي إبراهيم عبده، المنافسة الدولية في أعالي النيل (1880-1906)، رسالة دكتوراة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، القاهرة، 1977، ص 257.

² إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 60 .

³ علي إبراهيم عبده، المرجع السابق، ص 49.

⁴ احمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص 398.

أما في غرب إفريقيا فقد ظل تقدم فرنسا حتى 1830م ببطئ و بعد احتلال الجزائر ظل الرأي العام الفرنسي منقسما بين المؤيدين للتوسع الاستعماري والمعارضين له وبين أنصار الملكية والجمهورية ولكل فريق رأيه الخاص فأنصار الجمهورية يحترمون مبادئ الحرية والمساواة و الإخاء ، و رأوا بأنه ليس من حق فرنسا السيطرة على غيرها من الأمم أما أنصار الملكية ، فكانوا يريدون عودة أمجاد لويس الرابع عشر، و نابليون بونابارت (Napoléon Bonaparte) و رأوا ضرورة امتداد الحضارة الفرنسية إلى الأمم الأخرى.

ورغم أن غزو الجزائر لم يلاقي نجاحا كبيرا بين الناس و لكن فكرة إنشاء إمبراطورية فرنسية نشطت خلال فترة حكم نابوليون الثالث (1848-1870) و لاقت قبولا كبيرا .¹

إذا حاولنا تلخيص السياسة الفرنسية في غرب إفريقيا حتى منتصف الخمسينيات من القرن التاسع عشر، سنجد بان السنغال التي أسست منذ عام 1626م كانت هي المستعمرة الرئيسية ، ولذلك بذلت الجهود لتطويرها و الاهتمام بها دون غيرها من المناطق ، و كانت الفكرة الرئيسية هي العمل على تأمين المستعمرة عدم التوسع في ضم المزيد من الأراضي.

أما في منطقة غينيا الفرنسية فقد تركز النشاط الفرنسي في الخمسينيات في المنطقة الساحلية التي عرفت باسم انهار الجنوب ، حيث تم إنشاء الوكالات و المراكز التجارية أما المناطق الداخلية لهذه المنطقة و هي فوتا جالون فلم يتم تدعيم السيطرة الفرنسية عليها خلال هذه الفترة .²

و إذا انتقلنا إلى ساحل غينيا، سنجد بأن فرنسا وطدت نفوذها في ساحل العبيد عن طريق عهد المعاهدات التجارية مع حكام هذه المنطقة، كذلك اتبعت نفس السياسة و الأسلوب مع زعماء منطقة ساحل العاج في كل من جران بسام ، وسيني ، ولكن ينبغي أن نشير بان اهتمام فرنسا بساحل غينيا حتى الخمسينيات كان اقل من غيرها من المناطق. وهكذا نلاحظ انه حتى

¹ إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 60 .

² نفسه ، ص 61 .

الخمسينيات لم تتخذ فرنسا سياسة توسعية في غرب إفريقيا إلا بعد مجيء نابليون الثالث 1848-1870¹.

و قد تأثرت فرنسا بمجموعة من المتغيرات المحلية و الدولية، و التي أثرت بطبيعة الحال على الحركة الاستعمارية الأوربية عامة و الفرنسية على وجه الخصوص، و سنستعرض فيما يلي أهم هذه الظروف و التي نذكر منها:

• الحرب السبعينية و أثارها على السياسة الاستعمارية الفرنسية: اضطرت أحوال فرنسا السياسية بعد الحرب السبعينية فطمعت القوى السياسية المختلفة في السلطة و النفوذ و اعتقد كل فريق بأنه أحق و أصلح من غيره في إدارة شؤون البلاد، و عندما وصلت إلى باريس أنباء تسليم "سيدان" و وقوع الإمبراطور نابليون الثالث أسيرا في يد الألمان، أعلن على الفور فريق من الجمهوريين إقامة جمهورية في 4 سبتمبر 1870م و تأليف حكومة مؤقتة لاستئناف القتال و لكن لم تلبث المقاومة الفرنسية أن انهارت و اضطرت باريس إلى التسليم للجيش الألماني ووضعت الحرب أوزارها.² وفي عام 1875 وضع دستور الجمهورية الثالثة و تم انتخاب "جول جريفى" Jules Grevy رئيسا للجمهورية عام 1879.³

¹ إلهام محمد علي ذهني ، المرجع السابق المرجع السابق، ص62.

² عبد العزيز نوار ، التاريخ المعاصر اوريا من الحرب البروسية حتى الحرب العالمية الاولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979، ص- ص 220-221.

³ انتخبت جمعية وطنية في فبراير عام 1871 لاختيار مندوب فرنسا لمؤتمر الصلح واختير تيير Thiers رئيس للحكومة المؤقتة فوقع صلح فرانكفورت ولكنه واجه بعد ذلك أعباء كثيرة فقد مزقت فرنسا الفتن الداخلية و ضربت الفوضى إطنابها في حياتها الاقتصادية، فوجه تيير جهوده لانتعاش البلاد و حرص على تنظيم الجيش الفرنسي على النمط البروسي اقتبس نظام الخدمة العسكرية الإجبارية ولكنه اضطر لاستقامة عام 1873 بعد أن رفضت الجمعية الوطنية اختيار النظام الجمهوري الذي اقترحه ، فخلفه المارشال ماكماهون الذي اشتهر بميله إلى أسرة البوربون ، فقام بمحاولة أخيرة لإعادة الملكية ولكن الجمعية الوطنية عام 1875 أقرت الجمهورية ووضعت دستور للجمهورية الثالثة. ينظر: إلهام محمد الذهني ، المرجع السابق، ص62.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

وقد أثرت الحرب السبعينية على المصالح الفرنسية في غرب إفريقيا، وانعكس ذلك بوضوح على النفوذ الفرنسي وقد تمثل ذلك في هجر فرنسا لمنشأتها و سحب فرقها العسكرية منها على النحو التالي :

انسحبت الفرق الفرنسية من مستعمرة السنغال و المستعمرة الرئيسية في غرب إفريقيا مما شكل خطرا المنطقة بأسرها.¹

هجرت المنشآت الفرنسية في منطقة الفرنسية في منطقة خليج غينيا ، إذ انسحبت الفرق الفرنسية من المنطقة ولكن استمر الوجود الفرنسي فيها بفضل جهود بعض التجار الفرنسيين، وبفضل جهود هؤلاء استطاعت فرنسا أن تستعيد حقوقها وتدعى حقها التاريخي في المنطقة، ففي منطقة ساحل العبيد استمرت وكالة ريجي في العمل و التجارة حتى بعد انسحاب الفرق الفرنسية، كذلك في ساحل العاج نشط التاجر الفرنسي فردييه (VERDIER) وزميله لابلين (Laplène) و نجحا في بناء العديد من المراكز التجارية و استمر لابلين في المنطقة لمدة عشرين عاما مد خلالها نشاطه نحو الأراضي الداخلية لساحل العاج.

في منطقة غينيا الفرنسية انكمش النفوذ الفرنسي في المنطقة الساحلية منها أي في منطقة انهار الجنوب ولكن بفضل جهود "سندرفال" استمرت التجارة الفرنسية في المنطقة.

نتج عن انسحاب الفرق الفرنسية من ساحل غينيا وخاصة في منطقتي ساحل العبيد ، وساحل العاج ، أن بدأت بريطانيا تمد نفوذها في هذه المناطق . و عندما استأنفت فرنسا نشاطها الاستعماري فيها ، أدى ذلك إلى حدوث تنافس بين الدولتين ، فأكدت بريطانيا بأن هذه الأراضي لم تعد في حوزة فرنسا طالما انسحبت منها بعد الحرب السبعينية بينما تمسكت فرنسا بحقوقها فيها.²

¹ إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص-ص 62-63.

² نفسه، ص63 .

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

• مؤتمر برلين 1884-1885 و مشروع التقسيم: كان مؤتمر برلين عام 1884 نقطة البداية للسباق المسعور الذي عرف باسم التكالب على إفريقيا من قبل القوى الأوروبية الاستعمارية . وبينما تم استعمار البلاد العربية في خلال فترة طويلة من الزمن , نجد أن التقسيم و الاحتلال الفعلي الاستعماري لإفريقيا قد تم في خلال عقد واحد فقط , وذلك أيضا بعكس ما حدث في آسيا التي امتد الاستعمار فيها في قطاع محدد وبعد فترة طويلة من الوقت. وبذلك تتميز إفريقيا بان أغلبها قد وقع تحت السيطرة الاستعمارية في فترة وجيزة , ولم تكن بها دولة مستقلة (شكليا) سوى ليريا وذلك بجانب إثيوبيا.

وقد تمت المنافسة الاستعمارية على إفريقيا بين القوى الأوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) من جهة والقوى الصغرى (البرتغال وبلجيكا و إيطاليا) من جهة أخرى , وكان النصيب الأكبر بالطبع للقوى الكبرى خاصة بريطانيا وفرنسا نسبة لهزيمة ألمانيا فيما بعد (الحرب العالمية الأولى) . وبينما توسعت فرنسا من الشمال الغربي باتجاه غرب إفريقيا , نجد أن بريطانيا تحركت من الشمال الشرقي في مصر باتجاه النيل عبر السودان إلى شرق إفريقيا (كينيا و أوغندا). أما إيطاليا فقد اقتسمت في مرحلة تالية الصومال (مع بريطانيا و فرنسا) وسيطرت على اريتريا ثم ليبيا فيما بعد .¹

ويلاحظ انه بالرغم من التنافس الاستعماري المحموم على إفريقيا إلا أن القوى الأوروبية الاستعمارية قد نجحت في عملية التقسيم الاستعماري دون اللجوء للمواجهة العسكرية إذ التقت مصالحها المشتركة في الاستعمار وتغلبت بالتالي على الخلافات بالوسائل السلمية .²

انعقد هذا المؤتمر العالمي الأوربي في نوفمبر سنة 1884 ليقرر مستقبل الكونغو و تنسيق النشاط الأوربي في إفريقيا , و حضره ممثلون أربعة عشر دولة أوروبية ماعدا سويسرا وحضرته الو.م.أ بصفة مراقب , وكان هدف ألمانيا و فرنسا تحجيم نشاط بريطانيا في الكونغو و النيجر وهما

¹ حسن سيد سليمان، المرجع السابق ، ص60.

² نفسه، ص61.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

المدخلان لقلب إفريقيا , وكانت بريطانيا على علم بهذا المخطط فقبل انعقاد المؤتمر تخلت عن معاهدتها مع البرتغال ولقب لعب الملك ليوبولد¹ دورا هاما في هذا المؤتمر إذ كسب كلا من فرنسا و ألمانيا إلى جانبه و انفض المؤتمر في 20 فيفري 1885م وقد قرر ما يلي :

- اتفق المؤتمر على أن أي دولة أوروبية تحتل بلدا إفريقيا و تعني الدول الأخرى بهذا الاحتلال يحق لها أن تستعمر هذا البلد فيما بعد ، وكان هذا القرار بمثابة الضوء الأخضر للتكالب على إفريقيا و دعوة للتنافس الاستعماري الامبريالي.²

- تقرير حرية التجارة في حوضي الكونغو النيجر و الالتزام بحرية الملاحة .
- الاعتراف بدولة الكونغو الحرة التي أصبحت فيما بعد من ممتلكات بلجيكا .
- العمل على القضاء على تجارة العبيد و مطاردتها والقضاء عليها .
- عدم فرض أي دولة حمايتها على دولة ساحلية في غرب إفريقيا دون أن تعلن ذلك الدول الأخرى الموقعة على هذا الاتفاق .

- عدم إعلان أية دولة حماية عن منطقة من القارة الإفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلي لهذه المنطقة .³

إن هذا النص من الاتفاقية كان وراءها جهود ألمانيا و على رأسها "بسمارك"⁴ ، لحيازة أكبر مساحة ممكنة في الأرض الإفريقية لتعويض التأخر في توسعها الاستعماري ، على كل حال نجد أن مؤتمر برلين قد اكتفى بوضع القواعد الأساسية لعملية السعي المتواصل لامتلاك المستعمرات التي

¹ ليوبولد الثاني (leopold 2) : ملك بلجيكا 1865-1909 انشأ دولة الكونغو في إفريقيا عام 1885 ، ينظر : منجد اللغة و الاعلام (جزء الأعلام)، دار المشرق، بيروت، 2008، ص506.

² فيصل محمد موسى ، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة ، بنغازي، 1997، ص133.

³ نفسه ، ص134.

⁴ بسمارك (bismark) : 1815- 1898 : سياسي ألماني عمل على تحقيق الوحدة الألمانية ، أصبح مستشارا للإمبراطورية بعد الانتصار على فرنسا عام 1870م وجعل من بلاده قوة أوروبية و دولة استعمارية ، ينظر : منجد اللغة والأعلام ، المرجع السابق ، ص128.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

تلت انعقاد المؤتمر ، فبعد المؤتمر أخذت الدول الأوروبية تعد العدة لتحديد تخوم مناطق نفوذهم المتضاربة و بموجب الأسلوب دخلت في حوزة كل من بريطانيا و فرنسا ، ألمانيا و إيطاليا و بلجيكا و اسبانيا و البرتغال ، مناطق شاسعة تمتد إلى ما وراء المناطق الداخلية التي كانوا قد أنشؤوها.¹

فقد اندفعت مكل من بريطانيا و فرنسا مثلا إلى الشمال الإفريقي و شرقه ، و من قواعدهما ارتكزت بريطانيا على منطقة النيجر و نيجيريا ، في حين توجهت فرنسا نحو الوصول إلى ممتلكاتها إلى بحيرة التشاد ، ضمن مخطط استعماري شامل لبناء إمبراطورية على طول الأراضي الممتدة من الجزائر إلى الكونغو. و هكذا نجد أن مؤتمر برلين جاء تنويجا لجهود و محاولات القوى الأوروبية لتنظيم عملية التكالب و السيطرة على القارة الإفريقية ، كما انه ثمره من ثمار الدبلوماسية الأوروبية في تكالبها للسيطرة على القارة برمتها². وتكشف لنا النظرة الشمولية لخريطة إفريقيا قبل انعقاد المؤتمر أن حوالي 10% من مساحة إفريقيا كانت تحت السيطرة الاستعمارية ، ويتمثل هذا الجزء الضئيل فقط في سيطرة فرنسا على الجزائر و بريطانيا في جنوب القارة ، ولكن هذه الصورة تغيرت تماما بعد مؤتمر وبهذا يكون مؤتمر برلين قد غير الملامح الرئيسية للقارة الإفريقية ، بعد أن نظمت عمليات السيطرة وبذلك تنتهي قصة الصراع الأوربي على إفريقيا ، و تضل بصمات هذا المؤتمر وأثاره السلبية تنعكس عليها حتى بعد استقلالها.³

كان مؤتمر برلين الاجتماع الذي قسمت فيه الدول الأوروبية إفريقيا فيما بينها، فأخذت ألمانيا الكامرون والطوغو، واستولت إنجلترا على أربع مناطق هي سيراليون و ساحل الذهب "غانا" و نيجيريا و غامبيا، أما فرنسا فقد استولت على مساحة شاسعة جدا أطلقت عليها اسم إفريقيا الفرنسية الغربية، وشملت السنغال والسودان الفرنسي (مالي) و ليجر و الداومومي (البنين)

¹ ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، ط1، المكتب الجامعي الحديث ، بنغازي، 1995، ص233.

² نفسه، ص 234 .

³ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار لإفريقيا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1989، ص22.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

وساحل العاج و غينيا و فولتا العليا (بركينافاسو) و موريتانيا و هي رقعة هائلة من أرض إفريقيا. وتضم إفريقيا الغربية الفرنسية عددا كبيرا من القبائل التي تتكلم أكثر من 120 لهجة مختلفة مقسمة إلى 8 أقسام هي: السنغال ، موريتانيا ، مالي ، غينيا الفرنسية ، ساحل العاج ، فولتا العليا، داهومي، النيجر، إضافة إلى أربع أقاليم أخرى شكلت إفريقيا الاستوائية، و تمثلت في تشاد والغابون وإفريقيا الوسطى والكونغو الفرنسي، من بين تلك المناطق الإدارية في إفريقيا الفرنسية الغربية نجد موريتانيا التي كانت تديرها من مدينة سان لويس السنغالية.¹

4- التوسع الاستعماري الفرنسي في المغرب العربي:

4-1- السياسة العامة للاستعمار الفرنسي في إفريقيا:

شهدت القارة الإفريقية عامة و المغرب العربي على وجه الخصوص موجة من التكالب الاستعماري الأوروبي خلال الفترة الممتدة ما بين ق 19 و ق 20م ، تجسدت في مجموعة من الطرق والوسائل التي هدفت إلى بسط النفوذ و الهيمنة على دول القارة و إخضاع كافة شعوبها.²

● مفهوم السياسة الاستعمارية : هي جملة الأساليب و الوسائل التي اتبعتها الدول الإمبريالية لإخضاع مستعمراتها على شكل مجموعة من القوانين و المراسيم ، أدت هذه السياسة إلى القمع ، العنف ، النفي الإبادة الجماعية ، النهب و السلب ، الاستغلال ، التفرقة ، المجازر والتنصير ...³

¹ شوقي الحمل و عبد الله عبد الرزاق، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، ط1، دار الثقافة ، الدوحة، 1987، ص21.

² كلود هنري ، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، دار المعرفة للتوزيع و للنشر، الجزائر، 1981، ص17.

³ نفسه ، ص17.

• طرق ووسائل تنفيذ المخططات الاستعمارية:

✓ الطرق: وتنقسم إلى :

*مباشرة :

- إخضاع المستعمرات بالقوة العسكرية و القمع (فرنسا في الجزائر).

- طمس شخصية المجتمعات المستعمرة (سياسة الإدماج).

* غير مباشرة:

- إبقاء السلطة في أيدي رؤساء العشائر و القبائل .

- ربط السلطة الوطنية بالحاكم العام الفرنسي أو الانجليزي في اتخاذ القرار لتسيير

شؤون الحكم مثل : الحماية البريطانية على مصر ، الحماية الفرنسية على تونس و المغرب ،

الانتداب الأوروبي في المشرق العربي و الغرب الإفريقي.¹

✓ الوسائل:

- عن طريق الامتيازات بمختلف أنواعها.

- دور الشركات التجارية و البنوك الأوروبية.

- التدخل بدعوى حماية الأموال (ديون في تونس).

- الاتفاقيات والوعود السرية وقوانين الشرعية الدولية (سايكس بيكو، مؤتمر سان

رعمو).²

• انعكاسات السياسة الاستعمارية :

✓ سياسيا :

- إثارة مشاكل الأقليات والقوميات وتغذية النزاعات الحدودية مثل : مشكلة كشمير بين

الهند و الباكستان و النزاع الحدودي بين إثيوبيا اريتيريا .

¹ عبد الحميد زوزو ، تاريخ الاستعمار و التحرر في إفريقيا و آسيا، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009، ص13.

² أحمد طاهر ، إفريقيا - فصول من الماضي و الحاضر ، دار المعارف ، مصر ، 1975م، ص143.

- ظهور مشاكل اللاجئين و المهاجرين .

- ظهور حركات عنصرية استعمارية (الحركة الصهيونية).

- تغيير الخريطة السياسية لإفريقيا و آسيا .¹

✓ اقتصاديا و اجتماعيا :

- نهب و استنزاف خيرات الشعوب المستعمرة .

- عرقلة التنمية في المستعمرات و ربط اقتصادها بالاقتصاد الأوروبي .

- تعميق الإحساس بالفوارق العرقية و الحضارية

- ظهور نخبة موالية للاستعمار

- ظهور سياسة الميز العنصري و سوء الأحوال الاجتماعية .²

4-2- الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و موريتانيا:

يمكن القول أن السيطرة الاستعمارية على العالم العربي كانت بطيئة جدا حيث أنها لم تكتمل

إلا في خلال حوالي تسعين عاما ، أي في الفترة من 1830 إلى 1920 وعلى ثلاث مراحل :

- مرحلة ثلاثينيات القرن التاسع عشر حيث وقعت الجزائر تحت قبضة الاستعمار الفرنسي عام 1830.

- مرحلة ثمانينات القرن التاسع عشر حيث مدت فرنسا نفوذها من الجزائر شرقا إلى تونس عام 1881 .

- كما ربطت فرنسا مستعمراتها في غرب إفريقيا بالجزائر عن طريق فرض الحماية على موريتانيا سنة 1905 م ، بفضل جهود كبولاني صاحب مشروع "موريتانيا الغربية".

¹ فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة-بنغازي-، ليبيا، 1997م، ص137.

² مجموعة مؤلفين ، أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات ، الجزائر ، 2007، ص141.

- العقد الثاني من القرن العشرين قبل وفي أثناء الحرب العالمية الأولى حيث بدأت إيطاليا باقتطاع ليبيا من الدولة العثمانية في 1911 - 1912 بينما توسعت فرنسا من الجزائر غربا نحو المغرب الأقصى في عام 1912 حيث احتفظت إسبانيا بالجزء الشمالي (أو الريف المغربي) إضافة للصحراء الغربية.¹

• الاستعمار الفرنسي للجزائر:

كانت الدول الاستعمارية الكبرى وعلى رأسها فرنسا تطمع إلى الاستيلاء على الجزائر من خلال عدة مشاريع، ففكرة استعمار الجزائر مشروع فرنسي قديم، سبق حادثة المروحة الشهيرة بحوالي 3 قرون فقد سعت فرنسا لاحتلال الجزائر من زمن فرونسوا الأول² من أجل إقامة إمبراطورية كبيرة قريبة من الوطن الأم (فرنسا). وكان أمل نابليون بونابارت³ تحويل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة فرنسية⁴، و قد شغلت الجزائر وضعية خاصة في قلب المنظومة الاستعمارية.

¹ حسن سيد سليمان، المرجع السابق، ص 59.

² فرونسوا الأول (François 1^{er}): ولد في سبتمبر 1494م، حكم فرنسا من 1515 إلى 1547م، هو ابن شارل أورليان، عين دوقا علا فالو كان لأمه وأخته الفضل في أن يصبح ملكا، شارك في الحروب الإيطالية ضد شارل الخامس في 1539م، استبدل الفرنسية باللاتينية في دواوين الدولة، شجع حركة الأدب و الفن و النهضة في فرنسا، أسس Collège de France، عقد العثمانيين معاهدتي 1528م و 1535م، توفي في مارس 1547م. ينظر:

Seward Desmond, Prince of the Renaissance, New York Macmillan Publishing, France, 1973.

³ نابليون بونابرت، ولد بمدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا في 15 أوت 1769، و هو قائد عسكري و حاكم فرنسا في أواخر القرن 18م، و ملك إيطاليا و إمبراطور الفرنسيين في العقد الأول من القرن 19م، يعتبره بعض المؤرخين أحد مؤسسي فرنسا الحديثة المدنية، أما البعض الآخر فيراه واحدا من الطغاة الذين مارسوا الحكم الدكتاتوري، أثرت سياسته بشكل كبير في أوروبا بفعل حملاته العسكرية التي دمرت الجيش الفرنسي، و بعد انهزامه في معركة "واترلو" عقد "مؤتمر فيينا" 1815م نفي نابليون إلى جزيرة "سانت هيلينا" و مكث بها إلى حين وفاته. ينظر: أيمن أبو الروس، شخصيات لا ينساها التاريخ - نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوروبا و وقع في الفخ الروسي، ط 1، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2013م، ص ص 3-12.

⁴ صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، 2005، ص

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

وكانت البوابة التي تسللت منها إلى بقية بلدان المغرب العربي، ورأت فيها امتدادها الطبيعي نظرا لقربها الجغرافي منها.¹

ففي أواخر القرن الثامن عشر والرابع الأول من ق 19م ، كانت القوى الرأسمالية الأوروبية ومنها البريطانية والفرنسية قد صوبت نظرها نحو النصف الجنوبي من الكرة الأرضية تريد استعمارها ونهب خيراتها واحتلال أراضيها واضطهاد شعوبها، وفي خضم التنافس والتكالب بين هذه القوى وقعت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي الذي تمكن من إحكام قبضته على الجزائر بأكملها، وهو الذي كان أقوى الجيوش الأوروبية في تلك الفترة، فقد أقام على أرضها أزيد من مائة وثلاثين سنة.²

أكد وأن شارل العاشر³، استفاد أكثر من سياسته في الحكم من الظروف الداخلية والخارجية التي سمحت بتحقيق المشروع الذي كان مسطرا منذ زمن بعيد في نوايا فرنسا التوسعية⁴، والحقيقة أن هناك بعضا من الكتاب الذين يعطون انطبعا في تحاليلهم لتاريخ الجزائر بأن سبب إقدام فرنسا على غزو الجزائر والقضاء على الدولة الجزائرية وتعويضها بسلطة استعمارية جديدة،

¹ أحمد طاس، السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاسها على الثورة 1956، 1958، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص 22.

² صالح بلحاج، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، منشورات بن مرابط، قسنطينة، 2015، ص 18.

³ شارل العاشر (charles x): أحد ملوك أسرة آل بوربون الفرنسية ، تولى حكم فرنسا عام 1824، من مؤيدي النظام الرجعي المتطرف ما أدى إلى معارضته بشدة من معظم الاتجاهات السياسية ، هذه المعارضة دفعت به إلى إعطاء المزيد من الامتيازات لطبقة النبلاء و الأسياد ، قام بإعداد حملة عسكرية على الجزائر لتثبيت حكمه ، غير أن ثورة جويلية 1830م أطاحت به و بسياسته .ينظر:

Castelot André , Charle X, Lib Académique Périn , Paris , 1988.

⁴ جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1862، تر:عبد السلام عزيزي، الجزائر، دار القصة، 2009، ص 28.

يرجع إلى حادثة المروحة بين الداوي وقنصل فرنسا بالجزائر عام 1827¹، والحقيقة أن لهذا الغزو عدة أسباب مخفية ومعلن عنها.²

إن رغبة فرنسا لاحتلال الجزائر لم تأت من فراغ بل لعدة دوافع³ سياسية واقتصادية ودينية، فقد كانت فرنسا ترغب في التخلص من القوة الجزائرية، وشجع وضعها الداخلي في تنفيذ الحملة، وكانت الوضعية المالية والاقتصادية ونمو الحركة الصناعية كلها تدفع لإيجاد موقع الجزائر والاستحواذ على خزائنها ومواردها الاقتصادية، وحضر الدافع الديني الصليبي بقوة باعتبار أن هذه الحملة اكتست طابعا دينيا بمباركة من البابا وتمثل انتصارا على الإسلام.⁴

• الحماية الفرنسية على موريتانيا:

تبنت فرنسا سياسة الحكم المباشر في مستعمراتها، إلا أن هذا الأسلوب تغير بفرض الحماية⁵ على موريتانيا وهذا راجع إلى المستشرق الفرنسي "كبولاني"، الذي أسس الإدارة غير المباشرة في بداية الأمر عن طريق رؤساء القبائل الكبرى كـ "الترازرة و البراكنة" وغيرها من القبائل الموريتانية

¹ إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 11.

² عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 244.

³ أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا)، ط1، دار النهضة العربية للطباعة للنشر و التوزيع، بيروت، 2004، ص- ص 132-133.

⁴ إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص- ص 19-20.

⁵ الحماية: الدفاع عن البلاد الحمية ومراقبة سياستها الخارجية، والحماية لا تختلف عن الاستعمار في الهدف وهي تترك الشعب تحت وهم الاستقلال واستغلاله تجاريا واقتصاديا في الوقت نفسه وهو نظام ابتدعه جول فيري يقضي بإسكات المعارضة الخارجية بعدم القضاء على كيان الدولة الحمية، والمعارضة الداخلية كون الحكومة لم تتورط في أعباء مالية جديدة (أزمة الديون). ينظر شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 330.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

حيث حرص على إشراكهم في إدارة البلاد، وبعد أن عقدت معاهدة 1903 قامت السلطات الفرنسية بتحصيل الضرائب وتعيين القضاة.¹

وخلال فترة الممتدة من 1904-1920م، اتبعت سياسة الإقليم المدني التي نصت على تقسيم البلاد إلى دوائر، و عين على رأسها مفوض عام استبدل في 1921م بوالي موريتانيا مع بقاء السلطة في أيدي الفرنسيين.²

أولت السلطات الفرنسية اهتماما خاصا لتشجيع الرأسمال الفرنسي و ذلك باستغلال الثروة الحيوانية و مناجم الملح، وبعد اكتشاف الحديد و النحاس ازدادت هيمنة الشركات الاحتكارية في البلاد و تعرض الموريتانيون لمختلف أشكال التفجير و التجويع تحت ضغط الضرائب .

قامت فرنسا بمنع الزيارات العلمية إلى المجتمع الموريتاني، كما طوقت الأوقاف و الموارد المالية للطرق الصوفية و بذلت جهودا جبارة في نشر ثقافتها و ممارسة الفرنسية و منع اللغة المحلية في المدارس بموجب مرسوم 10 ماي 1924، معتمدة في ذلك على الإغراءات المادية و المعنوية لتكوين نخبة بأفكار فرنسية تعمل على ضمان وخدمة المصالح الاستعمارية في دولة موريتانيا.³

¹ Guernier Eugène, Afrique Occidentale Française, Tome Encyclopédia colonial et Mauritanie ,Paris, 1949, P101 .

² علي بدوي علي سلمان، الطريقة القادرية والإستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية من قسم التاريخ (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة القاهرة، 2003، ص 188.

³ مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ العربي المعاصر و الحديث، دار أسامة، عمان، 2004، ص 260.

II. الاستعمار الفرنسي والاستشراق :

وضع المشروع الاستعماري الأوربي الحديث ، منظومة متكاملة من الوسائل التي يجب تسخيرها، لخدمة أهدافه التوسعية . لذلك أولى اهتماما خاصا بدراسة الأوضاع الاجتماعية التي كانت تعاني منها تلك الدول المستهدفة، فأطلقوا جيوشهم من الباحثين في شتى الميادين، وزودوهم بكل الإمكانيات لدراسة تلك الشعوب، ليهيئوا الساحة للمرحلة الأخيرة و هي الغزو العسكري ، بعد أن قاموا بتشريح الأوضاع (الاجتماعية ، السياسية ، العرقية ، الدينية والثقافية...) في تلك البلدان. و قد كان الاهتمام بارزا بالمجال الاثنوغرافي و أبعاده ، في تحديد طبيعة الشعوب و تركيباتها، فاستحدثت في ذلك علما مستقلا بذاته هو علم "الدراسات الاستشراقية"¹.

1. تعريف الاستشراق:

● **لغة:** مشتق من كلمة "الشرق" و "المشرق" يكسر الراء ، و"الشروق" و هي شروق الشمس و شرق أي أخذ في ناحية الشرق ، و السين في كلمة الاستشراق يفيد الطلب أي طلب دراسة في الشرق² . أما المعاجم العربية من خلال بحث " سمايلوفيتش" و في استنادها لقواعد الصرف و علم الاشتقاق فتذكر أن معنى (الاستشراق) أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم³.

¹ مسعود بودريالة ، الاستشراق الفرنسي و توظيفه الاثنوغرافي في الجزائر، مقال تاريخي في مجلة "دراسات"، ع 5،

منشورات جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة2، الجزائر ، 2016م ، ص 1.

² فاروق عمر فوزي ، الاستشراق و التاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دراسة مقارنة بين وجهة النظر

الإسلامية و وجهة النظر الأوروبية، ط 1، قسم التاريخ، جامعة آل البيت الأهلية ، 1998م ، ص 29.

³ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، د ط ، دار المعارف، القاهرة، 1980م ، ص

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق (Oreintalist) ، بأنه " من تبحر في لغات الشرق وآدابه ¹ . و يعرفه القاموس الفرنسي بأنه مجموعة المعارف التي تتعلق بالشعوب الشرقية ولغاتهم، و تاريخهم و حضارتهم و معارفهم. الاستشراق إذن مشتق من الشرق و بالتدقيق الشرق العربي الإسلامي ، و هناك من يعرفه بأنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي ² . و يرى آخرون بأنه الإمام باللغات الشرقية. ³

● **اصطلاحاً:** لا يمكن تحديد مفهوم واحد للاستشراق حيث نجد له الكثير من التعريفات حسب آراء علماء العرب و علماء الغرب ، في محاولة لوضع تعريف محدد الاصطلاح. ⁴

- من آراء العلماء الغربيين نأخذ رأي "بارت" الذي يعرفه بأنه يعلم يختص بفقهاء اللغة خاصة، هو علم الشرق ، أو علم العالم الشرقي ⁵ ، فهو علم يدرس لغات العالم الشرقي (المناطق الشرقية) وتراثه وحضارته ومجتمعاته وحاضره وماضيه ⁶ . فالاستشراق هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق و أديانه و لغاته و تاريخه و علومه وأحواله الاجتماعية، وبالأخص حضارة الإسلام و أحوال المسلمين في مختلف العصور. ⁷

¹ أحمد عبد الرحيم السياح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ط1، دار المصرية للبنانية، القاهرة، 1996م، ص1.

² عادل ماجد محمد ، الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الشرعية الإسلامية، كلية الفقه جامعة الكوفة، العراق، 2008م، ص 7.

³ عدنان محمد زوزو و آخرون ، الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات (دراسة معاصرة لأبرز التيارات المناوئة للإسلام)، د ط ، مركز الحكمة، قطر، د ت، ص 112.

⁴ مراد يحيى، من قضايا الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية للبنانية، القاهرة، 1996م، ص 10-11.

⁵ رودى بارت ، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1970م ، ص 11.

⁶ محمد سعدون الساموك ، مناهج المستشرقين، جامعة بغداد ، العراق ، 1985م ، ص 8.

⁷ أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي، ط 5، دار نضرة مصر للطبع و النشر، القاهرة، د ت ، ص 512.

و يعرف جويدي¹ علم الاستشراق قائلاً: «و الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو "علم الشرق" ، بل نستطيع أن نقول إن الغرض الأساسي لهذا العلم ليس مقصوراً على مجرد دراسة اللغات...، بل من الممكن أيضاً أنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي و التمدن الشرقي ، ليس علم الشرق إلا باباً من أبواب التاريخ الإنساني...، و علم الشرق علم من علوم الروح (Science de L'esprit) يتعمق في دراسة أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها و...، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية و الطبيعية»².

- أما علماء العرب فلم يتفقا على مفهوم محدد، فقد ذهبوا في فهمهم للاستشراق إلى مذاهب عديدة لا بد من الإشارة إلى بعضها³. ومنهم أحمد حسن الزيات الذي يعرفه بقوله: «الاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته، ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم»⁴.

¹ جويدي : ولد في مدينة روما في 31 ماي 1844م من أسرة عريقة ينتسب إلى المستوى العالي من الطبقة الوسطى و إليها انتسب العديد من العلماء و أرباب المهن الحرة و رجال الكنيسة الكاثوليكية. ينظر: عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين، ط 3 ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1993م ، ص 212.

² يحي مراد ، ردود على شبهات المستشرقين (من قضايا الاستشراق بحوث و دراسات)، د ط ، د د ن ، د ت ، ص 23.

³ خالد إبراهيم المحجوبي الاستشراق و الإسلام (مطروحات نقدية للطروح الاستشراقية)، دار الكتاب الوطنية، ليبيا، 2008 ، ص 18.

⁴ نقلاً عن : يحي مراد ، المرجع السابق، ص 25.

و يعرفه إدوارد سعيد بأنه " أسلوب غربي للسيطرة على الشرق و استبنائه (أي بناء ذلك الشرق طبقا للمفاهيم الغربية و امتلاك السيادة عليه)¹، و قال في موضوع آخر: « الاستشراق قراءة الشرق بنطق سلطوي و يؤسس بين نمط المعرفة الغربية التي توضع دائما بالعقلانية ».²

2. نشأة الاستشراق:

اختلف الباحثون في تحديد فترة معينة لنشأة الاستشراق ، فمنهم من أرجع تاريخه إلى ظهور الإسلام و مع أول تعامل بين الرسول صلى الله عليه و سلم و النصرى سواء السلمية منها (لقاءه بنصرى نجران- إرسال مبعوثيه إلى ملوكهم خارج الجزيرة العربية- لقاء المهاجرين المسلمين بالنجاشي ملك الحبشة)، أو في أول احتكاك عسكري ضدهم في غزوة مؤتة³. في حين يرى آخرون أن الحروب الصليبية ضد الإسلام هي بداية الاستشراق، حيث بدأ الاحتكاك الديني بين الإسلام و النصرانية⁴، بينما يرى البعض الآخر، أنها ترجع إلى بداية الغزوات والفتوحات الإسلامية في السنة الثامنة للهجرة، و التي تعد الانطلاقة الفعلية للمد الإسلامي.⁵

و يؤرخ الباحثون النصرى أن بدأ الاستشراق الرسمي ، بدأ بصدور قرار مجمع فيينا الكنيسي في عام 1312م، بإنشاء عدد من الكراسي لدراسة اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية ،

¹ نقلا عن: مرسل عبدالله المرسل الحمادي ، موقف المستشرقين من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (عرض ونقد)،

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين- جامعة أم القرى، د س ، ص 50.

² نقلا عن: مجلة الإنسان و المجتمع ، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان ، ع 2، 2001، ص 22.

³ مازن بن صلاح مطبقاتي ، الإستشراق ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية ، ص 6.

⁴ حسن ضياء الدين ، وحي الله حقائقه و خصائصه في الكتاب و السنة- نقض مزاعم المستشرقين، ط 1 ، دار المكتبي ، 1999م ، ص 23.

⁵ محمد جلاء إدريس ، الإستشراق الإسرائيلي (في المصادر العبرية) ، العربي للنشر و التوزيع، 1995 م ، ص 18.

ولكن الإشارة هنا إلى لاستشراق الكنيسي تدل أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ.¹

و هكذا استمرت جهود المستشرقين الأوربيين في دراسة الإسلام و ترجمة القرآن الكريم ، والكتب الأدبية و العلمية حتى جاءت مرحلة الحركة الاستعمارية الأوربية بداية من القرن الثامن عشر ، حيث تم للغرب استعمار العالم الإسلامي و الاستيلاء على ممتلكاته التراثية و نقلوا المخطوطات إلى مكتبات الغرب. و في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة 1873م ، لتتوالى مؤتمرات المستشرقين و أعمالهم في ترجمة القرآن وغيره من الكتب كبداية للاستشراق بصورة واضحة.²

3. خصائص الاستشراق و وسائله:

● خصائصه:

يمكن إيجاز خصائص الاستشراق في النقاط التالية:

- ولد في أحضان الأندلس الإسلامية في القرن الثامن الميلادي حيث كان الإسلام القوة الدافعة له.
- عاش قرونا طويلة في كنف الإيديولوجية الاستعمارية ، و قام بحركات مريبة تهدف إلى زعزعة الثقة بشعوب البلاد المستعمرة و بدينها و حضارتها و آدابها.
- مر في تاريخه الطويل بمراحل ثلاثة هي التكوين و التقدم و الانطلاق.³
- أثمر نشاطه دراسات و بحوث و اهتمامات و اكتشافات، دفعت إلى ضرورة متابعة البحث فيه.

¹ أحمد عبد الرحيم السياح ، المرجع السابق ، ص 18- ص 19.

² فاروق عمر فوزي ، الاستشراق و التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ ، ط 1، جامعة البيت الأهلية للنشر و التوزيع ، 1998م، ص 30.

³ يحي مراد ، المرجع السابق، ص 103.

- بحث في كل ما يتعلق بلغات الشرق و آدابه ، و اهتم بكل ما فيه من عادات و تقاليد و اتجاهات و قوميات و أفكار.

- أنشأ جمعيات و أكاديميات و فتح معاهد و كليات ، و نشر مجلات و مؤلفات و أعد مطابع و عقد مؤتمرات و اقترح حلولاً و عالج مشكلات و خلق أخرى.

- نظر في المخطوطات و حقق أعداداً هائلة منها و ساعده على ذلك عوامل عديدة منها: وجود آلاف من المخطوطات العربية في مكتبات أوروبا، نقلت إليها في ظروف مختلفة مثل الحروب الصليبية ، و محنة العرب في الأندلس و الحملة الفرنسية و غيرها.¹

● وسائله:

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم و بث آرائهم ، و خطط للكيد للإسلام و المسلمين إلا سلكوها و منها:

- تأليف الكتب بكثير من التحريف في موضوعات مختلفة عن الإسلام و الرسول و القرآن و تاريخ المسلمين .

- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام و المسلمين .

- إنشاء الموسوعة الإسلامية و قد أصدرها بعدة لغات ، و قد حشد لها كبار المستشرقين و أشدهم عداءاً للإسلام ، و دسها بالسم و الأباطيل عن الإسلام.

- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتحقيق أهدافهم.

- إلقاء المحاضرات في الجامعات و الجمعيات العلمية ، و تحريك الأيدي الخفية لاستدعائهم إلى الجامعات العربية الإسلامية.

¹ يحي مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، د ط ، د دن ، دت ، ص 96.

- نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد الإسلامية ، من خلال استئجار عدد من هذه الصحف بغية نشر مقالاتهم و الترويج لأفكارهم.¹
- اكتساب عضوية مجامع اللغة العربية.
- تكوين كوادر عربية يتم تكوينها على أيدي المستشرقين.²

4. دوافع الاستشراق:

الاستشراق ظاهرة تاريخية معقدة ، لذلك فليس من السهل ربطها بعامل واحد أو عاملين ، فقد تنوعت دوافعها عبر القرون و تباينت حسب المراحل التاريخية ، ما جعلها صنيع مجموعة عوامل اشتركت في تحديد معالم الاستشراق ، و نذكر من الدوافع المهمة التي حفزت المستشرقين ما يلي:

• **الدافع الديني:** يأتي الدافع الديني في طليعة الدوافع التي حفزت حركة الاستشراق ، و الذي ظهر مع الرهبان في العصور الوسطى ، و يستمر عن طريق بعض المبشرين عيوننا لبلادهم ، تعمل بشتى الطرق لإثارة الفتن و الاضطرابات ، من أجل تمكين دولهم الأوربية من السيطرة على العالم الإسلامي سياسيا و اقتصاديا.

و المعروف أن قيام الدولة العربية الإسلامية شكل خطرا على أوروبا، حيث مثل ذلك مشكلة سياسية و حضارية عند الغرب الأوربي المسيحي ، كان عليه أن يجابهها عسكريا و عقائديا، فالفكر الأوربي لم يكن كافيا لمجابهة الإسلام كقوة عقائدية و فكرية و سياسية ، و قد كانت الدولة العربية الإسلامية دولة منتصرة عجزت أمامها الهجمات البيزنطية ، بل و ردت عليها بهجمات موفقة وصلت إلى السيطرة على القسطنطينة سنة 1453م، و البحر الأبيض المتوسط

¹ عبد الرحمن عميرة ، الإسلام و المسلمون بين أحقاد المستشرقين و ضلال الاستشراق ، ط 1، دار الجيل ، بيروت ، دت، ص 127.

² عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، 1997م ، ص 26.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

الذي أصبح بحيرة عربية وهددوا فيينا بعد أن أشرفوا على بحر الأدرياتيك¹. كما كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام و يشوهوا محاسنه ، و يحرفوا حقائقه ليثبتوا للجماهير التي تخضع لزعامتهم الدينية ، أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار و أن المسلمين قوم همج لصوص و سفاكو دماء، يبعدهم عن كل سمو روحي و خلقي.²

و هناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية ، بغرض تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين ، للتشكيك في التراث الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، و كل ما يتصل بالإسلام من علم و أدب و تراث.³

● **الدافع الاستعماري:** حلم الغرب المسيحي كان دائما احتلال البلاد العربية الإسلامية و السيطرة عليها فرغم نهاية الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين ، و التي هي في ظاهرها حروب دينية أما في حقيقتها فهي حروب استعمارية ، لم ييأس الغريون من احتلال البلاد الإسلامية ، فأتجهوا إلى علم الاستشراق لدراسة هذه البلاد في كل المجالات، خاصة مواطن القوة لإضعافها و الضعف لاغتنامها. حتى بعدما تم لهم الاستيلاء العسكري و السيطرة السياسية عليها ، اعتمدوا على الاستشراق لإضعاف المقاومة الروحية و المعنوية في نفوس المسلمين ، و بالتالي يتم لهم ما يريدون بخضوعها لحضارتهم و ثقافتهم و لا تقوم لها قائمة.⁴

و من هنا تظهر غاية الاستعمار من الاستشراق، من أجل ذلك تلفن الاستعمار لحركة الاستشراق حيث كان ملوك الدول الاستعمارية رعاثها و قناصلهم في بلدان المشرق عمالها⁵. ويمكن تلخيص الدوافع الاستعمارية في الأهداف التالية:

¹ فاروق عمر فوزي ، المرجع السابق ، ص32 - ص33.

² مصطفى السباعي ، الاستشراق و المستشرقين ما لهم و ما عليهم ، ط2، المكتب الإسلامي ، 1979م ، ص 20.

³ المرجع نفسه، ص 21.

⁴ نفسه ، ص 17.

⁵ محمد أمين حسن محمد بني عامر ، المستشرقون و القرآن الكريم ، ط 1 ، دار الأمل للنشر و التوزيع ،الأردن ، 2004م ،ص 35.

- إضعاف روح الإخاء بين المسلمين و العمل على تفريقهم لإحكام السيطرة عليهم.
- العناية باللهاجات العامية و دراسة العادات السائدة لتزييف وحدة المجتمعات المسلمة.
- التعرف على لغاتها و و دراسة آدابها و دينها ليتحكموا بها .
- الكثير من المستشرقين كانوا ملحقين بأجهزة الإدارة الاستعمارية و من أجهزة الاستخبارات العسكرية ، بغرض دراسة كيفية مقاومة حركات البعث الإسلامية.¹

• **الدافع الاقتصادي:** هذه الدوافع ذكرها بوضوح المستشرق الإنجليزي "أربري" ، و هو يتحدث عن دوافع الدراسات الاستشراقية عند الإنجليز في كتابه المستشرقون البريطانيون بقوله: «إلى جانب الرغبة الخالصة في الاستكشاف و السعي وراء التجارة، ثم ما تلتها من مسؤولية الحكم ، قد جلبنا كثيرا من العقول الجادة إلى دراسة الثقافات الشرقية الحية». هذا بالإضافة إلى دور الشركات التجارية في دعم المشروعات الاستشراقية ، فمثلا قد أسست شركة الهند الشرقية البريطانية كلية (Haileybury) موظفيها لغات البلاد التي يتعاملون معها، و من بينها اللغة العربية و هذا طبعا بهدف تسيير شؤونهم التجارية². و من دوافع الاستشراق أيضا العمل على ترويض بضائعهم في البلاد الإسلامية و شراء مواردها الطبيعية الخام بأبخس الأثمان.³

¹ جمال الدين فاح الكيلاني ، فلسفة الاستشراق في ضوء فكر القرن الواحد و العشرين ، مكتبة المصطفى للنشر و التوزيع، القاهرة، 2001م ، ص 15.

² محمد أمين حسن محمد بني عامر ، المرجع السابق ، ص 39.

³ إسماعيل أحد عمارة ، المستشرقون و نظرياتهم في نشأة الدراسات العربية، ط 2، دار حنين للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م ، ص 39.

5. الاستشراق الفرنسي في الجزائر:

يعد الاستشراق الفرنسي من أهم المدارس الاستشراقية وأقدمها عبر التاريخ، فهناك من يرجع تاريخ الاستشراق الفرنسي منذ بداية الاحتكاك الفرنسي بالدولة العربية الإسلامية في القرن (2هـ/ 8م)، عندما بدأت الفتوحات الإسلامية في التوسع في أوروبا انطلاقاً من الأندلس¹، من خلال الاحتكاك بهم في معركة بلاط الشهداء² (724هـ/ 1312م)³. وهناك من يربط بدايات الاستشراق الفرنسي مع بداية صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام (724هـ/ 1312م) والذي يتضمن تأسيس كراسي الأستاذية للغات الشرقية في جامعة باريس و جامعات أوروبية أخرى⁴. كما نجد أن مصطلح مستشرق قد استعمل أول مرة بالفرنسية، عام 1539م على إثر تأسيس كراسي اللغة الشرقية العربية في كوليغ دي فرانس بباريس.⁵

اهتم الباحثون الفرنسيون بدراسة الشرق والتخصص في ثقافته وتراثه، لكن دراساتهم لم تتوقف عند الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما تعدت ذلك إلى "الشرق الهوية"، وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق من دراسة "الشرق الهوية و التاريخ"، المتمثل تحديداً في الإسلام والمسلمين، و ما يتبعه من دراسة التركيبة العرقية و أثرها في في تماسك و زعزعة النظام الاجتماعي و إضعافه،

¹ سلمى حسين علوان الموسوي، التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي في القرن العشرين، د ط، كلية الأدب، جامعة الكوفة، د ت، ص 4.

² معركة بلاط الشهداء: هي التسمية العربية التي أطلقت على هذه المعركة نسبة إلى طريق روماني قديم، و الذي دارت به هذه المعركة التي سميت بالفرنسية "توريواتيه" و هي المدينة التي التقى فيها الجيشان في معركة عنيفة دامت 3 أيام. للمزيد ينظر: أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م، ص 84.

³ سلمى حسين علوان الموسوي، التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي في القرن العشرين، د ط، كلية الأدب، جامعة الكوفة، د ت، ص 4.

⁴ وليد كاظم الخشن، المدرسة الاستشراقية الفرنسية (دراسة في أسلوبها و منهجها)، د ط، د د ن، د ب ن، د ت، ص

⁵ سلمى حسين علوان الموسوي، المرجع السابق، ص 4.

فالاستشراق يمثل الخلفية التاريخية والقاعدة الثقافية في الذاكرة الجماعية الفرنسية ، و منها انطلق حاملا روح الصراع الديني والعسكري و العدائية الصليبية التاريخية.¹

5-1- الاستشراق و الاستعمار الفرنسي في الجزائر:

المتتبع لظاهرة للاستشراق يجد أن المدرسة الاستشراقية الفرنسية ذات أهداف استعمارية بالدرجة الأولى ، فبالحديث عن الجزائر نجد أن فرنسا اعتمدت على إيديولوجية ، تمثلت في دراسة الجزائر من جميع الجوانب مع إعطاء آراء ميدانية و تطبيقها على المجتمع الجزائري لتحقيق الاستعمار من خلال تفكيك المجتمع.²

أعلن شارل العاشر رغبته في إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال إفريقيا تكون نواتها الجزائر. من أجل هذا الغرض بدأ الغزو الفرنسي للجزائر بحصار بحري في ماي 1827م ، و اخترعت فرنسا في ذلك دوافع و حان الوقت للدافع الديني المعادي للإسلام و المسلمين و أثره القوي في هذا الاحتلال، فقد كانت رغبة الفرنسيين قوية في تنصير الجزائريين الذي كانوا أعداء بالنسبة للمسيحيين.³

أما بالنسبة لمشروع الاستشراق في الجزائر ، فقد برز مع بداية المشروع الاستعماري الفرنسي من خلال ما سخرته فرنسا من جيوش المفكرين، و ما وظفته من دراساتهم لاحتلال الجزائر، ذلك أن معرفتها للتراث العربي الإسلامي سيكون بمثابة دليل للحكومة الاستعمارية، لفرض سيطرتها وتعديل خططها السياسية، لتكون مطابقة لما تقتضيه الأوضاع. فالاستشراق الفرنسي في الجزائر حمل في ظاهره أهداف علمية معلنة ، لكن في طياته كان يحمل أهداف خفية تعمل على فهم

¹ الطيب بن إبراهيم ، الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه (خاصة في الجزائر)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،

الجزائر، 2010م ، ص 52.

² مسعود بودريالة ، المرجع السابق، ص 2.

³ عبد الرحمن حنبكة الميداني ، المرجع السابق، ص 174.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

الشعوب وتوطين الاستعمار، لذلك اتجه إلى دراسة الرحلات و البعثات في شمال إفريقيا ، وخاصة منها إلى الجزائر في القرن الثامن عشر ميلادي، لاستعمالها كمادة أولية في دراساته الاستشراقية.¹ وقد ربط المستشرق الفرنسي هنري ماسي بداية الاهتمام الفرنسي باللغة العربية بتاريخ دخول الجيش الفرنسي من خلال قوله: « يتدئ تاريخ الدراسات العربية في الجزائر بوصول الجيوش الفرنسية سنة 1830م ، و كما حصل مع الحملة الفرنسية على مصر ، فقد صاحب فريق من التراجمة حملة دي بورمون (De Bourmont) خلال العمليات العسكرية التي أفضت إلى احتلال الجزائر، قدم عدد من هؤلاء التراجمة خدمات عظيمة للاستعمار الفرنسي...»². و في هذا الصدد أيضا يقول أبو القاسم سعد الله رحمه الله: « من الواضح أن الاستشراق هنا كان مرتبطا منذ البداية بإدارة الاحتلال ، فقد ازدادت هذه الرابطة وثوقا و بلورة أثناء المرحلة الثانية (1879-1930م)»³ و هو ما يثبت علاقة الاستشراق بالاحتلال الفرنسي للجزائر .

كما احتاج النظام الاستعماري بعد الحملة إلى معرفة البلاد و أهلها ، و كانت اللغة العربية الوسيلة الضرورية لهذه المعرفة ، حيث يذكر أحد المستشرقين الفرنسيين هذا الموضوع بقوله: « لقد كان على السادة الجدد (يقصد الفرنسيين) أن يستعملوا اللغة العربية في الإدارة و فهم السكان...»⁴.

5-2- خصائص الاستشراق الفرنسي في الجزائر:

تاريخ الاستشراق طويل ومراحله متعددة وأساليبه متنوعة ووسائله ترتبط بغاياته و يتغير كلاهما بتغير الزمان و المكان⁵، فقد تميز الاستشراق الفرنسي بعدة مميزات و لكنه انفرد في الجزائر بما يلي:

¹ محمد عبد الله الشرفاوي ، الاستشراق و الغارة على الفكر الإسلامي ، دار الهداية ، القاهرة، د ت ، ص 20.

² نقلا عن : هنري ماسي ، الاستشراق الفرنسي في الجزائر ما بين (1830-1930م) ، تر: محمد يحياتن ص 70.

³ نقلا عن : أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء... ، المرجع السابق، ج 6، ص 13.

⁴ نقلا عن : أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء... ، المرجع السابق، ج 2، ص 23.

⁵ أحمد شايب الدور ، الاستشراق الفرنسي و التراث الشعبي في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم

اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات و الفنون- جامعة وهران ، الجزائر، 2010م، ص 34.

الفصل التمهيدي الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر وموريتانيا

- اهتم كثيرا بالآثار الجزائرية حيث عمل على إنشاء اللجان العلمية و منح الرخص للأفراد للقيام بعملية البحث و الجمع و التعريف بالآثار التاريخية في البلاد.¹
- تكوين الجمعيات المختصة و الصحف و الدوريات التي تحفظ المكتشفات التاريخية.
- اهتمام المستشرقين بالثقافة العربية و العمل على نقلها إلى الغرب.²
- أسس المعاهد و المدارس و المراكز الثقافية للعمل على فرنسة المجتمع، معتمدا في ذلك على الرهبان و القساوسة.
- تميز الاستشراق الفرنسي في الجزائر بالازدواجية و الامتزاج بالاستعمار و التبشير، مما جعله أكثر تعصبا ضد العروبة و الإسلام مما زاد في معاناة الشعب الجزائري .
- استهدف إفساد الهوية الجزائرية ببث السموم في آداب المجتمع و نشاطه التعليمي ، و ضرب كل ما له صلة بالحياة الاجتماعية.
- ترك بصماته الواضحة على التعليم في إفريقيا وخاصة في شمالها (الجزائر).³

5-3- إنجازات الاستشراق الاستعماري في الجزائر ورواده:

عندما يذكر الاستعمار الفرنسي للجزائر، يتبادر إلى الأذهان ، مساهمة أصناف المستشرقين بمختلف صفاتهم (عسكريين، رجال دين من قساوسة و رهبان، جواسيس...) الكل طبق سياسته من جانبه لتحقيق مشروع فرنسا الاستعماري⁴، معتمدين في ذلك على دراسة تاريخ الجزائر، بهدف مد السلطة الاستعمارية وكذا تبرير الوجود الفرنسي في الجزائر.⁵

¹ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 14.

² عبدالرؤوف خربوش ، دور المستشرقين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب ، د د ن ، د ب ن ، د ت ، ص 2.

³ بن يحي بركان ، دور الاستشراق الفرنسي و نشاطه في الجزائر-الجانب الاجتماعي نموذجاً ، مجلة الدراسات و

البحوث، ع17 ، الجزائر ، ص 4 - ص 5.

⁴ محمد عبد الله الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص 20.

⁵ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء ...، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 167.

- ويمكن تلخيص أهم إنجازات الاستشراق الاستعماري في الجزائر فيما يلي:
- قاموا بتسخير مجموعة مهمة من المستشرقين لإجراء أبحاث و دراسات تحليلية للتراث الجزائري ، خاصة مجال الآثار القديمة و ترجمته إلى اللغة الفرنسية و نشره.¹
 - بمجرد احتلالهم للجزائر سنة 1830م نشر الفرنسيون كتب المؤرخين و الرحالة العرب كابن خلدون، حيث ترجموا الجزء الخاص ببلاد البربر من كتابه " العبر " إلى اللغة الفرنسية و نشره في جزئين، كما ترجموا كتب البكري و العياشي ، هذا بالإضافة إلى كتابات الأوربيين عن الجزائر خلال العهد العثماني ، و نشروا أيضا مراسلات دايات الجزائر مع فرنسا.²
 - صبغت معظم الدراسات الاستشراقية في الجزائر بنفس الصبغة ، حيث جعلتها تدور في فلك التعرف على التنظيم الاجتماعي للمجتمع الجزائري و علاقة السكان بالدين الإسلامي.
 - اهتموا بدراسة علاقة الجزائريين بالدين الإسلامي ، و مدى تأثير المؤسسات الدينية المختلفة من الطرق الدينية و الزوايا و الكتاتيب في نمط الحياة و توجيه المجتمع.
 - السعي إلى تدمير خصوصيات المجتمع الجزائري ، و إعادة تشكيله على أسس جديدة تجعله مجتمعا خاضعا للسيطرة الفرنسية.³
 - حاربت السلطات الفرنسية اللغة العربية بمختلف الوسائل، و فرضت لغتها الفرنسية . كما وظفت اللغة العربية خدمة لمصالحها الاستعمارية ، بجندة في ذلك فرقة من المستشرقين منهم : القسيس والمدرس، والتاجر، والعسكري أطلق عليها اسم " فرقة المترجمين العسكريين " ، أغلبهم

¹ إبراهيم لونيبي ، بحوث في التاريخ الاجتماعي و الثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة ، الجزائر ، 2013 ، ص 166.

² أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء ...، المرجع السابق ، ج2 ، ص 14.

³ إبراهيم لونيبي ، المرجع السابق ، ص 167.

تلاميذ عميد المستشرقين الفرنسيين سيلفست دي ساسي (DE SACY) و الذي أصدر البيان الفرنسي للجزائريين قبيل نزول الحملة الفرنسية¹.

و بذكر المستشرق "دي ساسي" هذه بعض أسماء المستشرقين الفرنسيين، الذين كان لهم دور بارز في دراسة ونشر التراث نذكر منهم على سبيل المثال :

● **سلفستر دي ساسي (DE SACY) :** يعد هذا المستشرق من أهم المستشرقين الفرنسيين، حيث يعتبر أول مستشرق أوروبي في العصر الحديث يمثل الاستشراق كمؤسسة سياسية تعمل لخدمة الاستعمار الفرنسي ، وتثبيت أركانه في العالم الإسلامي ، حيث كان حلقة الوصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين²، فقد تتلمذ على يديه مشاهير المستشرقين من فرنسيين وألمان وبريطانيين ، ولقد لقبه نابليون بارون عام 1808م بأمر إمبراطوري ، نظير خدماته الكبيرة لفرنسا في مجال الاستشراق³، فقد كلف دي ساسي بكرسي العربية منذ فتح معهد اللغات الشرقي ، ليتم تعيينه من طرف الملك في عام 1778 م عضواً في جمعية كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، حيث حقق أربعة كتب عربية عن فتح اليمن وعلق عليها وحلّ الكتابات الصعبة فيها، ولما بلغ الثانية والثلاثين من عمره أصبح أحد أعضاء مجمع الكتابات والآداب و من طليعة المستشرقين العالميين ، وقد انتدب أستاذاً للعربية في مدرسة اللغات الشرقية فكتب (التحفة السنوية في علم العربية)، والذي طبع وترجم إلى لغات أوروبية عدة ، ثم عين أستاذاً للفارسية في معهد فرنسا، ثم مديراً لمدرسة اللغات الشرقية عام 1833 م. ومن أهم أعماله في الجزائر:

- كان من أهم مستشاري وزارتي الخارجية والحربية الفرنسيتين .

¹ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء ...، المرجع السابق ، ج2 ، ص 23.

² عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، دار العالم للملايين ، بيروت ، 1993م، ص335 .

³ نذير حمدان ، مستشرقون سياسيون جامعيون مجتمعون ، ط 1 ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1988 ، ص62 .

- ترجمة نشرات الجيش الفرنسي الموجهة للشعب الجزائري .
- وقد قام بترجمة الإعلان الفرنسي إلى الجزائريين باحتلال فرنسا للجزائر عام 1830م.¹
- **جون شارل زكار (Zakar):** هو أول مستشرق فرنسي اشتهر بإتقانه اللغة العربية ، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر ، و ارتبط اسمه بالحكام العامين للجزائر منذ عهد "دي بورمون" إلى عهد "المارشال بيجو".²
- كان من أشد المقربين للجنرال "دي بورمون" ، حيث كان يترجم له الرسائل التي يبعثها هذا الأخير إلى "الداي حسين" . ساعد "دي ساسي" في ترجمة الإعلان الفرنسي إلى الجزائريين قبيل دخولها الجزائر³ ، كما كان يعد التقارير الرسمية الموجهة من الحكومة الفرنسية إلى الشعب الجزائري ، كما تولى مخاطبة الأمير عبد القادر ثلاث مرات ، حيث كان الوسيط بينه و بين الإدارة الفرنسية. منح في 3 أبريل 1833م درجة مترجم من الرتبة الأولى ، ثم مترجم رئيس في أبريل 1939م ، ليصبح سنة 1848م مترجما مساعدا.⁴
- **كزافيي كبولاني (Xavier Coppolani):** إداري فرنسي ، هاجر في طفولته إلى الجزائر ، درس اللغة العربية و الدين الإسلامي و اهتم في إطار عمله بالمكاتب العربية ، بدراسة المجتمعات العربية الإسلامية من خلال تقاريره عن دور الطرق الصوفية في الجزائر ، ليصبح من أهم المختصين في شؤون المجتمعات الإسلامية حيث تعدت تجربته حدود الجزائر، لتستخدمه السلطات الاستعمارية الفرنسية في إخضاع موريتانيا إلى الاحتلال الفرنسي، ويصبح واحدا من أهم المستشرقين الفرنسيين في المغرب العربي كما سوف نرى من خلال هذه الدراسة .

¹ وفاء الخميس ، الاستشراق الفرنسي ونشاطه وخصائصه ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الملك سعود ، دت ، ص 14 .

² مسعود بودريالة ، المرجع السابق، ص 6.

³ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء ... ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 23.

⁴ مسعود بودريالة ، المرجع السابق، ص 6.

الفصل الأول

التعريف بشخصية كزافيي كبولاني

1 . كورسيكا مسقط رأس كبولاني.

2 . أسرته.

3- مولده و التحاقه بالجزائر.

4- نشأته و تعليمه.

5- مؤلفاته.

حاولت بهذا الفصل التعريف بشخصية كزافيي كبولاني، من خلال دراسة جزيرة كورسيكا البيئة التي ولد بها و قضى بها السنوات الأولى من حياته، رفقة عائلته و أصدقاء طفولته و بدايته مسيرته بمسقط رأسه قبل انتقاله إلى الجزائر، وبالتحديد إلى نواحي قسنطينة بعد ذلك ليجد نفسه في بيئة مختلفة، سيكتشف من خلالها مجتمعا جديدا سيحاول التأقلم معه، حيث سنسلط الضوء على نشأته وتعليمه، خاصة في ظل ما توفره السلطات الاستعمارية الفرنسية للمستوطنين من امتيازات في الجزائر.

1. كورسيكا مسقط رأسه:

1-1- الموقع :

هي جزيرة فرنسية في البحر الأبيض المتوسط، تقع غربي إيطاليا، وشمال جزيرة سردينيا، وجنوب شرقي فرنسا. وتسمى (قُرْشَقَّة أو قرسقة أو كُورِسْكا أو كُورِسِيكا)، وهي الجزيرة الرابعة من حيث المساحة في المتوسط بعد جُزر (صقلية وسردينيا وقبرص)، وفيها مسقط رأس نابليون بونابرت، ويعتمد اقتصادها على السياحة عموماً، حيث تتركز السياحة عادة في مناطق بروبريانو (Propriano) وبورتو فيكشيو (Porto Vecchio) وبونيفاسيو (Bonifacio) وكالفي (Calvi). يبلغ طول الشريط الساحلي لها نحو 1000 كم. وتضمّ تضاريس متباينة، حيث تشتمل على مرتفعات وجبال أعلاها هو (موني شنتو)، التي يبلغ ارتفاع قمّتها 2706 متراً. هذا بالإضافة إلى 20 قمةً أخرى تصل ارتفاعاتها إلى 2000 متر عن سطح البحر.¹

كورسيكا (la corse) كورس بالفرنسية وهي جزيرة في البحر الأبيض المتوسط ، منفصلة عن البر الفرنسي الرئيسي وسكانها إيطاليون في أصولهم، تقع في غرب إيطاليا ، جنوب شرق البر الفرنسي وشمال جزيرة سردينيا الإيطالية ، وإن كانت تتبع الدولة الفرنسية، حيث تقع على بعد

¹ محمد رفيع، كورسيكا جزيرة الجمال الحائر و مسقط رأس كبولاني، مقال تاريخي، صحيفة الرأي الأردنية الإلكترونية ، <http://alrai.com/article/570407.html>، أطلع عليه يوم 2017/5/21، ص2.

حوالي 185 كم جنوب شرق مدينة نيس و تبلغ مساحتها 8721 كم²، عدد سكانها حوالي 250 ألف نسمة و عاصمتها أجاكسيو و هي إقليم فرنسي يضم قسمين إداريين .¹ كانت كورسيكا جمهورية مستقلة قبل أن يتم احتلالها من قبل فرنسا سنة 1769م، كتب دستورها في الجمهورية الإيطالية، و يعترف في فرنسا باللغة الكورسيكية الأم كلغة إقليمية من قبل الحكومة الفرنسية، أما ثقافة كورسيكا فهي مزيج من العناصر الفرنسية و الإيطالية.²

1-2- جغرافيا كورسيكا:

كورسيكا من أكثر الجزر الجبلية في البحر المتوسط ، تمتد حوالي 183 كيلومترا (114 ميل) في الطول ، وتتسع إلى حوالي 83 كم (52 ميل) ، كما لديها 1.000 كيلومتر (620 ميل) من الساحل ، وأكثر من 200 شاطئ . كما أنها منطقة جبلية جدا ، مع مونت سينتو (Monte Cinto) أعلى قمة في 2.706 متر (8.878 قدم) و 20 قمة أخرى لترتفع لأكثر من 2.000 متر (6.600 قدم) . تتكون الجبال من ثلثي الجزيرة ، والتي تم تشكيلها من سلسلة واحدة .³

تشكل الجبال ثلثي الجزيرة في سلسلة واحدة فالغابات تشكل 20٪ من الجزيرة. كما تمتد لحوالي 3.500 كم² (1.400 ميل مربع) من المساحة الكلية للـ 8.680 كم² (3.350 ميل مربع) المخصصة للمحميات الطبيعية ، وذلك أساسا للمناطق الداخلية .⁴

1-3- كورسيكا عبر التاريخ:

تتبع جزيرة كورسيكا للدولة الفرنسية، منذ ما يزيد عن قرنين وربع القرن. غير أن تاريخها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإيطاليا. فهي كانت تابعة لجمهورية جنوة (إحدى الجمهوريات التي تألفت منها

¹ محمد عتريس ، معجم بلدان العالم ، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2002 ، ص 283.

² المرجع نفسه، ص 283.

³ Paul Raoul , **Histoire de la Corse** , Ed Charles Bayle ,Paris, 1890, pp.152-180.

⁴ محمد رفيع، المرجع السابق ، ص 2.

إيطاليا الحديثة)، حيث أن الحديث عن ولايات إيطاليا، وخصوصاً سردينيا، - يقترن بالحديث عن كورسيكا.¹

فقد انتزع الرومان قديماً السيطرة على الجزيرة من أيدي القرطاجيين، ثم انتزع الروم البيزنطيون السيطرة عليها منهم ثم انتزعها الفَرَنْجِيَّة، ومن ثم المسلمون، ثم تداول السيطرة عليها عدة جمهوريات إيطالية (تسكانيا، وبيزا، وجنوة)، إلى أن حازتها فرنسا، بعد سيطرة جنوة عليها لمدة أربعة قرون وربع تقريباً (1347-1768م).²

جزيرة كورسيكا هي مسقط رأس "نابليون بونابرت" حيث ولد بمدينة (أجاسيو) عام 1769م. فهو من أصل إيطالي، وتعلّم الإيطالية وهو صغير، غير أنّ الجزيرة سقطت في قبضة فرنسا قبل ولادته بسنة، ولهذا كان يتكلم الفرنسية بلكنة إيطالية.

ورغم كل ما سبق، فلا تزال هناك في جزيرة كورسيكا دَعَوَاتٌ لتحريرها من السَّيْطَرَة الفرنسية، وبعضها يحمل طابعاً مُسَلِّحاً. ما يشي بوجود رفض عند شريحة من الكورسيكيين للتَّبَعِيَّة لفرنسا.³ عريباً، يرتبط تاريخ الجزيرة بتاريخ العرب والمسلمين. فقد ذكر أن العرب المسلمين سيطروا عليها أيام عبد الرحمن بن الحَكَم⁴. وذكُر أيضاً عند الحميري: "أن جزءاً كبيراً من سواحل كورسيكا الجنوبية، والغربية كان تحت سلطان المسلمين"، وأنّ "إمارة قُرطبة حازت قَرَسَقَة (أحد الأسماء المعروفة لها في المصادر العربية) أيام الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم (وهو عبد الرحمن الأوسط)⁵،

¹ شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص 140.

² محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 6، ط 2، طبعة الكويت، الكويت، دت، ص 150.

³ جفري براون، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المزروقي، ط 1، المكتبة الأهلية للنشر و التوزيع، عمان-الأردن، 2006، ص 391.

⁴ محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تر: إحسان عباس، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 455.

⁵ حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، تر: عمر عبد السلام التدمري، ج 24، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1992، ص 291. نقلا عن الحميري، المصدر السابق، ص 455.

كما ذكر أن المسلمين كان لهم فيها ميناءان: مرسى البوالص و مرسى الزيتونة. كما ذكر الذهبي أنّ: "العبيديين قد اتخذوا لهم قواعد على سواحل قرسقة ضمن حُطَّتْهم التي كانوا يسيرون عليها في بناء القواعد المحكّمة، والموانئ المحصّنة في سواحل البحر المتوسط؛ طلباً للسيطرة على مياهه، والقَبْض على أزمّة الأمور فيه".¹

وقد كان فتح الأغالبة لجزيرة كورسيكا في سنة 806م ، وأنّ العُبَيْدِيَّين ورثوها عنهم، وأنها بقيت في أيديهم إلى أن سيطر عليها النصارى سنة 930م ، بمعنى أنّ الحُكْم الإسلامي قد دام بها مائة وأربعة وعشرين سنة. و قد كان آخر هجوم للمسلمين على الشواطئ الفرنسية و على كورسيكا أيام الوالي العثماني خير الدين بربروس ، الذي فتح مدينة "نيس" و بقي فيها ما يقارب السنة². وقد ذكر (ول ديورانت) صاحب (قصة الحضارة) عند مبدأ كلامه عن كورسيكا أنّ: "المسلمين قد انتزعوها من الفرنجة إلى أن انتزعها منهم إيطاليو تسكانيا".³

وهنالك رأي آخر يقول: أنّ جزيرة كورسيكا لم تحتلّها قوات إسلامية بالمعنى الصحيح، وأنها التزمت جانب الحِياد في الصراعات الدائرة للسيطرة على مياه البحر المتوسط آنذاك، وأنّ ما يُقال في شأن كورسيكا يُقال في شأن جزيرتي قبرص، وسَرْدَانِيَّة.⁴

¹ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، تر: عمر عبد السلام التدمري ، ج24 ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1992، ص30.

² الكتاني، المسلمون في أوروبا و أمريكا، تر: عمر عبد السلام التدمري ، ج24 ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1992، ص199.

³ حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 291. نقلا عن: نول وايريل ديورانت، قصة الحضارة (الحضارة الرومانية)، تر: محمد بدران ، مج 11 ، مكتبة لبنان، بيروت ، د ت، ص199.

⁴ لويس أرشيبالد ، القوى البحرية و التجارية في المتوسط (500-1100م)، تر: أحمد عيسى و محمد شفيق غريال ، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د ت، ص237.

وفي بداية قيام السلطنة العثمانية، جرى اتفاق بين السلطان العثماني سليمان القانوني مع ملك فرنسا (هنري دي فالو الثاني)، على أن تتحد البحرية العثمانية مع الأسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا، مجازةً لأهالي جنوه المحتلّين لها على مساعدتهم لملك النمسا، ولتكون مركزاً لأعمال الأسطولين البحريين المتحالفين في غزو سواحل إسبانيا وإيطاليا، وأُبرمت بذلك معاهدة بتاريخ 1 فبراير سنة 1553م.¹

تمّ اعتماد الجزيرة في العام 1972 من المناطق ذات الإرث الإنسانيّ، النسبة إلى منظّمة اليونسكو التابعة للأمم المتّحدة، إلى جانب اللغة المحليّة كورسو (Corsu) المهذّدة بالانقراض.²

2. أسرته:

في بيت متواضع جدا مبني بالحجارة و الطين ، يرتكز بيت الأجداد على ثلاثة مستويات تقليدية، ففي الطابق الأرضي المبني بالصخور تأخذ المساحة المخصصة لتخزين العتاد الفلاح وبعض الأدوات و الأدوية الخاصة بالحيوانات حيزا كبيرا منه ، أما الطابق الأول المخصص للسكن العائلي فيتكون من مطبخ صغير تطل نافذته على "خليج بورتو" و غرفة أخرى مخصصة لأفراد العائلة أما الطابق الثاني الموجود بأعلى المطبخ فهو مكان خاص ، عبارة عن شرفة مطلة على ساحة القرية "بيازا كابولانا" (piazza cappelana) .³

من المستغرب عيش عائلة كبولاني الكبيرة في هذا البيت الضيق ، لذلك تجدر الإشارة أنّها كانت تملك بيتا آخر ب رفيندا (Revinda) بمنطقة تدعى كازا (Casa) على الطريق المؤدي

¹ محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح: إحسان حقي ، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص242.

² - محمد رفيع، المرجع السابق ، ص3.

³ George Coppolani , Xavier Coppolani Fils de Corse , Homme d'Afrique Fondateur de la Mauritanie, l'Harmattan, Paris- France, 2005, p 26.

إلى خليج "شجيني" (Chjuni) بالقرب من قرية "كاغجاس" (Cargese)، حيث يقيم رب الأسرة مع مرافقيه للعناية بقطعايمهم طيلة فصل الشتاء، في حين تبقى الأم و بناتها و الأطفال و الشيوخ في المنزل العائلي .

اعتمدت أسرة كبولاني كباقي القرويين في العيش على تربية المواشي، كما يملكون بعض الحدائق القريبة من مساكنهم يستغلونها في زراعة الأعلاف و البرسيم لتغذية الماشية و غرس بعض الأشجار المثمرة . و لكن اقتصادهم الحقيقي يعتمد على زراعة الحبوب لتأمين حاجاتهم من الخبز، و حليب الماعز و مشتقاته من الجبن الطازج و لحوم الماشية، وكذلك الحصول على الخشب اللازم لبناء البيوت أما باقي الأشياء التي يحتاجونها من أواني و لباس فهم يستبدلوها بالمقايضة مع الباعة المتجولين بما ينتجونه من دقيق الخبز و لحوم الماشية .¹

في أطراف قرية "مارينيانا" و على تلة نازلة إلى وادي "بورتو" تمتد أراضي عائلة كبولاني التي غالبا ما يزرعوها شعيرا أو ذرى، بأدوات تقليدية تتمثل في محراث قديم بدون عجلة يجره حمار أو بغل أو ثور. أما المساحة القريبة من ضفاف الوادي فتستغلها العائلة لزراعة الخضر، كما يمارسون الصيد في النهر تحت الصخور أين يصطادون سمك السلمون، و يصنعون الفخاخ من شعر الحصان لصيد الشحور و غيره من الطيور.

يعيش سكان هذه القرى في اكتفاء ذاتي شبه تام، حيث يعتمدون في معيشتهم على تربية المواشي والقليل من الفلاحة الجبلية من الحبوب لتلبية حاجاتهم اليومية من الغذاء. تمثل اللغة والدين اللبنة الأساسية للمجتمع الكورسيكي، حيث يحس كل فرد بالانتماء لمجتمع متضامن أين تتقاطع الروابط الأسرية، التي تمتد إلى القرى المجاورة.

¹ George Coppolani ,op.cit ,p 26

الأب هو من يحكم الأسرة في كورسيكا، لكن مكانة المرأة هي أكثر أهمية مما نعتقد عموماً لأن الرجال في أغلب الأحيان غائبون عن المنازل، يسعون للعمل والسعي بين الجبال والشواطئ. وأمهات غالباً ما تموت أثناء الولادة، وعدد قليل من الشيوخ يتمتعون بالحكمة والخبرة.¹

في كورسيكا يتعود الأطفال على الأعمال الشاقة في عمر مبكر، خاصة في الرعي والاعتناء بالماشية، كما يعودهم الآباء على الاعتماد على النفس، من خلال مرافقتهم في السير لعدة أيام في مسالك جبلية صعبة، وهم يحملون الأثقال و في كل المواسم صيفاً تحت حر الشمس وشتاءاً في العواصف الثلجية، وذلك ليكتسبوا قدرة كبيرة على التحمل و خبرة عن المسالك الواسعة حول قرية مارينيانا وأسرار الطبيعة.²

3. مولده و التحاقه بالجزائر:

من خلال بحثي الذي أجريته عن اكتشاف الحياة الخاصة بكزافيي كبولاني، خاصة فيما يتعلق بتحديد فترة التحاقه بمنطقة سيدي مروان بإقليم قسنطينة، حيث وجدت ثلاثة مصادر مختلفة من حيث النوع و متناقضة من حيث المحتوى فيما يخص مولده وسنواته الأولى بمسقط رأسه و التحاقه بالجزائر:

-الأول هو سجلات أرشيف التاريخ الجزائري في المحفوظات الخارجية بفرنسا في إيكس إن بروفنس، archives d'outre-mer, à Aix-en-Provence.³

وبالنظر إلى خصوصيات حياته المهنية، تقترح المحفوظات ثلاثة ملفات "شخصية"، هذه الأخيرة التي لم تستغل بعد بشكل كبير، يمكن من اكتشاف الحقائق و إزالة الغموض عن الكثير من

¹ George Coppolani ,op.cit , p 26.

² Ibid,p 27.

³ Centre des Archives d'outre-mer, **dossier personnel « Xavier Coppolani »**, Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

المسائل التاريخية الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي ما دامت الجزائر لم تسترجع حقها من أرشيفها المعتصب من طرف السلطات الفرنسية منذ الاستقلال. وعلى الرغم من أنها مخيبة للآمال في جفافها فإنها تحتوي على وثائق غير مستغلة سابقا، والتي من شأنها أن توفر بعض المعلومات القيمة و غير المنشورة.¹

- الثاني هو الكتابات المنشورة التي تطرقت إلى حياته سواء من الكتب أو الجرائد والمجلات والتي بقيت في الغالب قصصية ، مما يحول من حياته وأعماله إلى سلسلة من الحقائق التي تبدو أسبابها ونتائجها غير محددة في بعض الأحيان. وبالإضافة إلى ذلك ، سلطت هذه الدراسات الضوء على مسيرته المهنية في البلدان المغاربية و نخص بالذكر طبعاً موريتانيا التي اقترن اسمه باحتلالها بشكل كبير و القليل من المعلومات عن أعماله الجزائر ، حيث كان معظمها مستوحاة من كتاب واحد فقد و هو الكتاب الذي اعتمدت عليه باقي الكتابات المنشورة ، من خلال سيرته المنشورة في صفحات كتاب صديقه " روبرت أرنو " (Robert Arnaud)² بعنوان:

" Hommes Un Corse d Algerie , chez les Bleus "³

¹ Cécile Frébourg , **Coppolani Revisite** , R.H Française .O-M, tome 80,n°301,4^e trimestre 1993, p 617.

² روبر أرنو (Robert Arnaud) : و يعرف أيضا في الإدارة الفرنسية باسم روبر راندو ، لأن اسمه الكامل (Robert Randau Alias Arnaud) زميل كبولاني و صديقه الحميم ، ولد بالجزائر سنة 1873، كان عضوا في اللجنة التقنية المختصة في السودان رافق كبولاني إلى تومبكتو ثم موريتانيا ، كان لديه مناصب عليا في فترة ما بين الحربين العالميتين في السودان الفرنسي فولتا العليا ، ترك العديد من المؤلفات المهمة حيث كرس عمله الأخير في كتابه حول حياة كبولاني بعنوان (Un Corse d Algerie chez les Hommes Bleus) ، و كتابه المهدى إلى زميلهما في عملية التوسع الاستعماري في موريتانيا النقيب فيرجينان (Frérejean) حول مهمة (تكانت-أدرار) . ، توفي سنة 1950. ينظر:

Geneviève Désiré-Vuillemin, **Coppolani en Mauritanie**, In R.H des colonies, tome 42 , n148-149 , troisième et quatrième trimestres 1955 ,p291.

³ Robert Arnaud, **Un Corse d Algerie chez les Hommes Bleus** , Imbert ,Alger,1939,p1.

__ و كذا الكتاب الثالث الذي تناول حياته أيضا من تأليف حفيده جورج كبولاني (George Coppolani) حول حياة كزافيي في كتاب بعنوان:

"Xavier Coppolani, Fils de corse, Fondateur de la Mauritanie.¹"

وفيما يلي سنستعرض الروايات الثلاث ، ثم من خلال تحليلهما سنتمكن من التقرب من ترجيح صحة إحداهما على الأخرى، لاكتشاف الحقيقة عن هذه الشخصية التي أسالت الكثير من التساؤلات ،حول حياته الشخصية و دوره خاصة في الجزائر، لأن كل هذه الأعمال المكتوبة في ذكرى كبولاني تناولت فقط دوره وإنجازاته في احتلال المجال الموريتاني، لكنها ظلت غامضة ومتناقضة حول طفولته وبداياته في الجزائر.

● حسب كتاب صديقه روبرت أرنو (و باقي روايات كتب حول سيرته الذاتية):

ولد كزافيي كبولاني في قرية مارنيانا (Marignana) قرب مدينة إيفيزا التي تبعد حوالي 75 كيلومترا عن مدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا في 1 فبراير سنة 1866م، وهي جزيرة منفصلة عن البر الفرنسي الرئيسي وسكانها إيطاليون في أصولهم، وإن كانت تتبع الدولة الفرنسية. وتتسم هذه الجزيرة بالفقر الشديد، ولذلك اشتهر أهاليها بالانحراط على أوسع نطاق في صفوف أجهزة الإدارة الاستعمارية الفرنسية من باب البحث عن لقمة العيش، لانعدام الفرص في جزيرتهم الأصلية. وكبقية سكان هذه الجزيرة ارتحل دومينيك كبولاني والـد كزافيي في سنوات طفولة الأخير الأولى وراء فرص العمل في الإدارة الاستعمارية في الجزائر، حيث استقر بالأسرة في منطقة سيدي مروان بإقليم قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، التي تلقى فيها كزافيي الطفل تعليمه.²

¹ George Coppolani , **op.cit** , p1.

² Robert Arnaud, **op.cit** , p8.

قضى كبولاني الطفل السنوات العشر الأولى من حياته في كورسيكا قبل أن يغادرها حاملا ذكريات كثيرة عن أرضه الأصلية مثل تصرفات والدته ، ورائحة الجبل، وذوق عصيدة من دقيق الذرة، والمغامرات والتحديات التي واجهته في الصغر وتغلب عليها، و ذكريات طفولة تميل نحو الخرافات.

لم يكن كبولاني ذلك النموذج من أطفال المدارس الذي يتغنى به مايسترال (Maistrale) أحد الشعراء في كورسيكا حيث كان يرتاد مدرسة بويسون نيار "buisson- Niere" حيث كان من النوع المتمرد ، لقد كان يعرف كل أعشاش الطيور الموجودة في أشجار الغابة، وأعداد البيض فيها ... و كان يمشي حافي القدمين ، كان يتسلق أشجار الكرز كالقرد ، و كان زملاؤه دائما في حالة ترقب عندما يتوجه للمعركة على الضفة من نهر بورتو، ضد أبناء القرى المجاورة .¹

• حسب ملفات الأرشيف الفرنسي :

ولد كزافيي كبولاني (Xavier Coppolani) في 1 فبراير 1866م في مارينيانا (Marignana)² ، وهي بلدة صغيرة تقع على بعد 30 كم شمال أجاكسيو. والده، دومينيك كبولاني (Dominique Coppolani)، الراعي ، وزوجته من عائلة لوسيانى (Luciani) لديهما خمسة أطفال حيث أن كزافيي هو الابن الأصغر .³

¹ Geneviève Désiré-Vuillemin , **op.cit** , p 617 .

² تقع مرينيانا بأعلى هضبة إيفيزا (Evisa)، على ارتفاع 600 م عن الضفة الجنوبية لوادي "بورتو" (porto). تتكون القرية من مجموعة من مجموعة أحياء ، حيث يقع بيت أسرة كبولاني على تلة (capu supranu) وتحت قبة اقترن اسمها بأسرة كبولاني منذ الأسلاف الأوائل .و كغيرهم من سكان القرية لديهم جدار مشترك مع بيت الجيران الذين كانت تشغله أسر من الأقارب لفترات طويلة. ينظر:

George Coppolani , **op cit**, p 25.

³ Centre des Archives d'outre-mer, **dossier personnel « Xavier Coppolani »** , Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

وتفيدنا سجلات الأحوال المدنية بأن الأسرة كانت أمية لا تجيد القراءة و لا الكتابة ، و كما هو متوقع في مثل عادات هذا النوع من الأسر ، تزوجت الفتيات في بلدتهم من رجال فلاحين في حين أصبح الأبناء رعاة أو مزارعين ، فقط كزافيي الذي كان لديه الفرصة للذهاب إلى المدرسة .

كما تفيد التقارير أن الجار المباشر، المعلم جان-نويل بينيلي (Jean-Noël Pinelli)، أحد الأقارب و هو من أصهار الأسرة ، قد اكتشف القدرات الخاصة لكزافيي إذا ما التحق بمقاعد الدراسة. وعلى أي حال، فإن التقارير حول نشاطات عائلة كبولاني تبين أن الأسرة كانت تعيش بطريقة غير مستقرة، وأنها بالتأكيد كانت تضحى بنفسها لتعليم الصبي .¹

في العام 1878-1879م ، دومينيك كبولاني رأى نفسه مضطرا لتقديم طلب لمحافظ البلدية للاستفادة من التعليم المجاني لابنه . على الرغم من أن لدينا القليل من المعلومات حول دراسته في كورسيكا، ونحن نبحث سجلات عملية إحصاء السكان التي أجريت حتى عام 1881، حيث تأكد السجلات وجود العائلة بعنوانها المذكور بمسقط رأسه . وبالمقابل أيضا ، لا توجد طلبات للترحيل إلى الجزائر أو أي منح امتياز إلى مركز تسوية سيدي مروان أو القرى المجاورة الأخرى مكتوبة باسم دومينيك كبولاني .²

وهكذا، خلافا للافتراضات في كتاب السيرة الذاتية الذي كتبه صديقه روبر آرنو (Robert Arnaud) حول حياة كزافيي في كتاب بعنوان:

(Xavier Coppolani, Fils de corse, Fondateur de la Mauritanie)

الذي يفسر انجذاب كزافيي كبولاني للإسلام والحضارة العربية في طفولته مع والديه بسيدي مروان

¹ Cécile Frébourg ,op.cit, p 617.

² Centre des Archives d'outre-mer, dossier personnel « Xavier Coppolani » , Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

في قسنطينة في سن العاشرة (10) من خلال دراسته في الجزائر و تعلمه للغة العربية و الدين الإسلامي و تعلقه بالتخصص في هذا الميدان المهم الذي يشكل أساس المجتمع الجزائري الذي أصبح كزافيي الطفل جزءا منه¹ ، كما سنرى في إطار تطرقنا لمشواره الدراسي منذ التحاقه بالمدرسة بمسقط رأسه الجديد إلى غاية تخرجه من كلية الحقوق بالجزائر² .

• حسب كتاب حفيده جورج كوبولاني:

ولد كزافيي كوبولاني "Xavier Coppolani" في 1 فبراير 1866م في مارينيانا (Marignana)، وهي بلدة صغيرة تقع شمال مدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا . والده دومينيك كوبولاني "Dominique Coppolani" المولود (1827-1901) ، و أمه جياسينتا صافريا " Giacinta saveria " المولودة (1826-1902) ، كزافيي هو الابن الأصغر من بين خمسة أبناء هم : - الابن الأكبر أنتون فرانسيسكو " Antone Fransisco" المولود سنة 1848م .

- البنت الثانية ماريا آنا " Maria Anna " المولودة سنة 1850م.

- البنت الثالثة ماري فرانسواز " Marie Françoise " المولودة سنة 1854م.

- الابن الرابع توسان " toussaint" المولود سنة (1866-1905م).³

كان كزافيي مثل أقرانه و منذ صغره مهتما بالنشاط الاقتصادي ، حيث لم يكن هناك تعليم بالجزيرة قبل منتصف القرن 19م . إخوته كلهم أميين مثل أبويه و باقي أفراد الأسرة و كذا هو حال باقي أهل القرية قبل 1850م .

قبل أن يؤسس جول فيري في عهد الجمهورية الثالثة التعليم العمومي الإجباري في 1882م ، لم يكن التعليم مجاني بل مقابل أجر و في بعض المدارس القليلة ، و التي كانت تستقبل في حالات

¹ Cécile Frébourg ,**op.cit**, p 617.

² Robert Arnaud ,**op.cit** ،p 12.

³ George Coppolani , **op.cit** , p20.

استثنائية الأطفال الفقراء ، حيث نُجذ طلبا باسم كبولاني للالتحاق بالمدرسة عام 1878م ولحسن حظه قرابته للمعلم **جان نوال بيلي "Jean Noel Pinelli"** الذي تجمعه صهارة بعائلة كبولاني حيث تزوج مرتين بنات عم والد كزافيي، **جيديث كبولاني "Judith Coppolani"** و بعد موتها تزوج من أختها **"ماري" "Marie"** .

كان للمعلم ولدان **"شارل"** و **"جان لوك"** في نصف عمر كزافيي ، و كما يقال قد ترعرعوا تحت نفس السقف ، كان المعلم **"جان نوال"** يهتم بتنمية ثقافة كزافيي مثلما يفعل مع أبنائه ، لكن من الصعب في ظل الظروف التي يعيشها من الفقر التحاقه بالمدرسة الابتدائية .¹

لكن الشيء الذي يغير كل الأحوال هو زواج أخته **ماريانا "Mariana"** الأخت الكبرى لكزافيي عمرها 16 سنة، و التي تزوجت في 1879م بأحد المعمرين الكورسكيين **جان لوغارو "Jean Lugaro"** ، و الذي استقر بالجزائر حيث انتقل مع زوجته للعيش في منطقة سيدي مروان في جنوب منطقة القبائل الصغرى بين الميلية و قسنطينة. من بين كل سكان كورسيكا سوف تضع أفاق لأسرة كبولاني في الجزائر ، خاصة و أن **"جولي"** و **"فاردناند"** إخوة لوسيانا والدة كزافيي قد استقروا هناك منذ مدة ، حيث ولد ابن أخيها الأكبر بالعاصمة سنة 1843م والتي عاد إليها فيما بعد ليبدأ في مشواره في الإدارة الفرنسية. أما ابن شقيقها الثاني **"جان دومينيك لوسيان"** المولود في 1850م وبعد نجاحه في الإدارة أصبح مديرا لشؤون المسلمين في الحكومة العامة بالجزائر .بذلك كزافيي صاحب 13 سنة سوف يلتحق بأخته بمنطقة سيدي مروان بالجزائر .²

من خلال الروايات الثلاث ، نلاحظ أنها تتفق كلها على نفس تاريخ مولد كزافيي كبولاني ، في 1 فبراير 1866م بقرية مرينيانا قرب مدينة أجاكسيو، لكنها تختلف حول تاريخ مغادرته كورسيكا

¹ George Coppolani , **op.cit**, p28.

² **Ibid** , p29.

مسقط رأسه نحو الجزائر ، و بالتالي حقيقة التحاقه بالمدرسة الابتدائية العادية بقسنطينة ، حيث وجدنا ما يلي :

إذن ففي الطرح الأول نسبة لأغلب الكتب المنشورة حول سيرته الذاتية ، و المنقولة عن رواية صديقه "أرنو" ، نجد أن الطفل كزافيي كبولاني هاجر إلى الجزائر مع عائلته بحثا عن فرص العيش، وهو في سن العاشرة من عمره أي في سنة 1976 م، حيث التحق بالمدرسة الابتدائية العادية بسيدي مروان بقسنطينة.¹

أما الطرح الثاني فهو هذه النتيجة التي وجدناها في تقارير الأرشيف الفرنسي (**Centre des Archives Nationale d'outre-mer**) التي ترجح بأن كزافيي كبولاني لم يتلقى تعليمه الابتدائي بالجزائر، حيث جاء إلى الجزائر وهو في سن المراهقة (16) ستة عشر سنة أي في سنة 1982م.²

تفيد التقارير أن كزافيي اختار و هو في السادسة عشر من عمره الهجرة إلى الجزائر للالتحاق بأخته، واضعا نصب عينيه تجربة ابن عمه الناجحة في الجزائر ،حيث وعد بأن يكون بارعا في الدراسة و التعلم لتحقيق أهدافه هناك . وكذلك اخذ العبرة و المثل من أحد أعمامه من أسرة أمه، توسان لوسيانني (Toussaint Luciani) ، الذي كان الأمين العام لمحافظة قسنطينة. فاحتمالات النجاح بالنسبة لكزافيي في الجزائر بما تقدمه من امتيازات للمستعمرين كانت أكبر ، و التي من المستحيل تصور وجودها في كورسيكا ، لا يمكنها إلا أن تجتذب الشاب كزافيي كبولاني صاحب الأحلام الكبيرة.³

أما الطرح الثالث وفقا لحفيده جورج كبولاني في كتابه عن سيرة جده كزافيي كبولاني ، لم يغادر كزافيي كورسيكا حتى حوالي عام 1879م، أين التحق بالجزائر وانضم كزافيي إلى أخته

¹ Robert Arnaud , **op.cit** , p 8.

² Centre des Archives d'outre-mer, **dossier personnel « Xavier Coppolani »** , Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

³ Cécile Frébourg , **op.cit**, p 617.

بمنطقة سيدي مروان بإقليم قسنطينة في سن الثالثة عشر (13) ، و هي زوجة مستعمر من كورسيكا و اسمه جان لوغارو (Jean Lugaro).

ولذلك يستغرب حفيده أن روبرت أرنو (Robert Arnaud) لم يكن يعرف كل هذه التفاصيل أو حتى تجاهلها أيضا في كتابه عن صديقه و رفيق دربه كزافيي كبولاني بعنوان: " Un Corse d Algerie chez les Hommes Bleus "

لأنه يبدو من غير المرجح أن أرنو لم يكن صديق كبولاني منذ بدايات الجزائر ، لأنه لم يعرف الشيء الكثير عن عائلته إلا من خلال والده أنطوان أرنو (Antoine Arnaud) ، مترجم من شؤون السكان الأصليين، وعمل مترجما رسميا في خدمة جان دومينيك لوسيان (Jean Dominique Luciani)¹ ، الذي كان من أبناء عمومة كزافيي كبولاني.²

■ من خلال دراستنا لشخصية كبولاني و تتبعنا لسيرته الذاتية، و تحليلنا لكل المعلومات المنشورة عنه خاصة ما تعلق بمرحلة طفولته و التحاقه بالجزائر ، فقد لاحظنا ما يلي :

اعتمدت أغلب الكتب المنشورة حول كبولاني على الطرح الأول، أي سيرته الذاتية التي نشرها صديقه روبرت أرنو، كونها أول ما كتب ونشر عنه بكل صغيرة وكبيرة، من سيرته الذاتية. فقد لمسنا من خلال بحثنا فيها جانبا كبيرا من الواقعية، و التفاصيل الدقيقة عن كبولاني و عن أسرته حتى فيما يخص مرحلة طفولته بقرية مارينيانا بجزيرة كورسيكا، و هي نفس الرواية التي وجدناها في جميع ما كتب عنه ، أي حتى في المصادر المتناقضة مع هذا الرأي. بذلك يبقى الاختلاف الوحيد حول تاريخ التحاقه بالجزائر و بالمدرسة الابتدائية بقسنطينة، و في هذا يمكن ترجيح أحد الروايات

¹ جان دومينيك لوسيان (Jean Dominique Luciani): من أبناء عمومة كزافيي كبولاني، ولد في 3 جويلية سنة 1851م بمدينة إيفيزا بجزيرة كورسيكا، تحصل على شهادة البكالوريا ثم درس الحقوق، لينخرط بعد ذلك في صفوف الجيش الفرنسي بالجزائر. شغل العديد من المناصب أهمها: إداري بالبلديات المختلطة في العديد من أكبر البلديات في الشرق الجزائري (1877-1885) و كذا رئيس دائرة قسنطينة ، ثم نائب رئيس المكتب السادس لشؤون السكان الأصليين في الحكومة العامة في 25 ديسمبر 1888م، ثم رئيسا له بداية من سنة 1907م. تقاعد سنة 1919م. ينظر: الموقع الإلكتروني: https://fr.wikipedia.org/wiki/Jean-Dominique_Luciani. اطلع عليه يوم 2017/1/22.

² George Coppolanie , **op.cit** , p 27.

الأقرب إلى الواقع و هي الرواية الأولى التي تفيد بأن كبولاني التحق بالمدرسة الابتدائية بسيدي مروان بقسنطينة في سن العاشرة، أي في سن مبكرة سمحت له بالاحتكاك بالمجتمع الجزائري و بتعلم اللغة العربية وهذا فعلا ما يفسر حصوله على شهادة اليسانس في اللغة العربية سنوات بعد ذلك ، و سر تحدته بها بطلاقة ونجاحه في مشواره المهني في اختراق المجتمعات العربية الإسلامية في الجزائر و في موريتانيا.¹

في حين تبقى الرواية الأخرى بعيدة عن الواقع ، حيث تتناقض في آرائها حين تذكر أنه التحق بالجزائر في سن المراهقة 16 عشر سنة و لم يدخل المدرسة الابتدائية بقسنطينة ، لكن في نفس الوقت تخرج بعد ثلاث سنوات من مدرسة تكوين المعلمين بها ، ثم مباشرة بعد ذلك تخرج من كليتي الحقوق و الآداب بالجزائر العاصمة بشهادتين الأولى في اللغة العربية و أخرى في الحقوق، ضف إلى ذلك درايته الواسعة بالدين الإسلامي و تأليفه كتاب كبير و مهم بحجم "الطرق الصوفية الإسلامية" و هو عمل يحتاج إلى سنوات من البحث والجهد إلى جانب إتقان اللغة العربية وعادات وتقاليد المجتمع الإسلامي ، و هذا شيء غير معقول طبعاً أن ينجز مراهق لا يفقه شيئاً عن هذا المجتمع الجديد و الغريب كل هذه الانجازات الخارقة (تعلم اللغة العربية بإتقان ، و دراسة الدين الإسلامي و تأليف كتاب بحجم كبير و بكل التفاصيل) في ظرف ثلاث سنوات ، هذا من جهة.²

و من جهة أخرى ، اعتمد هذا الطرح فقط على سجلات الإحصاء التي أجرتها السلطات الفرنسية في كورسيكا، و التي تذكر فقط أن العائلة و في هذا التاريخ ، كانت لا تزال متواجدة بالعنوان المذكور ، و لا تؤكد وجود الطفل كزافيي مع العائلة³ . و هذا إن دل على شيء فهو يدل فقط على إمكانية عدم انتقال كل أفراد عائلة كبولاني ، و انتقال الطفل كزافيي وحده ليلتحق

¹ Robert Arnaud , **op.cit** , p 8.

² Cécile Frébourg , **op.cit**, p 617.

³ Centre des Archives d'outre-mer, **dossier personnel « Xavier Coppolani »** , Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

بأخته التي هاجرت رفقة زوجها إلى سيدي مروان بالجزائر كما ذكرنا سابقا من خلال رأي حفيده جورج كبولاني الذي يمكن أن يكون قد صدق في هذا الجانب فقط¹. و بالنظر كذلك لنوعية المصدر آلا و هو سجلات الأرشيف الجزائري المصادرة من طرف السلطات الاستعمارية وما شابها من تحريف وتغليط للحقائق بما يخدم مصالح فرنسا الاستعمارية ، ففي مثل هذه الحالة حاولت إغفال و نفي دور الجزائر في تكوين شخصية الطفل كبولاني ، ليبقى الفضل في إنجازاته الاستعمارية في نظرها للدولة الأم فرنسا طبعاً، وهي التي تذكر في نفس الوقت بأنه وعائلته هاجروا بحثاً عن فرص العمل في الجزائر لأن قريته مارينيانا هي قرية فقيرة ومحرومة. وبالتالي لا يمكن الأخذ بهذا الطرح.

أما عن رواية حفيده جورج كبولاني فقد اعتمد فيها على المصدرين السابقين ، حيث أخذ من المصدر الأول (كتاب روبير أرنو) حياته المهنية و إنجازاته في الجزائر و موريتانيا ، و أخذ مرحلة طفولته عن المصدر الثاني (الأرشيف) ، كما اعتمد فيما تبقى بشكل كلي على كتاب صديقه روبير أرنو (Robert Arnaud)². و تناقض فيما يخص التحاقه بالجزائر وتكوينه من خلال نشأته و دراسته بين المصدرين ، و هو أيضا أمر مستبعد ، أراد الكاتب من خلاله إعطاء حل وسط بين الروايتين فقط، ليذهب إلى اقتراح وسط وهو التحاقه بالجزائر و بالمدرسة الابتدائية بقسنطينة في سن 13 سنة.³

■ نستنتج من خلال دراستنا و تحليلنا للحقائق و المعلومات حول التناقضات التي مست مسألة الاختلاف حول نشأة كبولاني و التحاقه بالجزائر و دراسته بها ، و مما سبق لنا من تحليل لكل رأي و نقد للمصادر المذكورة ، يمكن القول بأن الرأي الأصح و القريب إلى الواقع بالنظر لباقي الأحداث و جوانب حياته الأخرى هو: ما ورد في كتاب صديقه الحميم روبيرت أرنو: (Robert Arnaud) أن كبولاني التحق بالجزائر و بالمدرسة الابتدائية فيها مبكراً في سن

¹ George Coppolani , **op.cit** , p29.

² Cécile Frébourg , **op.cit**, p 617.

³ **Ibid**, p29.

العاشرة ، وهو ما يفسر فعلا استفادته من الوقت الكافي من طفولته في تعلم اللغة العربية ، ومواصلة تكوينه في مدرسة تكوين المعلمين فيها، وكذا تحصيله على شهاداته العليا بكليات الجزائر، توازيا مع دراسته وتخصصه في تحليل المجتمعات الإسلامية في إطار مهامه الإدارية ككاتب بالبلدية المختلطة لواد شارف بمنطقة سيدي مروان بإقليم قسنطينة، من خلال كتابه في الجزائر بعنوان "الطرق الصوفية الإسلامية"، و التي ساهمت كلها في تكوين الشخصية الإدارية وصقل موهبته في اختراق المجتمعات الإسلامية، لخدمة مصالح فرنسا الاستعمارية في التوسع انطلاقا من الجزائر نحو دواخل إفريقيا.

كما تعتبر سيرته الذاتية التي وردت في هذا الكتاب، هي المصدر الوحيد الذي اعتمدت عليه جميع المراجع الأخرى في سرد جميع المعلومات، فكيف تختلف معه فقط في تاريخ انتقاله إلى الجزائر معتمدة على مجرد إحصاء عادي قامت به الإدارة الفرنسية سنة 1882م، والذي يقتصر فقط على ذكر وجود العائلة بالعنوان المذكور في تلك الفترة، و هذا ليس دليلا على وجود كزافيي بها آنذاك.¹

3-1- قسنطينة محطة كبولاني الجديدة:

عرف إقليم قسنطينة منذ احتلالها توافدا كبيرا لهجرات المعمرين الأوربيين ، حيث كان عددهم يزيد سنة بعد أخرى ، حيث ابتداء إرساء المستوطنات الفرنسية تقريبا مع نشأة المكاتب العربية ، التي كانت تعمل على إعداد و تهيئة الأراضي للهجرات الأوربية إلى الجزائر. و هكذا كان الاستيطان بتأييد و دعم من النظام العسكري عن طريق مؤسسة المكاتب العربية قد بلغ أوجه بعد سنة 1860م ولم تترك المخططات الاستيطانية بمنطقة قسنطينة سوى المناطق الجبلية .²

¹ Centre des Archives d'outre-mer, **dossier personnel « Xavier Coppolani »** , Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

² صالح فركوس، تاريخ قسنطينة- مما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال ، ج 1 ، القافلة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2016، ص380.

و كما ذكرنا سابقا فقد استقر الكثير من أفراد عائلة كبولاني بهذه المستعمرات و بالتحديد بمنطقة سيدي مروان التي عرفت هجرات المعمرين من جزيرة كورسيكا.

في ناحية هذه القرية التي بنيت من أجل المستوطنين الوافدين من جزيرة كورسيكا ذوي الأصول اليونانية و الإيطالية ، كزافيي سوف يكتشف بدوا يتضورون جوعا وصلوا إلى أقصى حدود البؤس والمحتمين تحت خيم بدائية (يذكر الكاتب هذا الوصف دون مهملا أو متناسيا أسبابه التي هي نتيجة السياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة على الشعب الجزائري المحروم من خيرات و من بلده). فبالقرب من سيدي مروان يعيش الكثير منهم في أكواخ ، يحرثون أراض قاحلة حصوية، لا تنتج إلا القليل من سنابل القمح . سيدي مروان الواقعة في شمال الجزائر أين تصل نسبة التساقط إلى 400 مم و هي بعيدة عن نسبة منطقة مارينيانا و عن رطوبة منطقة سبيلونسا .

الإدارة الفرنسية قد منحت بسخاء للمستوطنين أراضي الوقف العثماني الغير مستغلة من طرف السكان المحليين (حسب رأي الكاتب الذي يبرر دائما تسلط السياسة الفرنسية في الجزائر)، لكن من دون توفير الوسائل الفلاحية الأساسية إذا استثنينا البستنة و تربية المواشي التي اعتادوا عليها في جزيرتهم قبل القدوم إلى الجزائر، ما يجعلهم قادرين على إنقاذ مواشيهم .

لالتزامات تنظيمية و شروط أمنية كان لابد على المستوطنين الجدد بناء بيوت و الاحتماء داخل محيط القرية . لعب الكورسيكيون بفضل مهن الأجداد مثل البناء و النجارة دورا كبيرا في تغيير البيوت الخشبية الحارة صيفا و الباردة شتاء و بناء الإسطبلات للمواشي.¹

في أول اتصالاته مع الأرض الإسلامية من الجزائر، لا يوجد أي دليل أو شهادات حية عن اتصالاته الأولى بهذه الأرض و هذا المجتمع الجديد التي يمكن العثور عليها في محفوظات الأرشيف

¹ George Coppolanie ,op.cit, p31 .

الجزائري . إذا في هذه البلدة الصغيرة سوف يبدأ مشوار كزافيي كبولاني في الجزائر مع اللغة العربية والإسلام .¹

4- نشأته و تعليمه :

للعيش في بلاد الجزائر أدرك كبولاني أن أي شيء في حياته لن يتطور من دون أمن واستقرار و هذا الشيء الذي سيدركه بعد التحاقه بالإدارة الفرنسية ، أين سيلمس في نفوس السكان المحليين حاجتهم إلى السلم كما سيكتشف في الفلسفة الإسلامية ما يسمى بالمكتوب وهو أن قدر الله سيكون ، هذا لم ينقص من عزيمته فهو شاب نشيط و مثابر و ينتهز كل فرصه تتاح له، وجد في شيوخ الجزائر ما عند نظرائهم في كورسيكا من تلقينهم للأجيال الثقافة المسموعة من خلال حكايات الماضي، نفس شعر الإشارات والأشغال اليومية حتى أشغال النساء من جلب الماء من البئر والحمل في سن الشيخوخة و الأشغال التقليدية و الغزل و النسيج .

كل هذه الأشياء الجديدة ستحمسه و تزيد فضوله في اكتشاف المزيد، عن هذا المجتمع الجديد الذي يحس باختلافه و قربه في نفس الوقت. مختلف من حيث اللغة و الدين ، و متقارب من حيث طريقة و نمط العيش في كورسيكا، هيكل الأسرة و السلطة الأبوية ، و التحالف بين القبائل التي تجمعها الروابط الأسرية و المصاهرة بالإضافة إلى تبادلهم المنافع الاقتصادية (مساحات للرعي، و الآبار المشتركة للسقي ، و المقدسات الدينية ...) في جو من البساطة و الفقر .

حيث وجد في المجتمع الجزائري نفس الشروط التي تضمن الحد الأدنى من احتياجاته ، ونفس الحقوق العرفية التي يضمنها الإسلام من هنا و هناك ، مع بعض الإضافات بل أكثر من ذلك بكثير مجتمع أقل فقرا و تقشفا و عنفا من موطنه الأصلي ، و أكثر ميولا إلى عدالة فردية وسط مسؤولية جماعية ، التضامن في وقت الشدة و الأحزان ، بعض الممارسات الدينية المشوبة

¹ Geneviève Désiré-Vuillemin , **op.cit**, p292 .

بالخرافات و مخاوف الأجداد ، و الخوف من ظلام الليل و تعويذاته و الاستسلام لقوى جبارة قادرة على كل شيء.¹

من خلال المشاركة في الألعاب مع الأطفال الجزائريين سيصبح كزافيي واحدا منهم ، حيث سيفهم عقليتهم و يعرف طريقة تفكيرهم و تفاصيل ردود أفعالهم ، معهم سيتعرف على الحصان كما اعتاد في قرينته على الحمير و البغال في كورسيكا ، كما كان يشاركهم السباقات على الطريق الحصوية بعيدا عن كل مراقبة ، فقد كان ينقل عنهم الأفعال و العادات من خلال تقليدهم ، كما اكتشف الرموز التي تتحكم في سلوكياتهم الدينية ، و يتحدث لغتهم و يأخذ من ثقافتهم ، فهو بالتالي يقوم بتكوين شخصية تمكنه في المستقبل من تجسيد سياسة تخدم وجود الفرنسيين في الجزائر وحتى تطبيقها على امتداد واسع في إفريقيا .

من هذه الوضعية يمكن أن نستنتج أن كبولاني و بغض النظر عن الكورسيكيين كان من المستحيل عليه الاحتكاك بالأوروبيين، وذلك لأنه لم يكن دركيا أو موظفا إداريا ، فمن يأبه بمهاجر مراهق كغيره من المهاجرين مع أسرهم بحثا عن لقمة العيش .²

لكنه سيكتشف انتماءه لفرنسا لأول مرة من خلال احتكاكه بالأطفال الفرنسيين من أبناء المدن بعد ذلك عند التحاقه بمدرسة المعلمين في قسنطينة ، ويتعلم مبادئ الثورة الفرنسية و ينشرها من خلال التوسع في مناطق مختلفة من العالم ، ليس لأسباب استعمارية اقتصادية بل لنشر الأفكار الحضارية و تطوير الشعوب التي تعاني من البؤس و الحرمان (كما تدعي السلطات الاستعمارية الفرنسية طبعا) ، هذه الفكرة التي تعلمها كزافيي عن طريق اكتساب معارف تطبيقية و تطويرها وتجسيدها فيما بعد على ارض الواقع من خلال إجراء تحقيقات في عمله بالإدارة الفرنسية ، حيث خلص إلى فكرة مفادها : " أن الأخوة الدينية أو الطرق الصوفية تهدف إلى

¹ George Coppolanie , **op.cit**, p32 .

² **Ibid**, p33.

إعادة فكرة الخلافة الإسلامية وبالتالي القضاء على كل سلطة للقوة غير الإسلامية المحتلة في أرض الإسلام".

قابل كبولاني في مقاعد المدرسة العادية أطفال من مختلف الأنساب اغلبهم جاؤوا من المناطق الفقيرة في فرنسا، وحتى من أفقر بلدان حوض البحر المتوسط.¹ حيث بمجرد وصوله إلى إقليم قسنطينة بالجزائر، ولمواصلة تعليمه الذي كان قد بدأه بمسقط رأسه مثلما رأينا في بعض المصادر التي تذكر التحاقه بالمدرسة المسيحية الكاثوليكية بمارينانا حيث تلقى مبادئ الثقافة الإغريقيويزنطية (Grigo-Bizantyne)، التحق كبولاني بالمدرسة الابتدائية العادية بسيدي مروان حوالي سنة 1980م ، و التي أمضى بها ثلاث سنوات قبل انتقاله سنة 1883م إلى مدرسة تكوين المعلمين بقسنطينة ، التي تخرج منها سنة 1886م بشهادة لممارسة مهنة التعليم.²

في هذه الفترة كانت فرنسا قد بدأت سياستها التوسعية الاستعمارية باحتلال تونس و بداية التوسع و الامتداد في إفريقيا السوداء (إفريقيا الغربية) ، وقد ساهمت المدارس الفرنسية في غرس هذه الأفكار الاستعمارية في التلاميذ من خلال مناهج بأفكار سياسية مستوحاة من أفكار "جول فيري" و المبادئ التوسعية للإمبراطورية الفرنسية و الترويج لفكرة نشر الحضارة و رسالة الرجل الأبيض ، هدفهم من ذلك تكوين إطارات مستقبلية في الإدارة الفرنسية بواسطة الاستثمار في تلاميذ المدارس.

إذن في المدرسة العادية سيتعلم كزافيي مزيجا من الأفكار العلمانية و التقدمية و الاستعمارية. كزافيي ذلك الطفل الفقير القادم من منطقة فقيرة سيتعلم في هذه المدرسة وينشا على مثل هذه

¹ George Coppolanie , **op.cit**, p34 .

² Edgar Scotti , **Les Uniates du Péloponnèse**, l'Algerianiste (Revue d'Expression de la Culture des Français d'Afrique du Nord) , N°88 de décembre 1999, p74.

الأفكار ، وكأنه أيقن من خلال احتكاكه الاجتماعي خارج المدرسة مع رفاقه الجزائريين أن أفضل طريقة لبناء علاقات دائمة مع الناس لا تكون من خلال استعبادهم و اضطهادهم بالظلم .¹

و من الغرابة و الدهشة سرعته و بدهته في اكتساب المعرفة و تعلم اللهجة العربية ، ما سمح له سنوات بعد ذلك و تحديدا سنة 1889م بالنجاح و بسهولة تامة في الاختبارات للحصول على شهادة الدراسات الكلاسيكية في اللغة العربية الفصحى ، قبل أن يقبل في كلية الحقوق بالجزائر العاصمة ، و يسجل السنة الأولى في تخصص القانون الجزائري والأعراف الخاصة بالسكان المحليين ، و التي تخرج منها بعد ذلك في سنة 1891م بشهادة في التخصص المذكور .

و بفضل ذكائه و إرادته و ذوقه في الدراسة ، إضافة إلى تضحيته و فضوله الكبير و إسراره على معرفة هذا العالم الجديد، استطاع الفتى تطوير قدراته الثقافية بشكل غير عادي . و في نفس الوقت لا بد من التساؤل حول الدوافع الكامنة وراء خوضه في مغامرته الإفريقية هذه، و مسألة وطنيته و انتمائه التي من شأنها تعزيز التزامه بهذه القضية، خاصة و أن أصوله ليست فرنسية، فهو كورسيكي قبل أي شيء فقد قضى كل طفولته و شبابه خارج السداسي (شكل خريطة فرنسا). حيث لم يزر فرنسا عموما و باريس بالأخص إلا و عمره 32 سنة أي في سنة 1998م، أي 7 سبع سنوات قبل وفاته.²

أدرك كبولاني بسرعة أنه إذا أراد أن يخترق هذا المجتمع عليه تعلم اللغة العربية ، وليس هذا فقط بل حتى لترسيخ المشروع الاستعماري الفرنسي ولتكريس وجود فرنسا بالجزائر، يجب أن يكون بفضل الجهود المستمرة لسياسية عادلة و شفافة .

¹ George Coppolanie ,op.cit , p34 .

² Ibid , pp 31-32 .

بالنسبة لكزافيي الذي يعيش وسط المسلمين كانت فكرته و هدفه محاربة الأفكار المظلمة للطرق الصوفية حسب رأيه من خلال إعادة الإسلام إلى أفكاره الصحيحة كما يدعي ، و جعله يتعايش مع فكرة الحماية الفرنسية على ارض الإسلام .¹

من هنا و بعد نهاية مشواره الدراسي ، ستبدأ رحلة الشاب الكورسيكي لتحقيق أهدافه وطموحاته على أرض الجزائر ، و التي ستكون الإدارة الفرنسية بالبلدية المختلطة ل وادي شارف بسيدي مروان ، هي نقطة انطلاقه كما سنرى لاحقا في الفصل الثاني .

5- مؤلفاته:

رغم أن كزافيي كبولاني لم يعمر طويلا، و هو الذي عاش 39 سنة من عمره و التي قضاها كلها باستثناء سنوات طفولته و مشواره الدراسي ، في خدمة التوسع الاستعماري الفرنسي ، قبل أن يغتال في طريقه لاحتلال ما تبقى من الإمارات الموريتانية ، في 12 ديسمبر سنة 1905م كما سوف نرى في الفصل الرابع من هذه الدراسة ، إلا أنه ترك العديد من الأعمال الخالدة باسمه في تاريخ فرنسا الاستعمارية ، سواء كموظف إداري بالبلدية المختلطة لواد شارف بمنطقة سيدي مروان بقسنطينة ، أو خلال عمله كملحق بمصلحة شؤون الأهالي و المصالح العسكرية بالحكومة العامة بالجزائر، رفقة رئيسه في العمل الإداري أوكتاف ديون (Octave Depont)²، أو خلال مهماته الميدانية في إخضاع التمردات و الثورات ضد الاحتلال الفرنسي في منطقة السودان الفرنسي في فترة انتدابه بوزارة المستعمرات الفرنسية و أخيرا في فرض الحماية على المجال الموريتاني بجانيه المدني و العسكري.

¹ George Coppolanie ,**op.cit**, p33.

² أوكتاف ديون (Octave Depont): هو عسكري فرنسي، مساعد كزافيي كبولاني و زميله في مهمته إلى السودان الغربي (الفرنسي) ، و قائد موقعة أجكجوت، قتل على يد الوطنيين الموريتانيين سنة 1907م، ليكون مقتله نهاية مرحلة الهدوء الفرنسي في موريتانيا. ينظر:

Geant Désiré Vullemin ,**Cotribution à l'histoire de de la Mauritanie(1900-1934)**,Dakar,1962,pp 148-149.

و قد تنوعت أعمال كبولاني بين ما حققه كشخصية استعمارية فرنسية على أرض الواقع وما تركه كمادة علمية من أعمال إدارية و دراسات نظرية تمثلت في التقارير الإدارية - الدراسات الميدانية الاجتماعية و الأمنية - التقارير العسكرية - الكتب التي جمع فيها أهم دراساته من خلال خبراته وتجربته الواسعة في المجتمعات الإسلامية - وسوف يقتصر ذكر البعض منها و التي تكمننا من الحصول عليها على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي :

5-1- كتاب الطريقة الصوفية العمارية: (طريقة سيدي عمار بوسنة).¹

كما سوف نرى من خلال مشواره المهني بالإدارة الفرنسية اهتم كبولاني بدراسة المجتمع الجزائري المسلم خاصة فيما يتعلق بالطرق الصوفية في الجزائر و تأثيرها على السكان المحليين ، الشيء الذي جسده في بداية مشواره المهني ككاتب بالبلدية المختلطة لواد شارف بالإدارة الفرنسية في الجزائر في أول كتاب تحت عنوان " سيدي عمار بوسنة - الطريقة العمارية "، تناول فيه الطريقة الصوفية السائدة في المنطقة التي عاش و ترعرع فيها منذ قدومه إلى الجزائر، حيث سمحت له مهامه و خرجاته الميدانية في إطار خدمته بالمكاتب العربية و من خلال تقرير أمني حول المنطقة، اكتشف تأثير هذه الطريقة على السكان المحليين في كل الجوانب ، خاصة علاقتهم بالإدارة الفرنسية²، ليبدأ دراسة ميدانية حول هذه الطريقة ، و التي ترجمها في شكل تقرير قدمه لرؤسائه ثم ينشره بعد ذلك بدار النشر (Adolphe Jordan-Librairie Editeur) في شكل كتاب سنة 1894م تحت إشراف رئيس دائرة قسنطينة.³

¹ George Coppolanie ,op.cit, p41.

² Robert Arnaud , op.cit, p37.

³ George Coppolanie ,op.cit, p41.

• محتوى الكتاب:

نبذة عن الطريقة العمارية و عن صاحبها :سيدي عمار بوسنة و لد حوالي 1712 في عائلة بوعلي واحد من مقدمي الطريقة القادرية منذ ريعان شبابه كان محميا بمعجزات، من كراهية وظلم باي قسنطينة (صالح باي) العدو اللدود للمرابطين . ووفقا لرغبته، اختار أن يكون مكان دفنه عشوائيا عن طريق وضع جثته على ظهر بغل و الذي طاف مدة 45 يوما بين مختلف المناطق ليستقر به بمنطقة بوحمام ببلدية النشامية أين تم بناء ضريحه حوالي سنة 1815م.¹

انتشارها: ذاع صيت الولي الصالح سيدي عمار بوسنة على إثر زيارة الحاج مبارك المغربي البخاري الذي كان في طريقه إلى الحج، حيث حل بالزاوية العمارية أين اندهش بتبجيل السكان المحليين لسيدي عمار بوسنة الذي ذاع صيته على أنه صانع معجزات، والذي يأتيه الناس من كل أنحاء الجزائر و حتى تونس، ليعلن نفسه خادما لسيدي عمار بوسنة ويطوف في جميع أرجاء الجزائر و تونس مع المريدين من أتباع الطريقة لإنشاء فوج للزاوية تحت إشراف خليفة، بهدف تجنيد المزيد من أتباع الطريقة العمارية.

سنة 1830 و في أول زيارة له مكة المكرمة زار الزاوية العيساوية ليصبح مقدا و كمقابل لخدماته كافأه الجنرال يوسف حاكم إقليم قسنطينة ببناء زاوية بقبة على بعد 3 كلم عن قلعة عرفت بزاوية عين الدفلى و التي أصبحت مقر إقامته طيلة الفترة 1840-1870م زار خلالها مكة 8 مرات كما زار المغرب أين حصل على منزلة مقدم من زاوية مولاي إدريس.²

ليتطرق بعد ذلك إلى انتشار هذه الطريقة و تأثيرها الكبير على السكان في كل جوانب حياتهم الاجتماعية، خاصة فيما تعلق بعلاقتهم بالإدارة الاستعمارية ، لذلك حاول تحليل كل ما يتعلق بها من خلال تسليط الضوء على :

¹ George Coppolanie ,op.cit, p43.

² Ibid, pp 44-45 .

الموارد المالية للطرق الصوفية: اعتمدت الطرق الصوفية في تمويلها، على هبات السكان والزوار واشتراكات مرديها السنوية و من خلال جميع فروعها المنتشرة عبر الزوايا ، هذا فضلا عن الملتقيات (الزردة ، الوعدة،.....) التي يتم فيها جمع التبرعات والهبات من العامة ، وخاصة من الأعيان ورجال المال.

دورها السياسي: وضع كبولاني أن للطريقة الصوفية تأثيرا كبيرا على عامة الناس اللذين يؤمنون بها ويتمثلون لأوامرها ، خاصة في القضايا السياسية المتعلقة بالعلاقة مع الإدارة الفرنسية والتي يرى بأنها كانت تختلف حسب رغباتهم، لذلك يرى أنه من الضروري استمالتها و السيطرة عليها هو مفتاح نجاح الهيمنة الفرنسية في المجتمعات الإسلامية ، و تحقيق أهداف فرنسا التوسعية في الجزائر وإفريقيا .¹

هذا الدراسة التي لاقت استحسانا كبيرا في أوساط الإدارة الفرنسية في الجزائر، و فتحت شهية كبولاني للكتابة و المزيد من البحث و الدراسة في هذا الميدان من جهة، و من جهة أخرى فتحت أمامه أبواب الترقية في مناصب عليا في الإدارة الفرنسية بالجزائر ، من خلال طموحه في الالتحاق بمصلحة شؤون الأهالي بالحكومة العامة، ليتحقق فيما بعد حلمه المزدوج ، بداية من خلال التحاقه بالمنصب المذكور كمساعد ل أوكتاف ديون (Octave Depont) ، ثم بإصدارهما للدراسة المنشودة حول الطرق الصوفية من خلال كتاب ثاني ، أكبر حجما و أكثر أهمية حول الطرق الصوفية في الجزائر بعنوان:

¹ George Coppolanie ,**op.cit**, pp 45-46 .

5-2- الطرق الدينية الإسلامية: (les Confréries Religieuses Musulmanes)¹

هذا العمل الذي ذكرناه في عدة محطات سابقا هو ثمرة سنوات من الجهد و البحث و الدراسة الميدانية لعمل مشترك بين كزافيي كبولاني مساعد إداري بمصلحة شؤون الأهالي و المصالح العسكرية بالحكومة العامة بالجزائر العاصمة، و رئيسه المباشر أوكتاف دييون إداري بنفس المصلحة ، حول الطرق الصوفية الإسلامية في الجزائر و دورها في المجتمعات الإسلامية، و هو دراسة عملية عن نظام الأخوية الدينية و تأثيرها على الجزائريين في جميع جوانب الحياة.

يتألف الكتاب ذو الحجم الكبير من 577 ص , به مقدمة و 13 فصلا يحوي ما يلي :

الفصل الأول: هو فصل يتكون من 5 مباحث تناول فيها.

- في المبحث 1: العرب واللغة العربية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تطرق إلى أصل العرب وفروعهم وطبائعهم من عادات وتقاليد من خلال تحليل نظام القبيلة ودور الشيخوخ فيها ، وعلاقته بالجماعة، وعن مكانة العبيد . أيضا عن اللغة العربية والشعر و المجالس الأدبية من شعر الهجاء و المدح . كما تناول كذلك الخمر في الجاهلية و القمار مكانة المرأة ، من جهة أخرى المعتقدات و اللاهوت من خلال سرد قصة سيدنا إبراهيم ، و الكعبة معتقداتهم وآلهتهم.

- في المبحث 2: تحدث فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم بداية بمولده ، ثم نشأته وشبابه ، ميزاته وخصاله ، بعثته و الكتاب الذي جاء به أي القرآن .

- في المبحث 3: تناول فيه حسب رأيه الفكرة الأساسية للقرآن ، و ما فيه من روحانيات و أسلوب الترغيب و التهيب من الجنة والنار .

¹ les Confréries Religieuses Musulmanes: هو كتاب عن الطرق الدينية الإسلامية في الجزائر ألفه كزافيي

كبولاني بالتعاون مع رئيسه في العمل بالحكومة العامة بالجزائر بمصلحة شؤون الأهالي أوكتاف دييون، وتحت إشراف جول كامبون (Jule Cambon) الحاكم العام للجزائر، و نشر بالجزائر سنة 1897م. ينظر:

- في المبحث4: سيرة النبي من أحاديثه و سنته ، حيث تطرق إلى التعريف بالمذاهب الأربعة، ونظام الفتوى الإسلامي.¹

__ في المبحث5: تطرق فيه إلى الفرق و الطوائف التي ظهرت بعد وفاة الرسول الكريم من بينها خاصة الشيعية و الخوارج و المعتزلة و غيرها .²

الفصل الثاني: يدخل كبولاني فيها إلى صلب الموضوع وهو ظهور الطرق الصوفية من خلال التطرق إلى:- أصل الطرق الصوفية وتطورها.³

- مبادئ المدرسة الصوفية وعلاقتها بالإسلام ، من القرآن والسنة .

- دور الطرق الصوفية في ظهور الأخوة الدينية وبداية تأثيرها في المجتمع الإسلامي .

-الهجرات العربية ودورها في نشر الصوفية في مناطق واسعة خاصة شمال إفريقيا.

-تطور الطرق الصوفية في شمال إفريقيا وبشكل كبير في الجزائر و ظهور أمهات الطرق الصوفية

و أشهرها مثل القادرية و الرحمانية .⁴

الفصل الثالث: يفصل فيه كبولاني التنظيم الإداري للطرق الصوفية أو الأخوة الدينية على

شكل هرم يبدأ بشيخ الطريقة أو الخليفة نهاية بمريدي الطريقة⁵، وفق الترتيب والمخطط الآتي: -

الشيخ (شيخ الطريقة)-الخليفة-المقدم(النايب)-الشاوش(القيب)-الفقيه(الدرويش، الخوان أو

الخادم)-المريد.⁶

¹ Xavier coppolani et Octave Depont , **les Confréries Religieuses**

Musulmanes, imp -lib-Editeur , Alger , 1897, pp 1-48 .

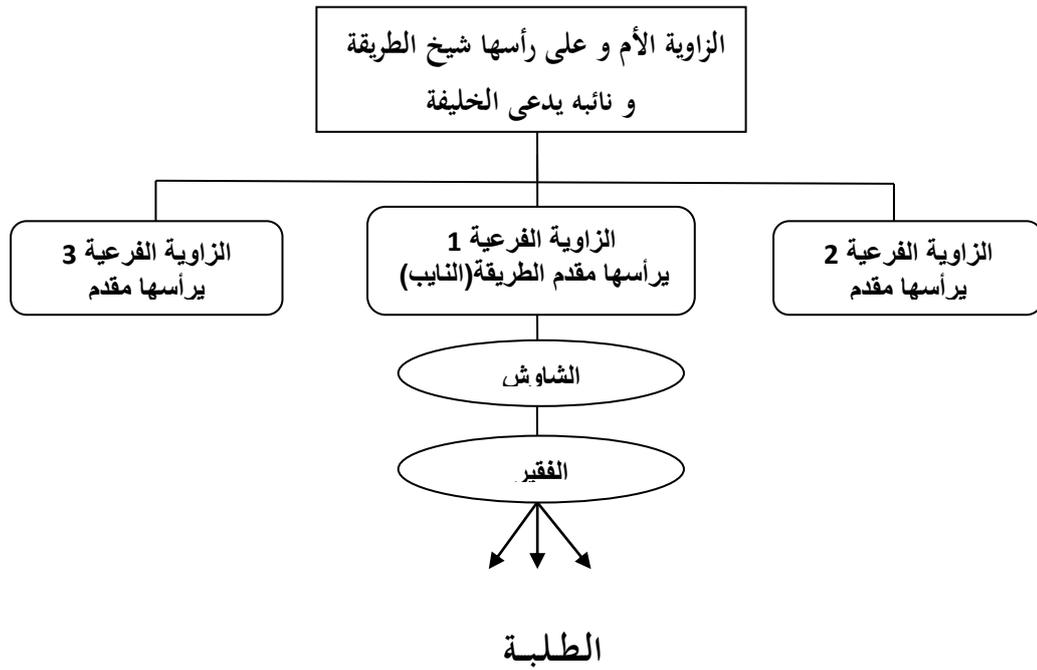
² Xavier coppolani et Octave Depont , **op.cit** , pp 49-68 .

³ George Coppolanie ,**op.cit**, p58 .

⁴ Xavier coppolani et Octave Depont , **op.cit**, pp 69-192.

⁵ **Ibid** ,pp 193-210.

⁶ George Coppolanie ,**op.cit** , p58 .



الفصل الرابع : يقدم كبولاني و ديون في هذا الفصل إحصائيات و أرقام حول مريدي مختلف الطرق الدينية في الجزائر، و حتى في الخارج من خلال انتشارها و تأثيرها في الدول المجاورة ، خاصة دول المغرب العربي إضافة إلى مصر و السودان.¹

الفصل الخامس : تطرقا فيه إلى النظام المالي للطرق الدينية ، من خلال دراسة مصادر تمويلها المختلفة ، و التي تعتمد عليها في كسب الأموال للقيام بأعمالها المختلفة من أكل و شرب و تجهيز و تعليم ، حيث تنقسم هذه المصادر إلى قسمين: - مصادر أساسية ثابتة: مثل أراضي الوقف و الحبوس ، إقامة الزردات و جمع التبرعات و اشتراكات المريدين السنوية. - مصادر ثانوية: مثل الصدقات و الزيارة و التوزة²

الفصل السادس : يتناول الدور السياسي للطرق الدينية في الجزائر في مراحل تاريخية سابقة، ثم عن دورها الحالي في توجيه أفراد المجتمع ، فيما يخص العلاقات مع السلطات الاستعمارية الفرنسية و ما يطرأ عليها من مستجدات ، و كرد فعل على القوانين و السياسات المختلفة المسلطة من

¹ George Coppolanie , **op.cit** , p59 .

² Xavier coppolani et Octave Depont , **op.cit** , pp 225-256.

طرف هذه الأخيرة على المجتمع الجزائري. كما يبين أيضا علاقة شيوخ هذه الطرق مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية التي تحاول دائما كسب ودهم ، لمعرفة الكبيرة بدورهم السياسي و مدى تأثيرهم في توجيه الرأي الشعبي في الجزائر.¹

الفصل السابع: هذا الفصل هو عبارة عن خلاصة أو استنتاج ، يلخص فيه كبولاني ما وصل إليه من خلال ما سبق ذكره و تحليله في الفصول السابقة ، حول كل التفاصيل عن الطرق الدينية في الجزائر بمختلف أنواعها و نشاطاتها و خاصة تأثيرها على المستويين الداخلي و الخارجي.²

من الفصل الثامن إلى الفصل الثالث عشر: أما فيما تبقى من فصول هذه الدراسة الستة يتناول الكاتبان، دراسة خاصة عن كل نوع من هذه الطرق الدينية المنتشرة في الجزائر ، حسب أهميتها وانتشارها وهي: -القادرية - الخلوأتية - الشاذلية - النقشبندية - الصحروردية - الحضيرية (الميرغنية و السنوسية) ، حيث خصصا لكل طريقة فصلا كاملا يوضحان من خلاله كل التفاصيل المتعلقة بها من : أصلها ، توسعها و مناطق انتشارها ، مبادئها ، أقسامها و فروعها ثم نشاطاتها المختلفة.³

5-3- تقريره عن مهمته في السودان الغربي (السودان الفرنسي):

بنهاية مهمته التي أوكلت إليه من طرف وزارة المستعمرات الفرنسية ، في منطقة السودان الغربي بطلب من الحاكم العام للسنگال ، كان على كبولاني إفادة إدارته و رؤسائه بنتائج هذه المهمة ، وهو الشيء الذي ترجمه في تقرير إداري بعنوان:

¹ Xavier coppolani et Octave Depont , **op.cit** , pp 257-276.

² George Coppolanie ,**op.cit** ,p59.

³ Xavier coppolani et Octave Depont , **op.cit** , pp 293-539.

"مجموع التقارير حول مهمتي في السودان الفرنسي 1897 (الجزء الأول عند قبائل المور)¹.

**"Rapport d'ensemble de ma mission au Sudan Français
897 (1^{ere} Partie chez les Maures) .**

و هو عبارة عن تقرير إداري كتبه كزافيي كبولاني بعد إتمام المهمة التي قادته إلى منطقة السودان الفرنسي ، و الذي أرسله إلى الجنرال تربتينيان (Tretinian).
و هي وثيقة متكونة من 35 صفحة مكتوبة بالآلة الراقنة (Dactylographie) ، وتتألف من ثلاثة محاور أساسية هي:

● المحور الأول هي تفصيل لمهمته للتفاوض مع قبائل البيضان ، و التي تعتبر الزيارة الأولى التي يقوم بها كبولاني في هذه المنطقة ، بذلك تعتبر أول احتكاك له بسكان بلاد شنقيط . حيث تطرق كبولاني إلى مواصفات الموريتانيين التي ذكر أنها تختلف عن سكان إفريقيا السوداء ، وعن عاداتهم وتقاليدهم وأيضا عن الترحاب الذي خصه به شيوخ القبائل الموريتانية، الذين انبهروا على حد تعبيره بشخصيته الجذابة و ثقافته الواسعة.

كما ركز كبولاني في التقرير على ما وصفه بالمرونة والقابلية، التي لمسها فيهم لمهادنة السلطات الفرنسية المجاورة لهم بمستعمرة السنغال، بالإضافة إلى إمكانية دخولهم تحت الحماية الفرنسية مستقبلا.²

● المحور الثاني يتطرق فيه كبولاني إلى الرحلة التي قادته إلى التفاوض مع قبائل الطوارق و استكشاف المنطقة من الناحية الجغرافية و الاجتماعية، من خلال التعرف على عاداتهم

¹ مهمتي في السودان الفرنسي: هو تقرير قدمه كزافيي كبولاني للجنرال تربتينيان ، الذي كلفه بمهمة استطلاعية للمستعمرات الفرنسية في السودان الغربي ، و هي فرصة لتطبيق دراساته على مجتمعات غرب إفريقيا الإسلامية من خلال خبرته النظرية التي اكتسبها في الجزائر حول الطرق الدينية و المجتمعات الإسلامية. ينظر:

George Coppolanie ,**op.cit** ,p105.

² Xavier Coppolani , **Rapport d'ensemble de ma mission au Sudan Français (1^{ere} Partie chez les Maures)**, présenté par : Geneviève Désiré-Vuillemin , Imp. F.Levé , Paris,1899, pp 2-18.

وتقاليدهم ودراسة العلاقات الاجتماعية لهذه القبائل ، بهدف إخضاع هذه القبائل التي كانت تمثل خطرا على الوجود الفرنسي في المنطقة .

● المحور الثالث هو عبارة عن دراسة اجتماعية و دينية لمجتمعات منطقة السودان الفرنسي و ذلك من خلال تجسيد دراساته النظرية السابقة ، و التي جمعها من خلال أبحاثه و احتكاكه بالمجتمع الجزائري المسلم ، و تعميمها عن طريق تطبيقها على هذه المجتمعات الإسلامية ، التي تشترك في عدة جوانب من مبادئ و عادات و تقاليد و لغة ، و كذا ما يهم السلطات الفرنسية بشكل خاص هو دراسة تأثير الطرق الصوفية السائدة ، كونها مفتاح التحكم في هذه المجتمعات حسب رأي كبولاني.

كما قام كزافيي من خلال هذا التقرير بإعداد دراسة عن تركيبة هذه المجتمعات و طريقة عيشها وسلوكاتها المحتملة ضد الوجود الفرنسي بالمنطقة ، كيف لا و هو المتخصص في إعداد التقارير الأمنية منذ فترة عمله بالمكاتب العربية للبلدية المختلطة لواد شارف بإقليم قسنطينة .¹

● و ينهي كبولاني تقريره هذا بوضع خريطة في الصفحة الأخيرة ، و التي يوضح من خلالها منطقة السودان الفرنسي بأكملها ، إضافة إلى المناطق المجاورة لها خاصة الإمارات البيضاوية ، والتي عنونها باسم "موريتانيا الغربية" إشارة إلى مشروعه للتوسع بالمنطقة مستقبلا تحت هذا المصطلح.²

4-5- كتاب صحراء موريتانيا (نوفمبر 1903م - ماي 1904م) مهمة تنظيم إقليم

تكانت :

Mauritanie Saharienne (Novembre 1903- Mai 1904) Mission d'organisation des Teritoires du Tagant ³ .

¹ Xavier Coppolani, *op.cit*, pp 19-28.

² *Ibid* , p 35.

³ **Mauritanie Saharienne** : هي دراسة لكزافيي كبولاني عن صحراء موريتانيا كتبها في شكل تقرير إلى حاكم مستعمرة السودان الغربي أرنيست روم سنة 1904م ، لتقوم الكاتبة جيان ديزيغي فلان بإصداره على شكل كتيب بعد حصولها على النسخة الأصلية سنة 1997م. ينظر:

هو عنوان التقرير كتبه كزافيي كبولاني و أرسله إلى حاكم مستعمرة السودان الغربي أرنتست روم (Ernest Rum) ، على خلفية بدايته في تطبيق مشروعه لفرض الحماية الفرنسية على موريتانيا تحت تسمية "موريتانيا الغربية"، والذي يتناول فيه المهمة التي قادته إلى إقليم تكانت، بين الفترة الممتدة من نوفمبر سنة 1903م و ماي سنة 1904م، للتفاوض مع شيوخ قبائل البراكنة وتكانت بعد إغارة هذه القبائل على المصالح الفرنسية المتاخمة لهم على ضفاف نهر النيجر، والذي أصدرته الباحثة جان ديزيغي فولمان (Geneviève désiré vullemin)¹ على شكل كتاب سنة 1997م بعد تحقيقه ، بعد حصولها علي هذا التقرير الأصلي القيم و النادر بمحض الصدفة كما تذكر في مقدمة كتابها عند حضورها بإحدى عمليات الوثائق القديمة بعد موت صاحبها رونيي (Reynier)² مترجم عسكري متقاعد.

تصف الكاتبة هذا التقرير النادر و الأصلي ، أنه يتكون من 46 صفحة مكتوبة بواسطة الآلة الراقنة (Dactylographe) ، على ورق من الوير غير مرقمة بالإضافة إلى خريطة مطوية و غير واضحة، مرسومة على ورق خاص بالصور الفطوغرافية. كل هذه الوثائق موضوعة

¹ جونياف ديزيغي فولمان **Geneviève désiré vullemin** : هي باحثة فرنسية تمكنت من خلال هذا الكتاب تحقيق حلمها منذ الصغر، وهو كتابة الأحداث المنقولة على لسان والدها ، عن المهمة التي قام بها و هو في سن العشرين تحت قيادة كبولاني، والتي قادتهم إلى إقليمي تكانت و أدرار. حيث استفادت بعد حصولها على شهادة مهندس في الجغرافيا، من منحة دراسية قادتها إلى أرشيف الحكومة العامة لمستعمرات السودان الفرنسي (A O F) بداركار العاصمة السنغالية لإكمال أبحاثها لنيل شهادة الدكتوراة حول موريتانيا. ينظر:

Xavier Coppolani , **Mauritanie Saharienne...**, op.cit, p01.

² رونيي **L'interprète militaire Reynie** : رينيي المترجم العسكري الفرنسي و مترجم عدة أعمال و المتخصص في اللغة العربية و اللهجات الموريتانية المحلية ، و مساعد كبولاني و مرافقه الخاص في كل مهامه داخل التراب الموريتاني، حيث اهتم كبولاني باصطحاب معاونين جادين و مخلصين. و بعد مقتل كبولاني واصل رينيي خدمته في الجيش الفرنسي في المغرب ثم تونس. ينظر:

Félix H Jacques, **Contribution de René Caillé L'Ethnobotanique Africaine du Cours de ses Voyages en Mauritanie et à Tombouctou 1819-1828**, Paris, 1963.

داخل غلاف من الورق المقوى مكتوب على واجهته " صحراء موريتانيا " (Mauritanie Saharienne)¹.

● **مضمونه:** بعدما ذكرنا تقديم الكتاب كما جاء في المقدمة ، تأتي الصفحات التسعة الأولى من التقرير الذي يتطرق فيها كبولاني إلى العمليات التجارية المشبوهة و النشاطات غير القانونية التي يمارسها التجار الفرنسيون في مدينة سان لويس ، و التي نجد أن كبولاني وضع تحتها خط باللون الأزرق ، كما نجد نفس العلامة في فقرتين من الصفحتين رقم 25 و 44 ، أما ما تبقى من التقرير في الصفحات الـ 35 المتبقية ، فهي عبارة عن وصف و محاولة تنظيم لإقليمي البراكنة و تكانت (الإمارة الواقعة تحت حكم أمير تكانت بكار ولد سيد أحمد) تمهيدا لإخضاعها للسيطرة الفرنسية.²

من خلال هذا التقرير ، تبين أيضا فيما بعد أن الأرشيف الموريتاني يحتوي على جزأين آخرين في نفس الملف و يحملان نفس التسمية :

- الأول موقع بتاريخ 27 جوان سنة 1904م بـ "سان لويس" مكتوب بخط يد كبولاني ومختوم بمختمه الخاص وكتب عليه (ملف مهم جدا وشخصي)، وهو موجه إلى الحاكم العام لوزارة المستعمرات الفرنسية (A O F)، ويتحدث فيه عن تورط مجموعة كبيرة بالأسماء من تجار "سان لويس" في عمليات غير شرعية، من تجارة في الأسلحة والرقيق وكذا توجهاتهم السياسية ومصادر تمويلهم .

- و تذكر الكاتبة عن هذه الوثيقة ، أنها النسخة الأصلية و الوحيدة التي لا تزال موجودة و محفوظة على مستوى الأرشيف الوطني الموريتاني بمدينة نواكشوط العاصمة الموريتانية .

● و الثاني موقع بتاريخ 1 جويلية 1904م ، في جزئه الثاني يحتوي على نظرة و تخطيط كبولاني في كيفية تنظيم القبائل الموريتانية في إقليم تكانت تحت الحماية الفرنسية . و هو تقرير موجود في

¹ Xavier coppolani , Mauritanie Saharienne..., op.cit, p01.

² Ibid,p 1-44.

عدة نسخ ، توجد النسخة الأصلية منه في أرشيف (A O F) بالعاصمة السنغالية "دكار" تحت رقم (C9-G 17) .

● هذا التقرير، هو عبارة عن استعراض كبولاني للخطوط العريضة لسياسته التوسعية في المجال الموريتاني، بمساعدة صديقه و زميله في المهمة "روبرت راندو" (Robert Randau) والرائد فريرجان (Le commandant Frérigean)، هذه العملية التوسعية التي سنتطرق إليها بكل تفاصيلها في الفصل الرابع من هذه الدراسة .¹

■ نستنتج من خلال اطلاعنا على ما كتبه كبولاني من أعمال و دراسات ، أنه لم يكن كاتباً أدبياً أو شاعراً أو حتى مؤرخاً ، فلا تعدو أعماله أن تكون مجموعة من التقارير و المراسلات الرسمية لرؤسائه و التي ذكرنا أهمها على سبيل المثال لا الحصر ، سواءً بالبلدية المختلطة لـ "واد شارف" أو بمصلحة شؤون السكان المحليين و الشؤون العسكرية بالحكومة العامة ، أو كمنتدب بوزارة المستعمرات الفرنسية لإفريقيا الغربية، أو كحاكم مدني لمستعمرة موريتانيا الغربية ، و هي بالتالي تدخل في إطار أعماله الإدارية ، بمختلف المناصب المذكورة التي شغلها طوال حياته المهنية، منها ما بقي على حاله ، و منها ما طوره كبولاني في مرحلة من مراحل حياته إلى دراسة مهمة ، خاصة ما تعلق بالوضع الأمني في الجزائر ، و هي المسألة التي كانت تهتم بها السلطات الاستعمارية الفرنسية ، الشيء الذي جعل كبولاني يستعملها كوسيلة لتحقيق أهدافه ، للارتقاء في سلم المناصب الإدارية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، من خلال إصدار هذه الدراسات عن الطرق الصوفية في الجزائر في شكل كتاب أول عن الطريقة العمارية السائدة في إقليم قسنطينة و الشرق الجزائري ، ثم يعممها بعد ذلك بالتعاون مع رئيسه أوكتاف دييون (Octave Depont) ، في كتاب مهم و من الحجم الكبير حيث تطرقا فيه كما ورد في مضمون الكتاب ، إلى تاريخ الطرق الإسلامية ، منذ بعثة الرسول الكريم إلى غاية المرحلة التي عايشوها بالجزائر. و يعتبر هذا الكتاب بالنسبة للسلطات الاستعمارية مصدراً مهماً عن الإسلام و المسلمين ليس في الجزائر فقط ، و إنما

¹ Xavier coppolani , Mauritanie Saharienne... ,op.cit , p1.

بالنسبة لتعاملها مع جميع المجتمعات الإسلامية في إفريقيا ترجع إليه كلما اقتضت الحاجة لذلك ،
هذه الدراسة التي ستفتح أمام كبولاني لكتابة اسمه في تاريخ فرنسا الاستعمارية في بلاد المغرب
العربي، وكمؤسس لموريتانيا الغربية على وجه الخصوص .

الفصل الثاني

كبولاني والإدارة الفرنسية في الجزائر

1- كبولاني و السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.

2- توظيفه بالإدارة الفرنسية في الجزائر.

3- تأليفه كتاب الطرق الصوفية الإسلامية .

4- مهمته في منطقة السودان الغربي .

5- مشروعه لفرض السلم في منطقة البيضان .

رغم أن كبولاني لم يساهم في عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر، كونها سبقت تاريخ ميلاده بستة و ثلاثين سنة ، أين كانت فرنسا قد وطدت أركانها بالجزائر التي ألحقتها بها و اعتبرتها جزءا لا يتجزأ منها، من خلال سياسة استيطانية (السياسة التي ساهمت في التحاق كزافيي كبولاني في فترة طفولته ضمن الهجرات الفرنسية و الأوربية بالجزائر) اعتبرت من طرف المؤرخين و الخبراء من أخطر السياسات الاستعمارية عبر تاريخ الإنسانية، حيث لم تدخر فرنسا من خلال سلطاتها وأجهزتها المدنية و العسكرية جهدا للتفنن في بتطبيق كل أنواع القوانين و الأحكام القمعية والوحشية ، بما يتماشى مع تحقيق أهدافها و مصالحها الاستعمارية لإخضاع الجزائريين و حرمانهم من حقهم في أرضهم و ثرواتهم ، إلا أن كبولاني ساهم بشكل كبير في تحقيق الكثير من الأعمال و المكتسبات لصالح السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، منذ التحاقه بمنصبه كموظف في الإدارة الفرنسية (كما سوف نرى لاحقا) في إطار مهامه بالبلديات المختلطة و المكاتب العربية . لذلك و قبل الخوض في الحياة المهنية ل كبولاني و ما قدمه من أعمال و مشاريع في مختلف مراحلها ، سوف نلقي الضوء على بعض الجوانب من السياسة الفرنسية في الجزائر و التي كانت لها علاقة ب كبولاني و دوره الاستعماري في الجزائر، بداية بسياسة الاستيطان التي كان لها الفضل في التحاقه بالجزائر ، ثم الإدارة الفرنسية التي سوف يبرز فيها كواحد من الشخصيات الاستعمارية الفرنسية البارزة في الجزائر، من خلال عمله بالبلديات المختلطة و المكاتب العربية ، هذه الأجهزة الاستعمارية التي سيتكون فيها كبولاني الشاب المتحمس و يبدأ من خلالها تجربته الإدارية المتميزة ، التي ستفتح أمامه أبواب النجاح بمصراعيه كواحد من أبرز الشخصيات الاستعمارية في تاريخ فرنسا بإفريقيا و المغرب العربي .

1 - كبولاني و السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر:

بناء على التوصيات التي قدمها أعضاء اللجنة الإفريقية إلى حكومة باريس بادرت هذه الأخيرة بإصدار قرار 22 جويلية 1834م ، الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا وقام بتقسيمها إلى ثلاث عمالات هي: "الجزائر، قسنطينة، وهران" تخضع مبدئيا لمراقبة الحاكم العام بالجزائر العاصمة، هذا إلى جانب تقسيم كل عمالة إلى دوائر وبلديات، على غرار ما هو معمول به في فرنسا.¹

تطلب المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر تهجير قوة بشرية من داخل فرنسا و أوروبا إلى الجزائر، وإتاحة الفرصة أمامها في الحصول على امتيازات من خيرات هذا البلد، فإلى جانب السكان المحليين والفرنسيين استقدمت فرنسا عدة طوائف أوروبية وأجنبية تمثلت في العناصر التالية: الألبان، اليهود، الايطاليون، المالطيون، البروسيون، بالإضافة إلى جنسيات مختلفة منهم الانجليز، الهولنديون، البلجيكيون، البولونيون، وكذلك اليونانيون، و السويسريون، والألمان... وبهذا الشكل أصبحت الجزائر أرضا للكولونيات العالمية.²

1-1- مظاهر السياسة الفرنسية في الجزائر:

اعتمدت السياسة الاستعمارية في الجزائر على تشجيع الهجرة الأوربية وتقديم المساعدات المختلفة لدعم وتكريس الوجود الاستعماري الفرنسي في البلاد ، وقد تعددت أوجه هذه السياسة و التي شملت كل الميادين : الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية

¹ بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830 ، 1930) ، وانعكاساتها على المغرب العربي، دار

الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 92.

² Pierre Goinard , l'Algérie L'Euvre Française , 2^{eme} Ed, Ed. Jacques Gandini, paris, p 98.

- **على المستوى الإداري:** تم إصدار مجموعة من القوانين التعسفية :
 - إصدار مرسوم 22 جوان 1834م الذي نص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الممتلكات الفرنسية.
 - إصدار قانون 4 نوفمبر 1848م الذي يعتبر فيه الدستور الفرنسي للجزائر أرضاً فرنسية .¹
 - إصدار قانون "سيناتوس كونسولت" 14 جويلية 1865م تضمن أن الجزائريين رعايا فرنسيون ، وفرض عليهم التخلي عن الأحوال الشخصية
 - قانون "كريميو" 24 أكتوبر 1870 الذي أعطى اليهود حق الحصول على الجنسية الفرنسية مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية .²
 - قانون الأهالي مارس 1871م ينص على الإجراءات الاستثنائية التي فرضت على الجزائريين تضمن طلب الرخصة للتنقل و الهجرة إلى الخارج ، وطلب المسؤولية الجماعية .³
 - إصدار قانون 15 أبريل 1884م يقضي باستحداث بلديات كاملة الصلاحيات ليسكنها الغالبية من المستوطنين وبلديات مختلطة بها أقلية من الكولون وغالبية من الجزائريين .
 - إصدار قانون التجنيد الإجباري 03 فيفري 1912م الذي استهدف تجنيد الأبناء الجزائريين في الجيش الفرنسي استعداداً للحرب العالمية الأولى .⁴

¹ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2009م، ص ص 430-442.

² محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر ، الدار المعاصرة للنشر، الجزائر، 2009م ، ص 305.

³ Marcelle Gretaud , **Réalité de la Nation Algérienne** , Ed. sociales , paris ,1957, p51 .

⁴ صالح عباد، المعمرون و السياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984م، ص 119.

• على المستوى الاقتصادي :

- تشتيت ملكية الأعراش لتسهيل نقلها للأوروبيين وفقا لقانون 1863.¹
- نزع ملكية أراضي "المتغيين" أكثر من 3 أشهر وبدون رخصة من السلطات الفرنسية بموجب صدور قانون الحجز 1848-1864.
- قانون وارني جويلية 1873م ، يهدف إلى القضاء على الملكية الجماعية للأعراش .
- قانون المستثمرات الفلاحية يسمح للشركات الأوربية باستثمار من قطاع الزراعة النقدية مثل الشركة الفلاحية و الصناعية للصحراء الجزائرية 1870م.²

• على المستوى الاجتماعي و الثقافي :

- هجرة ونزوح الجزائريين كنتيجة لسياسة القمع و التسلط
- تزايد عدد المستوطنين وتوسع مشاريع إقامة المستوطنات .
- تحول ملاك الأراضي إلى إجراء "خماسين" بمزارع الكولون .
- فرنسة الأسماء و المحيط الجزائري "قانون الحالة المدنية ، تغيير أسماء المدن و الشوارع".³

¹ يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1991م ، ص ص 430-442.

² عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ ، ط 1، شركة دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2013م، ص 215.

³ صالح عباد، المرجع السابق ، ص 119.

-فتح مدارس مختلطة و القضاء على مراكز التعليم و الثقافة العربية و محاربة الدين الإسلامي .
-نفي وإبعاد الأئمة و العلماء و المعان في تنصير الشعب الجزائري .
كل تلك الظروف أدت إلى زرع مجتمع دخيل و غريب في عاداته و أسلوب حياته و أخلاقه في المجتمع الجزائري .¹

1-2- سياسة الاستيطان و المكاتب العربية بإقليم قسنطينة:

● سياسة الاستيطان:

اعتبرت فرنسا الجزائر منذ بداية الاستعمار مستعمرة لإسكانها بالفرنسيين لكنها اصطدمت بانخفاض الهجرة الفرنسية إلى الجزائر ، الشيء الذي جعلها تتجه نحو الأوربيين عامة و الإسبان و الإيطاليين بصفة خاصة ففي جانفي 1840م أكد "بيجو" على ضرورة تأسيس مقاطعة فرنسية في الجزائر² ، يسيطر فيها المعمرون الفرنسيون في ندائه الموجه إلى سكان الجزائر بمناسبة وصوله إلى هذه الأخيرة كحاكم عام في 23 فيفري 1840م ، وصرح أن الغزو بدون الاستيطان سيكون عقيما .³

وبذلك أدركت فرنسا أن لا وجود لها في الجزائر بدون مستوطنين مدنيين يدعمون جيش الاحتلال ضد رأي أي حركة جزائرية مناهضة له بحيث رأت فرنسا في الجالية الأوربية على أنها ستكون مصدرا لتزويد الإدارة الاستعمارية بالموظفين ، وعلى أنها تملك الكفاءة في تحضير المواد الأولية قصد إرسالها إلى فرنسا بحكم ارتباط هؤلاء المستوطنين بالسوق الفرنسية أو بعبارة أخرى يعني خلق وسيط بين المنتجات الصناعية الفرنسية الحديثة و الشعب الجزائري الذي مازال يعتمد على الصناعة اليدوية .⁴

¹ صالح عباد، المرجع السابق ، ص 119.

² Paul Azan , **Bugeaud et L'Algérie**, le Petit Parisien, Paris,p51.

³ Jules Gérard , **L'Afrique du Nord**, 2^{ème} Ed , Paris,1860,pp 353-357.

⁴ أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ش.و.ن.ت،الجزائر، 1975م،ص72.

إن أول محاولة للاستيطان الرسمي كانت سنة 1832م حيث وصلت إلى ميناء الجزائر سفينة تحمل 400 مهاجر ألماني وسويسري¹، قسمتهم السلطات الاستعمارية في الجزائر إلى مجموعتين، الأولى تتكون من 50 عائلة أقامت في دالي إبراهيم ووزعت عليها أراضي بلغت مساحتها 227 هكتار، أما المجموعة الثانية فتكونت من 23 عائلة، أقيمت في "القبة" ووزع عليها 93 هكتاراً من الأراضي، لكن هذه المحاولة فشلت لنقص الإمكانيات المادية لدى هؤلاء الوافدين.²

وتتلخص المهمة التي جاء لأجلها الجنرال "بيجو" في القضاء على دولة "الأمير عبد القادر" و توطين أكبر عدد ممكن من المعمرين، لذلك وسع دائرة الاستيطان في كل الأراضي الخصبة، وصرح في 14 ماي 1840م قائلاً "في كل مكان توجد المياه الصالحة و الأراضي الخصبة يجب أن يقيم المعمرون دون الاستفسار عن أصحابها"³، ولجابه الظروف الحربية في فترة حكمه رأى أن الاستيطان مهمة عسكرية يحققها المعمرون العسكريون أو المدنيون المنظمون عسكرياً⁴. لكن فشل تلك السياسة قاد السلطات الاستعمارية إلى الاستيطان المدني بإصدار قرار 12 أبريل 1841م حيث اشتدت الهجرة الأوربية، ففي سنة 1843م وصل إلى الموانئ الجزائرية 14137 مهاجراً و تفاقمت عمليات بناء المستوطنات وصادرة الأراضي، كوسيلة للتخلص من العمال العاطلين الثائرين في فرنسا عام 1848م.⁵

¹ Louis de Baudicour, Histoire de la Colonisation de l'Algérie, Crallamel, Paris, 1860, pp 116-117.

² Marcel Egretaud, Realité de La Nation Algérienne, 2^{ème} Ed- Edi.Sociales, Paris, 1960, p51.

³ لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار التقدم، موسكو، 1971م، ص210.

⁴ Depeyerimhoff, Enquete sur les Résultats de la Colonisation Officielle 1871-1895, T1, Alger, 1906, p51.

⁵ Paul Azan, op.cit, p51.

تمخضت عن هذه الحملة الاستيطانية حدة الصراع بين المعمرين و الجزائريين إلى غاية أن صدر قانون "سيناتوس كونسولت " 22 أفريل 1863م " لتنظيم عملية النهب لأراضي القبائل . وبعد سقوط الإمبراطورية الثانية طالب المعمرون بالإدماج وواصلت السلطة الاستعمارية في ممارسة القمع لردع الجزائريين من خلال إصدار مجموعة من المراسيم الهادفة لخدمة التوسع الامبريالي الفرنسي في البلاد .¹

بعد نشأة المكاتب العربية عام 1844م حدد هذا الإطار من وادي الصومام شمال غربي المقاطعة حتى الحدود التونسية أي إلى غاية دائرة مدينة القالة ، ومن جبال الحضنة غرب جنوب المقاطعة مارا بالزيبان جنوبا حتى قبيلة النمامشة في الجنوب الشرقي من البلاد .²

جغرافيا: يقع القطاع القسنطيني في الجهة الشرقية من الجزائر، حيث كانت مقاطعة الشرق الجزائري كانت منذ سنة 1837 م ، ممتدة من منطقة القبائل إلى غاية الحدود التونسية في حين لم تكن لها حدود مضبوطة من الشمال أو الجنوب سوى البحر المتوسط أو الصحراء . تقدر مساحته بحوالي 87581 كلم² فهو يحتل المرتبة الأولى و تليها عمالة وهران بحوالي 67352 كلم³، يحده شمالا البحر المتوسط بشريط ساحلي يبلغ طوله 365 كلم، ومن الجنوب الأقاليم الصحراوية ، ومن الشرق الحدود التونسية ، ومن الغرب عمالة الجزائر.

إداريا، أصبح هذا القطاع يضم منذ سنة 1937 عشرة دوائر وهذا باحتساب دائرة قسنطينة عاصمة الإقليم وهي: قسنطينة، سكيكدة ، جيجل ، بجاية، بسكرة ، باتنة ، سطيف ، قالمة ، عنابة ، برج بوعريريج و بوسعادة .⁴

¹ عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975م، ص48.

² صالح فركوس، المرجع السابق ، ص 275.

³ Annuaire statistique de l'Algérie, 1939 – 1947, p 22.

⁴ صالح فركوس، المرجع السابق ، ص ص 319-321.

قسمت هذه الدوائر إلى 120 بلدية كاملة الصلاحيات¹ (communes de plein exercice) و 18 بلدية مختلطة² (communes mixtes)، تضم ستة مراكز بلدية تسيير وفق نظام الجماعة الذي أنشئ في الفترة الممتدة ما بين 1937، 1945.

1-3- كبولاني و المكاتب العربية:

إذا كان تاريخ الجزائر في الفترة الاستعمارية يرتبط كل الارتباط بما سجله لنا الاستعمار نفسه عن سير الأحداث ومعطياتها، فإن إدارة المكاتب العربية في الواقع كانت الإدارة الأكثر اتصالا بالجزائريين لمعاينة كل صغيرة و كبيرة، فهي تمثل عيون الإدارة الاستعمارية التي تراقب الأحوال وتدون الأحداث وكل ما يقع في البلاد.

• تعريف المكتب العربي :

يعرف "فرديناند هيغونيت" (Ferdinand Hugonnet) أحد رؤساء تلك المكاتب تلك المؤسسة كما يلي : " المكتب العربي هو حلقة وصل ما بين الجنس الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830م و الجنس الأهلي الذي يقطن البلاد من قبل ولا يزال إلى الآن" ..³

أما "شارل ريشار" وهو كذلك احد رؤساء تلك المكاتب يصفها كما يلي : " أن مؤسسة المكتب العربي هي وسيلة عمل وهي أساس تفكيرنا قبل أن تكون وسيلة لتعبيرنا ..."⁴

¹ البلدية الكاملة الصلاحيات (commune de plein exercice): وهي البلديات التي أغلب سكانها أوروبيون ويطبق عليها قانون البلدية في البلد الأم. ينظر: حسين مدني، التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر (1884-1914) - الغرب الجزائري نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012/2013، ص 30.

² البلدية المختلطة (commune mixte): هي البلدية التي أغلب سكانها جزائريون وأقلية أوروبية أعضاء مجلسها الأوروبيون ينتخبون والجزائريون يعينون. ينظر: حسين مدني، المرجع السابق، ص 30.

³ Ferdinand Hugonnet, Souvenir d'un Chef du bureau Arabe, Paris, 1858, pp 5-6.

⁴ Richard. Ch, Du Gouvernement Arabe et de L'Institution qui doit L'exercer, Alger, 1848, pp 19-20.

لقد كانت الإستراتيجية الاستعمارية ترمي من وراء إرساء تلك المكاتب بمختلف مدن القطر الجزائري، و توظيف خبراء عسكريين و مدنيين (مثلما هو الحال مع كبولاني كما سنوضح لاحقا في دوره الاستعماري من خلال توظيفه بالإدارة الفرنسية بالجزائر)، إلى تحقيق أهداف إستراتيجية كثيرة سنوضحها فيما يلي .

• نشأة المكاتب العربية :

لقد واجهت السلطات الاستعمارية الفرنسية مباشرة إثر احتلالها الجزائر العاصمة عام 1830م مشكل إدارة السكان ، حيث وجد المستعمر نفسه يجهل لغة هذا المجتمع و عقيدته وتقاليده وطبيعة بلاده الجغرافية¹، ونتيجة لفوضى الاحتلال التي اكتسحت البلاد حاول المحتل إيجاد مؤسسة تكون همزة وصل بين قواته الغازية و الجزائريين ، فأحدث الدوق "دورفيغو" (Dorfigau) الحاكم العام للجزائر عام 1833م ، فرعا في مكتب سماه "المكتب العربي" الذي أطلق عليه فيما بعد " مصلحة الشؤون العربية " ، و الحقيقة أن تلك الإدارة لم تكن لتتهدم بشؤون الجزائريين بقدر ما كانت تعمل على إخضاعهم و بسط نفوذ فرنسا على كامل أنحاء القطر .²

عينت الإدارة الفرنسية مجموعة من الشخصيات الفاعلة في الأوساط الأهلية لتولي منصب " أغا العرب " مثل :حمدان بن أمين السكة، محي الدين الصغير بن المبارك، سي حمودة ولد سيدي الشيخ ، حاكم قسنطينة و آخرون غير أنهم فشلوا في السيطرة على السكان الناقمين بحكم أن تلك الإدارة كانت تخدم أهداف و مصالح فرنسا .³

¹Germain .R, La Politique Indigène de Bugeaud, Paris,1955,pp 194-195.

²Yacono. X, Les Bureaux Arabes et L'Evolution des Genres de Vie Indigènes dans l'Ouest du Tell Algérois, Paris, 1953,p 11.

³ محمد صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، تح: يحي بوعزيز ، ط خ، وزارة المجاهدين الجزائر، 2009، ص ص 143-144.

العربية بتاريخ 16 أوت 1841م بإيحاء من الجنرال "دوماس"، البحث عن أسلوب إداري استعماري يمكن بواسطة إخضاع الجزائريين للسلطة الفرنسية و بفعل الضرورة كان لابد من البحث عن عناصر فرنسية عسكرية تتكيف مع الجزائريين و تتوغل في أوساطهم . لأجل ذلك نشأت المكاتب العربية بمقتضى مرسوم وزاري مؤرخ في 1 فيفري 1844م.¹

مشكلة من نظام متفرع هرمي وفق السلم الإداري لمؤسسة تلك المكاتب ، ويمكن القول أن نشأة المكاتب العربية التي تشكل العنصر الرئيسي في "حكومة العرب " قد اعتبرت من طرف المستعمر منذ البداية كإجراء جيد و هادف من اجل مراقبة و تأطير شيوخ المجتمع الجزائري .²

• أهداف المكاتب العربية :

- نشأت المكاتب العربية لأجل تحقيق غايات وأبعاد استعمارية تتخلص مضامينها في ما يلي:
- التمكين للاستعمار و العمل على إخضاع القبائل للسلطة الامبريالية.
 - مراقبة تحركات القبائل وقادة الثروات الشعبية و حراسة المشبوه منهم.
 - مراقبة الزوايا و الطرق الصوفية و القادة الروحيين .
 - مساعدة الضباط العسكريين بالبلاد في إدارة السكان و تنفيذ أوامرهم مع توجيه السياسة الاستعمارية .³
 - التمهيد لطرق الاحتلال والاتصال والتجارة الاستعمارية عن طريق إقرار الأمن والاستقرار.
 - استخلاص الضريبة من أهالي البلاد و إيداعها في ميزانية الخزينة الفرنسية .
 - التقليص من نفوذ رؤساء الأسر القسنطينية الكبرى بالإضافة إلى تولي مهمة القضاء والفصل في الخصومات و النزاعات القائمة بين السكان .⁴

¹ Hugonnet. F, **Français et Arabes en Algérie**, Paris,1860,p181.

² Vallet. E, **Constantine Son passé, son centenaire 1837-1937**, Ed. Braham Paris,1937, Vol.LXIV,pp 160-161.

³ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993، ص 117.

⁴ أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877م) ، الجزائر،1977، ص ص 15 - 16.

وعلى أي حال ، فإن تلك الأهداف قد حققت مكاسب استعمارية قصد ترسيخ فكرة " الجزائر فرنسية " ، وهي في كل الأحوال ليست " إدارة كما يرغب الجزائريون المسلمون " . بحيث تستجيب لحاجياتهم أو تعمل على ترقيةهم أو تحسين ظروف حياتهم ، بل كانت جزء لا يتجزأ من الآلة الاستعمارية الفرنسية التي زرعت الموت و الدمار واتت على الأخضر و اليابس .¹

• دور المكاتب العربية في الإدارة الاستعمارية :

- **الدور العسكري** : تعد المكاتب العربية جزءا لا يتجزأ من المؤسسة العسكرية ، ذلك أن

الإستراتيجية الاستعمارية كانت تستهدف:

- إخضاع الجزائريين و قمع الثروات المناهضة للوجود الفرنسي .

- الجوسسة و مراقبة الرأي العام و تحركات المجاهدين .

- الحيلولة دون وحدة الأمة الجزائرية و مراقبة المؤسسات الدينية .

- استنزاف كل ثروات و موارد البلاد .²

- تكوين فرق عسكرية " الزواف ، الصبايحية " لخدمة الاستعمار تحت شعار المحافظة على

أمن و استقرار السكان .

وبالرغم من كل الوسائل المستخدمة من طرف العدو لقمع الثروات الراضة للاحتلال ، فقد

ظلت قوافل المحتل تهمز تحت ضربات رجال المقاومة.³

- **إدارة شؤون الجزائريين** : بمجرد احتلال الجزائر العاصمة حاولت السلطات الفرنسية تنظيم

المجتمع الجزائري إداريا وفق مصالحها ، لأجل ذلك أحدثت تلك المؤسسة التي كان من أولى

أولوياتها : التخلص تدريجيا من شيوخ المجتمع و تجسيد الإدارة المباشرة بالعمل على تقويض نظام

¹ Lapasset. F, Aperçu sur L'Organisation des Indigènes dans les Territoires Militaires et Civils, Alger,1850, p2.

² Féraud .L.Ch, Histoire des villes de la Province de Constantine, Philippe ville, Alger,1875,pp 112-113.

³ . De Paradis. V, Alger au XVIII Siècle, Edité par E.Fagnam, Alger,1898,pp 75-76.

القبيلة وما يحكمها من تقاليد دينية و إدارية و اقتصادية و غيرها قصد إضعاف قوتها و تماسكها و تكسير شوكتها ، و لبلوغ ذلك سلكت تلك المكاتب سياسة " فرق تسد " فأشاعت بذلك الفتنة و التناحر بين الإخوة الأشقاء .¹

أدركت فرنسا انه لا بد من القضاء على القضاء الإسلامي الجزائري المستوحى من الشريعة الإسلامية ، و من ثم عمل ضباط المكاتب العربية في هذا الميدان من اجل تحريف هذا التشريع أو تكييفه بما يتماشى و القانون الفرنسي بالرغم أن الكثير من القبائل ظلت محافظة على شخصيتها مستقلة بقضائها و نظام حياتها تواجه كل وسائل الاحتلال المتمثلة في الإبادة الجماعية و الإعدام و النفي و الطرد و التعذيب.

- **دورها الاستيطاني** : لقد عمل ضباط المكاتب العربية في البداية على تدعيم سياسة التعمير بل " التدمير " ، خاصة طرد السكان من أراضيهم و ديارهم و تهيئتها للمعمرين .²
و نتيجة لاتساع الأقاليم المدنية في كامل أنحاء البلاد ، بدأ هؤلاء الضباط يشعرون منذ البداية الستينيات بتراجع نفوذهم ، لتبدأ مرحلة شديدة الصراع السياسي بين النظامين: العسكري الذي تمثله تلك المكاتب، و المدني الذي يمثله المعمرون من اجل حكومة المستعمرة، هذا الصراع راح ضحيته الجزائريون و انتهى بسيطرة المعمرين على معظم الأراضي و المؤسسات الإدارية و السياسية و الاقتصادية .³

- **الدور الاقتصادي** : لقد هدف المشروع الاستعماري لتلك المكاتب إلى حمل الفلاحين الجزائريين على القناعة بالزراعة الصناعية لتحطيم الفلاحة التقليدية للأهالي . ذلك أن تلقين هؤلاء

¹ Dufal. J et Warnier .A, **Bureaux Arabes et Colons**, Paris, 1869, p68.

² مذكرات الحاج أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، ترجمة و تعليق: محمد العربي الزبيري ، م و ن ت ، الجزائر، 1981، ص 99.

³ Agéron .Ch.R, **Les Algériens musulmans et la France, op.cit**, pp37-38.

الفلاحين بعض وسائل فلاحه الاستعمار إنما ليكون المردود في النهاية لصالحه ويظل أبناء الوطن يتخبطون في الأزمات من اجل البقاء .¹

انتهى ذلك بمصادرة الأراضي وإجبار القبائل على إصلاح ارض البور والدخول في القروض الربوية ، في حين تضاعف دور الكاتب في المقاطعة بل في كامل القطر لمراقبة تحركات الناس في الأسواق و مبادلاتهم التجارية وإحصاء الثروة الحيوانية وكذا الموارد الأخرى الاقتصادية بهدف تسخيرها للاستعمار .²

كما كان دورها واضحا في تطوير التجارة ، في الوقت الذي كان فيه الجزائريون يعيشون مجاعات حادة و أوبئة فتاكة أدت إلى تلاشي قبائل و قرى بكاملها ، في حين لم يحرك ذلك الإخطبوط الاستعماري ساكنا بل ظل يمعن في القتل و التدمير .³

- **الثقافة الاستعمارية و الدور التعليمي** : لم تكن مهمة المكاتب العربية تقف عند حد مراقبة تحركات الجزائريين ، بل كانت تستهدف ربط الجزائر بفرنسا ثقافيا و تاريخيا و سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في هذا الإطار عملت تلك الهيئة بكل الوسائل لكسب النخبة الجزائرية المثقفة لتجعل ألسنتها تلهج بمناقب وخصال فرنسا قصد المحافظة على الوضع الراهن و ترسيخ فكرة الاحتلال .⁴

كما اتجه تفكيرها نحو إدخال التعليم الفرنسي في أوساط بعض الجزائريين و ذلك عن طريق تأسيس مدارس عربية - فرنسية لتجعل من أطفال الجزائر في المستقبل عناصر مؤيدة للاستعمار

¹Garbet. M et Dufal. J, Archives Algériennes, T2 Année,1885,pp80-83.

² محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار ، ذخائر المغرب العربي، الجزائر،1974، ص ص 47-50.

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، ش و ن ت ، الجزائر،1972، ص 7.

⁴ صالح فركوس، الباي محمد الكبير و بايلك الغرب الجزائري(1779-1796م) ، رسالة دبلوم الدراسات المعمقة،

جامعة قسنطينة، الجزائر،1979، ص ص 100-112.

لكن الفشل كان كبيرا في أكثر التجارب و المشاريع ، لان المساجد و الزوايا ظلت تحافظ على اللغة العربية و استمرارية تعليم أبناء الجزائريين .¹

2- توظيفه بالإدارة الفرنسية بالجزائر :

بعد ثلاث سنوات من دراسته في مدرسة قسنطينية العادية (من 1883 إلى 1886)، تخرج بعدها كبولاني بشهادة تمكنه من امتحان التعليم حيث كان من المقرر أن يكون معلما، في هذه الفترة تم استدعاؤه لأداء واجب الخدمة الوطنية في الجيش الاستعماري الفرنسي ، لكن و من خلال الإجراءات الإدارية التي قام بها بسرعة كبيرة تمكن من الحصول على رخصة إرجاء . بعد أن تم منحه إرجاء للخدمة اختار كبولاني مغادرة التدريس² و زاول بعض المهن المؤقتة المختلفة من بينها مثلا : كان يعمل كموظف شحن في محافظة المدينة³ ، قبل أن يختار دخول مسابقات لوظائف إدارية بالإدارة الفرنسية، و فعلا نجح في اجتياز مسابقة كاتب في محافظة قسنطينة ، حيث بقي حتى مغادرته للجيش في 29 أغسطس 1887م. أنهى كبولاني خدمته العسكرية بعد مرور عام، و عاد إلى منصبه في المحافظة مع أمل أن يدخل إدارة البلديات المختلطة التي يبدو أنه كان يريد أن يجعل منها مهنة المستقبل ، و التي في الواقع كان يتم تعيين الموظفين فيها من بين الموظفين المدنيين الجزائريين الذين يستوفون سنا معيناً ، مع احتساب أقدمية الشهادة الدراسية (الدبلوم).⁴

في هذه المرحلة كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية قد قسمت الجزائر إداريا إلى ثلاثة أقاليم: الجزائر - وهران و قسنطينة ، حيث يحتوي كل إقليم على مقاطعات مدنية و أخرى

¹ محمد صالح العنتري، الفريدة المؤنسة ، المرجع السابق ، ص 259.

² Centre des Archives d'outre-mer, **dossier personnel « Xavier Coppolani »** , Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

³ Robert Arnaud , **op.cit**, p7.

⁴ Geneviève Désiré-Vuillemin , **Coppolani en Mauritanie...** , **op.cit** , p 293.

عسكرية . المقاطعة المدنية مقسمة إلى مجموعة بلديات على رأسها حاكم مندي ، أما المقاطعة العسكرية مقسمة إلى دوائر يرأسها حاكم عسكري برتبة جنرال .

تحتوي المقاطعة المدنية أيضا بلديات كاملة الصلاحيات يرأسها رئيس البلدية يساعده المجلس البلدي، وأخرى مختلطة أكبر حجما وأكثر اتساعا (مساحتها أكثر من 250 ألف هكتار) ، وقل تعميرا حيث يسكنها السكان المحليين فقط ، يحكمها رئيس بلدية بزي عسكري يطبق سياسة القوانين الرديعية التي جاءت بها إصلاحات 1890م .¹

وبالفعل تمكن كبولاني من تحقيق مبتغاه، فلحسن حظه، وبدلا ممن قد رفض هذا المنصب، وبموجب مرسوم المحافظات الصادر في 11 أبريل 1889، تم تعيينه سكرتيرا للبلدة المختلطة واد شارف، في 15 أبريل 1889، بموجب أوامر رئيسه "رينيه برنيل" (René Bernelle)² . من هنا سوف يبدأ كزافي كبولاني تحت قيادة هذا الإداري المحنك و الرجل الصارم و الجاد و الذي يخشاه كل معاونيه ، و الذي أصبح يكن له تقديرا كبيرا ، ليكتشف كزافي مهنته . فبوصفه أمينا للبلدية المختلطة فهو مسؤول عن كل من تفاصيل الخدمة وجميع الأجزاء الإدارية³ ، حيث اهتم كبولاني في إطار عمله ببلدية واد شارف ومكتبها العربي بالكثير من المهام كصياغة البريد و أمانة المحفوظات والأرشيف والمحاسبة والإحصاءات، كما كان يشرف أيضا على مراقبة الأشغال العمومية خاصة تهيئة وصيانة الطرقات التي كانت في هذه الفترة طرق غير معبدة مجرد مسالك حصوية .

¹ George Coppolanie ، **op.cit**, p38.

² رينيه برنيل (René Bernelle): هو إداري فرنسي محنك من أهم شخصيات الإدارة الفرنسية بالجزائر، ولد بالجزائر العاصمة في 01 جويلية 1844م، تدرج بالمناصب الإدارية انطلاقا من رئاسة البلديات المختلطة منها في مقاطعة تلمسان: بلدية الرمشي في 20 نوفمبر 1979م ثم ندرومة في 03 سبتمبر 1880م ، كما شغل منصب رئيس دائرة تلمسان بالوكالة إثر شغور المنصب ، ثم انتقل إلى بلدية واد شارف بإقليم قسنطينة حيث كان تحت قيادته كبولاني الذي تعلم منه الكثير. ينظر:

Centre des Archives d'outre-mer, **Commune mixte de Remchi Département d'Oran Arrondissement de tlemcen** ,FR ANOM 92503. 1à 8 ./référence Internet , ark :/61561/477qlr.

³ Geneviève Désiré-Vuillemin , **Coppolani en Mauritanie...** , **op.cit** , p 293.

كما اشرف على مصلحة المياه وحفر الآبار وأيضا في الجانب الصحي للسكان المحليين من خلال التدابير الوقائية وحملات التلقيح ضد وباء التيفوئيد والملاريا. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يعتني بمكتب البريد في عين عمارة وفي نهاية المطاف، يساعد زملاءه و رؤساءه في بعض المهام الموكلة والمحددة لهم.¹

كما لم يتردد المدير رينيه برنيل الذي كان يعتمد على كاتبه الشاب ، الذي كان يرافق رئيسه في جميع خرجاته الميدانية لمقابلة السكان بمختلف طبقاتهم ، كما كان يرافقه أيضا خلال جولات المراقبة والإطلاع التي يقوم بها في مراكز الدواوير ، فقد كان لدى كبولاني كل ما يتعلمه من هذا الرجل الذي توزعت حياته المهنية في أجزاء كثيرة من الجزائر، و الذي كسب خبرة كبيرة في الإدارة والجمارك و عادات السكان المحليين ، فرغم وجود المترجم كان كبولاني يعتمد على نفسه في الحديث باللغة العربية لإثراء رصيده منها و حتى تكتمل شخصيته الإدارية .²

في هذه الوظيفة سوف يتكون الكاتب الشاب و تتطور قدراته الإدارية و حسه بالمسؤولية . وعن طريق احتكاكه بالمجتمع المسلم سوف يتعرف أكثر على عادات و تقاليد هذا المجتمع، حيث أظهر كبولاني قدرات كبيرة في التواصل و الصبر ، حيث استطاع في فترة وجيزة أن يكتسب معرفة خاصة حول القرآن و الأحاديث النبوية و الاطلاع على الكثير من الكتب الدينية .

وبالفعل أصبح كبولاني في فترة وجيزة يتحدث اللغة العربية المحلية بطلاقة كما قدم بقسم اللغة العربية بقسنطينة حتى يتمكن من إتقانها كتابة و حديثا ليتحصل في 2 ديسمبر 1889م على دبلوم جامعي في اللغة العربية بتقدير ممتاز. كما التحق كبولاني بعد ذلك بكلية الحقوق ليتخرج منها في نهاية سنة 1891م بشهادة في التشريع الجزائري والأعراف والعادات المحلية.³

جمع كبولاني كل مقومات النجاح من قدرات بدنية وذهنية، فجسديا كان لكبولاني هبة ومكانة كبيرة فقد كان يفرض وجوده أينما حل، كما كانت له قوة إقناع خطيرة بتعبير هادئ

¹ George Coppolanie ، **op.cit**, p38.

² Geneviève Désiré-Vuillemin , **Coppolani en Mauritanie** , **op.cit** , pp. 293

³ George Coppolanie ، **op.cit**, p38.

ومنتظم. أخلاقيا، كان يتميز باثنين من الصفات الغالبة ، على ما يبدو: ذكاء ثاقب واضح، متفتح على إيجاد حلول عملية . وبالإضافة إلى ذلك ، شغف لا يقاوم للعلوم و المعرفة خاصة الأشياء الغامضة، الشيء الذي سيدفعه إلى دراسة أسرار المجتمع العربي الإسلامي ، و تحليل العلاقات الاجتماعية بصفة عامة و على وجه الخصوص التأثيرات و الممارسات السحرية في نظره من بعض شيوخ الطرق الصوفية المنتشرة من خلال الزوايا الدينية في إقليم قسنطينة ، و في الجزائر بصفة عامة ¹.

وفي إطار مهامه الجديدة أيضا و بشكل إيجابي هذه المرة ، اطلع الشاب كبولاني على سوء تعامل الإدارة الفرنسية مع ذهنية السكان المحليين ، ما يؤدي إلى عدم الاستقرار و سوء الوضع الأمني في الجزائر ، حيث لاحظ منذ دخول الاستعمار الفرنسي و إلى غاية قيام الجمهورية الثانية ، أن السكان المحليين قد خضعوا إلى أنظمة إدارية و قوانين رديئة ظالمة .

في بداية عام 1891 وفي تقرير بعنوان الوضع الأمني في الجزائر ، تطرق كبولاني في سرد تاريخي لتطورات الوضع الأمني في الجزائر منذ الفتوحات الإسلامية حيث حلل مراحل الفتح الإسلامي مشكلة تعايش البربر (السكان المحليين) مع العرب كما تناول الوجود العثماني في الجزائر حيث وصفه بالحكم الجائر الذي مارس سياسة تعسفية في حق الجزائريين بفرض ضرائب و تهميش العنصر المحلي ².

وخلال عمله كمتدرب في المكاتب العربية في الجزائر، واحتكاكه بعامة الناس وزعمائهم من شيوخ الزوايا، لاحظ كبولاني هيبة ومكانة رجال الدين وشيوخ هذه الطرق، فقرر اكتشاف أسرار تحكم هذه الفئة في عامة الناس من المجتمع الإسلامي في الجزائر، وفي باقي المناطق الإسلامية من شمال إفريقيا، فبدأ بحثه في هذا المجال من خلال دراسة، اهتم فيها بكل صغيرة وكبيرة عن الطرق

¹ Rev. franc, d'hist. d'outre-mer, t. IXXX (1993), n° 301, pp. 615 à 626.

² George Coppolanie , **op.oit**, p38.

الصوفية في الجزائر، آخذا كنموذج عنها الزاوية العمارية المنتشرة بالمنطقة لبدأ كبولاني مسارا جديدا في مشواره المهني من خلال البحث و التعمق في دراسة المجتمعات الإسلامية الواقعة في نطاق دائرة السلطة الاستعمارية الفرنسية، فاتحا بذلك آفاقا جديدة في التدرج و الصعود في مناصب عليا بالإدارة الفرنسية.¹

استطاع كبولاني خلال هذه الفترة القصيرة و منذ التحاقه بالجزائر التأقلم مع المجتمع الجزائري حيث تمكن من خلال مشواره الدراسي إتقان اللغة العربية و الإمام بالقانون الجزائري و عاداته وأعرافه إضافة إلى خبرته الإدارية في مختلف المهام كل هذه المكتسبات استغلها كبولاني في فهم وتحليل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في خطوة أولى ضمن مهمته بالإدارة البلدية من خلال إعدادة تقريرا عن الوضع الأمني في الجزائر أين اكتشف الدور الذي يلعبه رجال الدين من شيوخ الطرق الصوفية و تأثيرهم الكبير على المجتمع ما طرح أمامه مجموعة من التساؤلات حول الدور الذي تلعبه الطرق الصوفية في توحيد المجتمعات الإسلامية و التحكم فيها خاصة فيما يتعلق بمناهضة الاستعمار الفرنسي ، من هنا تحول مشروع كبولاني إلى دراسة و تحليل الطرق الصوفية الإسلامية من خلال الطريقة الصوفية السائدة بمنطقة واد شارف و هي طريقة سيدي عمار بوسنة (الطريقة العمارية) أين اكتشف التأثير الكبير لهذه الطرق ليس في الإقليم الشرقي من الجزائر فقط بل في مختلف ربوع الجزائر.²

تراجع الوضع الأمني في الجزائر سنة 1890، ليحين الوقت لتطبيق قوانين جديدة التي وصفها كبولاني بأنها غير فعالة ، لعدم أهلية الجهاز الأمني (الدرك) في التعامل مع السكان المحليين الذين يجهلون لغة وعادات و تقاليد الجزائريين ، و طريقة تفكيرهم حيث اقترح إنشاء جهاز موازي ما اصطلح عليه باسم الشرطة الجوارية ، و التي تتألف حسب رأيه بقدماء الجيش من السكان المحليين ، حيث يكون في كل دوار مركز يسهر على مراقبة الوضع الأمني من تحركات الأفراد

¹ Geneviève Désiré-Vuillemin , Coppolani en Mauritanie ,op.cit , pp. 293

² George Coppolanie ، op.cit , pp38-39.

والجماعات المشبوهة والتي تمثل خطرا على السلطات الفرنسية تحت غطاء ممارسات دينية . هذا هو محتوى التقرير الذي بعثه كبولاني إلى مسؤول الدائرة الإدارية .

طوال حياته المهنية اهتم كبولاني بالمشاكل الأمنية حيث كان يفكر في إنشاء جهاز امني يسمح بحماية الأشخاص والممتلكات، للعيش في مجتمع مستقر وهادئ.¹

لينشر سنة 1894م هذه الدراسة في كتاب بعنوان "سيدي عمار بوسنة- الطريقة العمارية" على نموذج الوثائق المنشورة من قبل متخصصين سابقين مثل هنري ديفيرين (henry duveyrén).

حيث ذكر في مقدمة الكتاب عن الدور الذي تلعبه الأوامر الدينية في حياة المجتمعات الإسلامية في حين لا تلقى أوامر السلطات الفرنسية نفس التفاعل إلا عن طريق القوة . الطرق الصوفية في رأيه هي دولة داخل دولة وهي دائما في استعداد لعرقلة عمل الحكومة التي لا تخضع لحاجياتهم كل شيء مرتبط بالمعتقدات الصوفية. في نظره لكل طريقة أذكراها الخاصة (الورد) وطقوسها وممارساتها (الذكر) هي على العموم تنقسم إلى قسمين : الأولى خاصة بالعلماء و المشايخ مثل القادرية والتيجانية والسنوسية والثانية خاصة بما يسمى الفقراء جمع فقير ويقصد بها التابعين مثل العيساوية والتي تخلوا من الموردين ,وكل هذه الطرق مرتبطة بمراكز التعليم، الزوايا المتواجدة دائما بجوار القبة مكان دفن الولي الصالح (المرابط) والتي يحكمها شيخ وهو الموجه والمسئول الأول عن الطلبة (جمع طالب أي متعلم) للقرآن.²

بنشر هذه الدراسة أراد كبولاني أن يظهر اهتمامه بالشؤون الإسلامية ومن جهة أخرى أن يثبت قدراته في إنجاز دراسة كاملة حول العالم الإسلامي بجانبه الديني و السياسي لقد أيقن أيضا انه إذا أرادت السلطات الفرنسية التوسع انطلاقا من إفريقيا الشمالية لا بد أن تعتمد على خبير الشؤون الإسلامية حيث اعتبر نفسه لأكثر قدرة على تحقيق هذه الغاية لكن ليس من خلال بقاءه

¹ George Coppolanie , **op.cit** , p39.

² **Ibid** , p42.

في منصب كاتب لبلدية مختلطة لذلك وضع نصب عينيه الالتحاق بالحكومة العامة بالجزائر العاصمة بداية بترقيته إلى منصب مساعد إداري . من جهة أخرى أرسل رئيس دائرة قلعة دراسة الشاب كبولاني إلى قسنطينة و اقتراحه لإرسالها إلى الحكومة العامة في الجزائر.¹

في ديسمبر 1994 كتب كبولاني إلى رئيس الدائرة يستفسر عن مصير دراسته الناجحة والتي لاقت الاستحسان و التهاني من قبل الرائد "رين" مستشار الحكومة ومدير شؤون الأهالي ويطلب فيها أيضا نقله للعمل بمصلحة شؤون المسلمين بالحكومة العامة بوصفه على أنه وضع دراسة كاملة للطرق الصوفية وتأثيرها على الجانب الأمني و على دورها في دفع عجلة التوسع الفرنسي بالجنوب الجزائري و الصحراء الكبرى.

بعد هذه المراسلة و من خلال إطلاع الحكومة العامة على كتابه دخل كبولاني في اتصالات مع أوكتاف ديون إداري في البلديات المختلطة سابقا وملحق بمصلحة شؤون الأهالي في الحكومة العامة والذي أعجب بدراسة كبولاني وبطموحه واهتمامه بالشؤون الإسلامية ,ليقدم طلبا بالاستفادة من خدمات كبولاني للعمل بجانبه بمصلحة شؤون الأهالي بالحكومة العامة .²

بدون شك "جون دومينيك لوسيانى " من أبناء عمومة كبولاني الذي يشغل نائب رئيس المكتب السادس بالحكومة العامة و المسؤول عن شؤون الأهالي ، لعب دورا أساسيا في الوساطة بين الرجلين ، من هنا بدا كبولاني تجربته الاستثنائية من خلال توظيف خبرته بالمجتمع الجزائري (تاريخ،دين ، عادات ، لغة) لخدمة التوسع الفرنسي نحو الجنوب من خلال تطبيق نظرياته حول الطرق الصوفية استكمالا بالعمل الذي بدأه "ل.مرين" (L.Merin).

¹ George Coppolanie , *op.cit* , p39.

² *Ibid* , p48.

• في الحكومة العامة بالجزائر :

بموجب الأمر الصادر في 15 ديسمبر 1895 عين كبولاني كملحق بمصلحة شؤون الأهالي والمصالح العسكرية كمساعد ل أوكتاف ديون ورغم خفض راتبه إلا انه مؤمن بما سيحققه من نتائج لمهمته الجديدة .¹

تقاسم كل من كبولاني و ديون نفس الثقافة والاهتمام بشؤون الأهالي المسلمين في إفريقيا حيث وجد كبولاني شغفه للغة العربية في شخصية ديون الذي يتقن العربية والقبائلية وحتى التركية ما سيطور قدراته اللغوية التي سوف تساعده في مهمته للتفاوض مع الشيخ السخاوي قائد الثورة ضد التوسع الفرنسي في شرق منطقة "بامبا" شمال نهر النيجر في مارس 1999م ليتوج بالنجاح في إخضاعها ، لتكون هذه التجربة أول خرجة دبلوماسية ميدانية ينجح كبولاني في تجسيد تجربته النظرية حول معرفته بالشؤون الإسلامية خارج الجزائر على أرض الواقع .

يذكر روبرت أرنو أن الثنائي كرس عدة سنوات من حياتهما في مشروع دراسة الطرق الصوفية حيث يصف بقوله :«...بين أدراج المكاتب وفوق الطاولات نجد العديد من الأوراق والوثائق المبعثرة (جرائد ، سجلات للمعلومات و الإحصائيات إضافة إلى مذكرات التي أعدها إداريون وعسكريون فرنسيون سابقون حول أرض الإسلام ...» .²

¹ George Coppolanie , *op.cit* , p49.

² *Ibid* , p49.

3- تأليفه كتاب الطرق الصوفية الإسلامية:

أخيرا تحقق حلم كبولاني فبعد انتدابه كمستشار مكلف بشؤون المسلمين ، حيث انتقل على سبيل الإعارة للحكومة العامة ، توفرت له الظروف لمواصلة دراسته السابقة عن المجتمعات الإسلامية بالتعاون مع رئيسه في العمل أوكتاف دييون (Octave Depont) ، في شكل كتاب مشهور بعنوان: الطرق الدينية الإسلامية (Les confréries religieuses musulmanes)¹، وهو كتاب كانت تعتبره السلطات الفرنسية أساسيا لأي دراسة الإسلام ، حيث أخيرا وفي سنة 1897م تمكن الرجلان من استكمال دراستهما التي نشرت في شكل كتاب كبير بلغ عدد صفحاته 577 صفحة ، أصدرت منه أربعة طبعات من الكروم بسبعة رموز منقوشة (نقوشات عربية ذات طابع تاريخي وإسلامي مصنوعة من الكروم وهي طوابع تاريخية لحكام عرب مسلمين بالإضافة إلى رسومات لشجرة الأنبياء و المرسلين) بالإضافة إلى الكلمات المفتاحية وشرح لمصطلحات الدينية على صفحات الكتاب ، في خمسة و خمسون نصا و خريطة ملونة تحمل تفاصيل التوزيع الجغرافي لزوايا الطرق الصوفية في الجزائر و التي تمتد فروعها في المناطق الداخلية من إفريقيا حتى منطقة الكونغو الفرنسي ، بالإضافة إلى مناطق في آسيا و منطقة تركيا في أوروبا .²

حسب روبرت أرنو أن أوكتاف دييون بعد نهايتهما من إصدار الكتاب عن تفاني كبولاني و اهتمامه الكبير في تأليف كتاب الطرق الصوفية الإسلامية في الجزائر بالإضافة إلى رجاحة عقله وثقافته الواسعة زيادة على ذلك تحليله المنطقي و المنهجي للفرضيات الاجتماعية والمفاهيم الفلسفية المعقدة للمجتمعات الإسلامية .³

¹ Xavier coppolani et Octave Depont , **op.cit** , p1.

² George Coppolanie , **op.cit** , pp 49-50.

³ **Ibid** , p50.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة من بين أي دراسة عن الإسلام ، فقد مكنته معرفته باللغة العربية واطلاعه على القرآن الكريم، من إعطاء صورة عن الحياة الروحية للمسلمين بالجزائر¹ حيث توصل كبولاني من خلال هذه الدراسة إلى أن الإشعاع الديني للطرق الصوفية ، قد يمتد إلى بقع شاسعة من المعمورة و ذلك لأنها تنقسم إلى فروع متعددة ، كما توصل إلى أن العقيدة تحل محل الوطن في الأراضي الإسلامية ، و على هذا الأساس كان يرى ضرورة إنشاء مصلحة خاصة بالشؤون الإسلامية ، تتكلف بكل ما يتعلق بالإسلام من توفير المعلومات الأساسية التي تهم الحكومة الفرنسية ، و المصالح المعنية بذلك في الوقت المناسب ، هذا في الوقت الذي تتكلف هذه المصلحة بإعطاء توجيهات عامة للسياسة الاستعمارية ، فيما يتعلق بمحاربة أو كسب ود الطرق الصوفية.²

وقد لاحظ كبولاني أنه لا يجب التقليل من قوة التعصب لدى هذه الطرق سيكون خطأ ، حين اعتبر احتواءها من الحكمة بما كان أن تكون بذكاء ، و يرى من الأفضل عدم محاولة إهمالها و تحييدها بل كسب تعاطفها. و يبدو أن سياسته كانت تصب في اتجاه واحد ، هو التفاهم مع الطرق الصوفية بشكل يضمن كسب ودهم و ذلك بوضع اليد على الزوايا ، التي يرى أنه باستخدامها كواسطة يستطيع أن ينجح في إقامة علاقات سياسية و تجارية مع السودان الشرقي و الغربي³ و هو ما يضمن دخول أفكار الحضارة الفرنسية إلى الدول الإسلامية حسب رأيه.⁴

¹ Geneviève Désiré-Vuillemin ,Contribution à l'Histoire de la Mauritanie ,op.cit , p148.

² Ibid , p264 .

³ تشكل هذا الإقليم في 16 /7/ 1896م ، و ضمت ثمان ا من لمستعمرات الفرنسية هي : داهومي(بنين حاليا) _ ساحل العاج _ السنغال _ السودان (مالي حاليا) _ غينيا _ فولتا العليا (بوركينافاسو حاليا) _ موريتانيا _ النيجر. ينظر: علي سلمان البدوي ، الطريقة القادرية و الإستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية من قسم التاريخ (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة القاهرة، 2003، ص 48.

⁴ نفسه ، ص 48. ينظر أيضا: محمد الراضي بن صدفن ، المرجع السابق ، ص 45.

وبهذا ذاع صيت كبولاني في الإدارة الفرنسية في الجزائر ، كشخصية استعمارية ملمة بأحوال وشؤون المسلمين، وأصبحت أكبر الشخصيات الاستعمارية في الجزائر تعتمد عليه في تنفيذ سياساتها، وفي حل المشاكل والأمور المستعصية الخاصة بالمسلمين بهدف التحكم في المجتمع وإخضاعه، حيث كان يجيد اللغة العربية، وقراءة القرآن و على قدر واسع من الثقافة الإسلامية، ويقرب فهم أي موضوع للفرنسيين بكل سهولة و يقدم لهم المعرفة العامة والحياة الروحية للمسلمين في الجزائر، لينتدب في منصب نائب بوزارة المستعمرات الفرنسية في إفريقيا بالجزائر العاصمة في 1 جوان 1896.¹

ففي سن الثلاثين، كشف السياسي الشاب كبولاني أنه استوعب الفكر الإسلامي، وأوضح الفكرة الرئيسية التي ستوجه سياسته فيما بعد: على الرغم من تكاثر الطوائف، على الرغم من اختلافاتها- في أرض الإسلام كلمة الدين تحل محل كلمة البلد ، لذلك يعتقد كبولاني أنه من الخطأ تنفيذ "سياسة الجزائر الإسلامية" أو في "ضفاف نهر الغانج" فقط ، بل من الضروري أن تكون هناك سياسة عامة للمسألة الإسلامية برمتها.

وتحقيقا لهذه الغاية، سيكون من الضروري تنظيم رئاسة المجلس "إدارة الشؤون الإسلامية"، المسئولة عن مركزية جميع المعلومات المتعلقة بالإسلام ، وجمع معلومات جديدة عن طريق البعثات ، وإبلاغ الحكومة والخدمات المهمة لإعطاء سياسة عامة من جذب أو معارضة ، حسب الحالة و الوضعية الخاصة بين السلطة الفرنسية و هذه الطرق الصوفية . بذلك يكون كبولاني قد رسم الخط الذي يجب إتباعه بقدر الإمكان ، كي لا يجارب الزعماء الدينيين مباشرة ، لأن هذا يزيد من هيبتهم و لكن يتفادها و يعلقها من خلال النظر إلى أبعد من ذلك .²

¹ Geneviève Désiré-Vuillemin , Coppolani en Mauritanie ,op.cit , p 291.

² Ibid , p291.

4- مهمته في السودان الغربي (السودان الفرنسي):

لاستكمال العمل الذي بدأ مع "ديون"، طلب كبولاني في ماي 1898م ، ليكون مسؤولاً عن بعثات إلى دول إسلامية أخرى. وقدمت له الفرصة لوضع نظرياته موضع التطبيق في أقرب وقت خلال نوفمبر المقبل، حيث وجهت إليه دعوة من قبل الحاكم العام "ترانتينيان" حاكم السودان ، للقيام بـ "مهمة للسودان الفرنسي والساحل الجنوبي" ل الاتصال قبائل البربر والطوارق¹ بهدف إخضاعهم للإدارة الفرنسية بصفة سلمية. و وجدت هذه البعثة دعمها المالي من طرف الحاكم العام للجزائر، لكنه اضطر إلى إبقاء البعثة ذات طابع مدني محض بغرض التقصي وتجريدها من كل العسكريين.²

بالفعل و خلال شهر نوفمبر من من سنة 1898م تم تكليفه من طرف حاكم السودان "الجنرال ترانتينيان" للقيام بمهمة تقوده إلى السودان و الساحل الجنوبي على أن يلتقي بقبائل البيضان و الطوارق من أجل الوصول إلى إخضاعهم³ ، حيث انتقل "كوبولاني" نهاية نوفمبر 1898م من فرنسا و بالضبط من مدينة "بورديو" قاصدا مدينة "داكار" "السنغالية" في أول بعثة رسمية ميدانية في مستعمرة السودان الغربي الفرنسي "رفقة صديقه "روبارت أرنو" و مترجم جزائري ومعهم العشرات من الخبراء في جميع الميادين (الزراعة، الكيمياء، الفنون، الكهرباء، الجيولوجيا، الصناعات النسيجية....). و الذين وصلوا إلى "سانت لويس" بين 27 إلى 29 من نفس الشهر إلى تومبوكتو على ظهر باخرة على نهر "النيجر"، وبعد قطع مسافة 600 كلم قرر "كوبولاني" النزول بمنطقة" باكل" 150 كلم قبل "كايس"، أين واصل رحلته على ظهر الحصان وفق مترجمه فقط عبر طريق القوافل بعد أن ضرب موعدا مع بعثته في "تومبوكتو" التي لازالت تبعد

¹ الطوارق: في الصحراء الوسطى، بدو يرعون الجمال و يقطنون شمال منحى نهر النيجر ومنطقة جزمة الداخلة فيه، لهم نظام طبقي يقسم القبيلة إلى نبلأ وتوابع و عشائر خاضعة لنظم دينية وعبيد سود وطبقة أصحاب الحرف تماما كقبائل البربر . ينظر علي سلمان علي بدوي :المرجع السابق، ص 49.

² الرائد جليليه ، المصدر السابق ، ص126 .

³ علي سلمان البدوي ، المرجع السابق ، ص 49.

ب 1200 كلم حيث يستعملون القطار إلى "باماكو" ثم السفينة عبر نهر "النيجر" من خلال هذه المغامرة الأولى يمكن ملاحظة شيئين مهمين في شخصية كبولاني هما :

الجرأة والشجاعة، حيث غامر بدخول هذه المنطقة بمفرده رغم ما سمعه عن عنف وشراسة القبائل الصحراوية المعادية للوجود الفرنسي، و هو الذي ليس له إلا معرفته باللغة العربية و الدين الإسلامي و خبرته التي اكتسبها في الجزائر ، من خلال معاملته الطيبة و الدبلوماسية مع السكان المحليين .

يجدر الذكر في هذه المرحلة أن كبولاني قد حضر بحماس لهذه المهمة منذ فترة طويلة ، خاصة وأنه كان قد اطلع على كل ما يخص هذه المنطقة من التقارير الرسمية لمن سبقوه ، مع "روبرت أرنو" حيث اغتنم كبولاني طيلة فترة إقامته بـ "كايس" ، دراسة الملاحظات التي بعثها رؤساء الدوائر العسكرية لمنطقة السودان الفرنسي .¹

صادف أيضا أن كبولاني كان صاحب الفضل في نجدة صديقه النقيب "ريبال" (capitaine Reibell)²، رئيس مصلحة الأهالي و المصالح العسكرية في الحكومة العامة بالجزائر ، الذي كان في مهمة "فورو لامي" (fourea lamy) ، حيث ساعد كبولاني صديقه المختطف من قبيلة رابح بعد مطاردتها و إنقاذه من الموت ، و رغم نجاح النقيب في هذه المهمة إلا أن الصحراء ما تزال مضطربة ، حيث كان العقيد "تريتانيان" لا يزال مشغولا بصد الغارات

¹ George Coppolanie ,op.cit ,p105.

² ريبال (Capitaine Reibell): ولد في 14 ماي 1849م بـ دورشنهايم ، تخرج من كلية الحقوق ليتحق بصفوف الجيش كملازم و قائد فرقة، تحصل على وسام الشرف من الحكومة لحسن قيادته لينقل إلى الخدمة في الجزائر كرئيس مكتب بالأغواط في 1872م، حيث خاض عدة معارك في الصحراء ، و منها تنقل إلى عدة مناطق من الجزائر ، و تدرج في الرتب العسكرية حتى أصبح نقيباً سنة 1887م ، ليعين في فيفري 1893م رئيس مصلحة بمكتب شؤون الأهالي بالحكومة العامة بالجزائر العاصمة، ثم رئيساً له في سبتمبر 1894م ، أحيل على التقاعد سنة 1901م، و توفي في ديسمبر من نفس السنة. ينظر: <https://www.oran-memoire.fr/Reibell.html> اطلع عليه يوم 2018/03/02.

لقبائل الترقية القادمة من آدرار¹ و قبائل الحوض على الضفة اليمنى من نهر النيجر . ففي فترة الجفاف كانت تضطر هذه القبائل التي تعيش على تربية المواشي للتنقل إلى الضفة الأخرى من النهر لغناها بالأعشاب و المساحات الخضراء و التي تنمو بكثرة جراء فيضان النهر و خروجه عن مساره بحوالي 20 كم².

وجد كبولاني في منطقة "نيورو" حالة من الغموض والتعقيد بسبب تعصب القبائل الموريتانية (قبائل مشظوف، ولاد علوش، ولاد سيدي محمود، ولاد ناصر، ولاد مبارك) التي قطعت الطريق على القوافل التجارية الفرنسية المتوجهة من "تومبوكتو" نحو "تافيلالت" المغربية عبر "أروان" و"تغازة" إلى تندوف ثم "غولمين" ثم "تابلبالة" إلى "سجلماسة" "ف تافيلالت" . ورغم صعوبة الوضع والمخاطر التي كانت تشهدها المنطقة إلا أن كبولاني اسر على مواصلة مهمته حيث توجه إلى قبيلة "أولاد مبارك" و التقى بشيخها "سيدي مختار" و الذي اشتكى ل كبولاني من غلاء تكلفة الرعي و الضرائب المفروضة عليهم .

في نهاية جانفي 1899 م توجه كبولاني إلى "نومو" أين التقى "عمر ولد الحبيب" شيخ "أولاد ناصر" حيث عرض عليه دخول قبائل "مشظوف" و "أولاد علوش" تحت الحماية الفرنسية ولكن الأخير رفض ، ليغادر بعدها إلى منطقة "غومبو" ليقابل "طالب مختار" شيخ قبيلة "ولاتة" والتي خرج منها بنتائج ايجابية حيث استطاع أن يكسب ثقتهم و يقيم معهم علاقات طيبة باسم حاكم السودان الفرنسي³.

¹ آدرار: هي إحدى ولايات شمال موريتانيا ، و قد سميت على إسم هضبة آدرار، عاصمتها هي "أطار" التي تقع على طريق الحدود الشمالية ، وتبعد عن العاصمة نواكشوط ب 435 كم و تشمل الولاية مدن أخرى مثل: شوم و شنقيط و وادان . ينظر: <https://www.wikipedia.org/> اطلع عليه يوم 2018/5/17.

² George Coppolanie , **op.cit** , pp 105-106.

³ **Ibid**, p106.

كانت هذه الفترة مرحلة مهمة وحرحة من حياة كبولاني والتي التقى فيها لأول مرة بالشيخ سيدي الخير " مؤسس الطريقة القادرية الفاضلية البكاية¹ و حارس الزاوية الأم بدار السلام ، كما التقى بشيوخ قبيلة الحوض الشيخ "سيديا" و أخيه الشيخ "سعد بوه" والتي استطاع بدبلوماسيته وقوة إقناعه أن يكسب ودهما كصديقين وفيين حيث أطلقا عليه اسم الساحر .

كما بعث كبولاني رسالة إلى "سيدي محمد ولد المختار " شيخ قبيلة "مشظوف" وسيدي "ولد حانون " شيخ قبيلة "علوش" يعرض عليهم السلم حيث قبل هذا الأخير عرضه . و قد قرر سيدي محمد بالمختار الموافقة على عرض كبولاني مقابل توليه حاكما على قبائل الحوض كما استطاع كبولاني إقناع القبائل للسماح لقوافل التجارة الفرنسية المرور بسلام .²

5- مشروعه لفرض السلم في منطقة البيضان:

في إطار المهمة التي أوكلت إليه ، انتهت جولة كزافيي مع بعثته في المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي ، و التي جابت مختلف جهات السودان الفرنسي ، من مستعمرات غرب إفريقيا الفرنسي (A O F) من سانت لويس ، لتصل بكبولاني و مساعده روبرير أرنو (Arnaud Robert) إلى باقي القبائل الموريتانية ، فمن قبائل الحوض (قبائل علوش ومشظوف)³ ثم بمنطقة الأزواد، و التي كان زعمائها متأثرين بشخصية كبولاني ، و في كل مكان حيث ما حل، استقبل كبولاني استقبالا حسنا من قبل المور، بفضل هيأته الساحرة و رزائنه في الحديث ، و فوق كل ذلك لغته

¹ الطريقة القادرية الفاضلية البكاية: هي واحدة من الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد المغرب ، و غالبا ما تكنى الطريقة القادرية في المنطقة السودان الغربي بالبكاية نسبة إلى الجد الكنتي الشيخ سيدي عمر الشيخ ولد سيدي أحمد البكاي توفي سنة 900هـ/1553م . للمزيد ينظر: عثمان برايمباري ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط 1، دار الأمين للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2000م، ص30.

² George Coppolanie , **op.cit** , pp106-107.

³ كان الحوض وقتها إلى غاية سنة 1945 م جزء من السودان الفرنسي (مالي)، أما الساحل فيعني منطقة نيور ينظر:

Bernus Edmond et autres , **Nomades et commandants-Administration nomades dans l'ancienne A.O.F**, Karthala, Paris, 1993, p09.

و ثقافته العربية الإسلامية حيث نشر الكثير من الدبلوماسية في التعامل معهم من خلال قوته في الإقناع ، ليتمكن في الأخير من مهادنتهم ، حيث نجح في إخضاع الكثير من القبائل التي زارها بهدف إقناع رؤسائها بالخضوع لفرنسا ، و تقدمم ولائهم إلى العقيد فيمارت.¹

بعدها أكمل رحلته من خلال الطوارق إلى تومبكتو، يرافقه روبرت أرنو و ستة رجال مع أمر سماح بالمرور وقعه ماء العينين (أوائل 1899م). لكنه لم يتمكن من دخول المدينة بنفسه، لأن التدابير الأمنية التي اتخذتها السلطات المحلية قد أدت إلى استياء الطوارق ، لكنه لم يتمكن من دخول المدينة بنفسه، لأن التدابير الأمنية التي اتخذتها السلطات المحلية قد أدت إلى استياء الطوارق، لكنه زار قبائل الرحل في إقليم "آزواد"². بذلك و في سنة 1899م كانت القبائل البيضانية الأساسية التي تقطن مناطق النفوذ السوداني ، قد أعلنت خضوعها و أصبحت ملزمة بدفع رسوم الانتجاع و العشور ، فاستطاعت الدبلوماسية الكبولانية المهيأة و المدعومة بعمليات ضباط من الساحل أن تضع حدا لهذه الوضعية الصعبة دون مقاومة و لا قتال.³

5-1- نتائج مهمة كبولاني في السودان الغربي:

ولدى عودته من مهمته المكتملة ببراعة ، قدم كبولاني في تقرير السودان الفرنسي رفعه إلى حاكم تحت اسم " مهمتي في السودان الغربي " (Ma Mission Au soudan Français). وهو بيان مفصل حول النتائج المحققة من خلال المهمة.⁴

وقد عرض كبولاني من خلال هذا التقرير دراسة كاملة حول المناطق المختلفة التي جابها ، وأسلوب حياة السكان فيها، فقد مكنته هذه الزيارة من جمع معلومات متنوعة تتعلق بالناحية الجغرافية والاثنوغرافية، لذلك فإن المتتبع للبعثات الكشفية في موريتانيا ، يلاحظ أهمية بعثة كبولاني

¹ Xavier Coppolani, Rapport D'ensemble sur Ma Mission au Soudan Français 1er Partie - Chezles Maurs- , Imp. F.Levé, Paris, 1899, p07.

² Geneviève Désiré-Vuillemin , Coppolani en Mauritanie... , op.cit , p. 295

³ محمد بن عبد الرحمن بن عمار، المرجع السابق ، ص 101.

⁴ George Coppolanie , op.cit , p121.

التي أفضت إلى نتائج مادية مهمة تحوم حول معرفة البلاد ، بما في ذلك معرفة القدرات الاقتصادية المتوفرة بها. و منها:

- معرفة الناحية الطبيعية للبلاد ، فقد كانت معرفة تضاريس موريتانيا تشكل إحدى المشاغل الرئيسية بالنسبة للحاكم الفرنسي لمستعمرة السودان الغربي، الذي كان ينوي إنجاز خريطة للمنطقة.

- معرفة السكان و التعرف على عاداتهم و تقاليدهم ، فقد كانت السلطات الفرنسية تنظر إلى تلك العادات و التقاليد باعتبارها من نوع خاص ، فمعرفة السكان يسهل للمستعمر كيفية السيطرة عليهم.¹

- جمع المعلومات الاقتصادية للمنطقة ، فالبرغم من المحاولات العديدة و الجادة التي قامت بها البعثات الكشفية في سبيل جمع المعلومات عن الإمكانيات الاقتصادية المتوفرة في موريتانيا، فإنه لم تتوفر لدى الحكومة الفرنسية المعلومات الكافية المتعلقة بثروة البلاد المعدنية أو السمكية، فهناك أصداء توحى بأن مهمة كبولاني في موريتانيا لم تكن مستقلة كل الاستقلال عن المسار الذي استخدمته السياسة التوسعية الفرنسية في المنطقة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي السياسة التي استهدفت تقويض النفوذ السياسي للأمرء و الحد من التجاوزات الناجمة عن هيمنة السكان البيضان ، الذين يهددون الأمن و الاستقرار على مستوى ضفة النهر، وهو ما كان يستدعي من السلطات الفرنسية المتمركزة لدى مستعمرة السنغال تمهيد الظروف المناسبة لمشروع كبولاني.²

و بالإضافة إلى ما حققه كبولاني من نجاحات مادية في جمع المعلومات، حقق أيضا نجاحا معنويا من الناحية السياسي و هو إخضاع الكثير من القبائل البيضانية التي زارها ، حيث استطاع إقناعهم بجدوى الخضوع لفرنسا الذي يبنى أساسا على احترام و صيانة ممتلكات و معتقدات هذه

¹ علي سلمان البدوي ، المرجع السابق ، ص ص 37-38.

² نفسه ، ص 38.

القبائل على حد زعمه ، ثم اطلعهم على الدوافع الإنسانية التي تدفع فرنسا إلى مواصلة مسيرتها نحو الشمال.

كما ركز في تقريره إعطاء مخطط شامل لتنظيم قبائل البيضان و على السياسة التي يجب انتهاجها في المنطقة ، وركز على الدور الذي يلعبه الشيخ الكبير للصحراء "ماء العينين" والمكانة التي يحتلها في المنطقة، وعن إستراتيجية منطقة الساقية الحمراء التي يقطن بها والتي تعتبر هي ملتقى الطرق الصحراوية ونقطة العبور لجميع القوافل، وشدد على الأهمية الإستراتيجية لآدرار.¹

وبناء على نتائج هذا التقرير سيتم البدء في رسم الخطوط العريضة لسياسة تنظيم قبائل المور في شكل مشروع إنشاء ما سماه " موريتانيا الغربية".

5-2- مسودة مشروع احتلال موريتانيا :

بعد نهاية المهمة عاد كبولاني إلى باريس في نهاية جويلية 1899م أين قدم إلى الجنرال "تريتيان" نتائج مهمته في السودان الغربي على شكل تقرير حول نتائج و المعلومات التي حصل عليها في نهاية مهمته تحت عنوان مجموع تقارير مهمته في السودان الفرنسي و الذي قدم إلى الوزير المستعمرات "ألبيير دوكري" (Albert Decret).²

وبهذا يكون كبولاني قد شرح بدقة المعطيات الجغرافية لهذه المنطقة، وعن تنظيمات الاجتماعية للقبائل الموريتانية من عاداتهم وتقاليدهم، أين اقترح مشروع لفرض الحماية على موريتانيا الغربية ، هذه التسمية التي أطلقها على المنطقة الفاصلة بين المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا وغرب إفريقيا السوداء.

¹ Geneviève Désiré-Vuillemin , Coppolani en Mauritanie... , op.cit , p. 295

² ألبيير دوكري (Albert Decret): وزير البحرية و المستعمرات الفرنسية، قام بالتحضير للحملة الفرنسية على الجزائر

بالاعتماد على تقارير بوتان التي تهدف إلى دراسة تضاريس و سكان الجزائر، بالإضافة إلى مجموعة الخطط الرامية لغزو الجزائر

بأقل تكلفة. ينظر: حمدان عمار، حقيقة غزو الجزائر، تر: الحسن زغدار، وزارة المجاهدين، الجزائر ، 2088م.

بعد الاطلاع على مشروعه حصل كبولاني على موافقة للقاء " فالديك روسو" (Waldeck Rousseau)¹ المستشار العام ، والذي أعجب بشخصية كبولاني وحماسه وثقافته وإساراه على تحقيق هذا المشروع في 31 ديسمبر 1899 قدم مدير الشؤون الإفريقية مشروع كبولاني إلى وزير ، المستعمرات لطلب الموافقة عليه .²

و قد كشف تقرير كبولاني في هذا الصدد عن عمق نظريته و اتساع افقه و فهمه للإسلام ، عن إرهابات المبادئ التي ستجعل منه في المستقبل منظرا للسلطة الاستعمارية الفرنسية ، في مجال سوسها للشعوب الإسلامية التي تخضع لسلطتها.³

وبهذا يكون كبولاني قد أثبت صحة رأيه ، حول المجتمعات الإسلامية في كتابه عن الطرق الدينية الإسلامية فقد أكد أنه وبالرغم من الخلاف الشكلي البسيط بين هذه المجتمعات من حيث الدراسة، فإنه ثمة خيطا رفيعا يجمعها وهو مناهضة الوجود الأجنبي ، ومن رأيه أنه يمكن تحقيق مصالح فرنس وإخضاع القبائل التي تتألف منها هذه الطرق، عن طريق الاتصال بالمشايخ (أصحاب النفوذ والتجارة) ومحاولة كسبهم عن طريق الإقناع و الإغراء ، و هي سياسة مارسها في بلاد شنقيط و منهج سار عليه في التعامل مع سكانها. لقد رأى كبولاني أنه من أجل أن يصل إلى نهاية الأفق الذي رسمه على الواقع و وضع أسسه في تصوره من خلال كتابه المشترك مع

¹ فالديك روسو (Waldeck Rousseau): ولد بمدينة نانت الفرنسية من عائلة بورجوازية ، درس العلوم القانونية و تخرج منها بشهادة في المحاماة ، عمل كمحامي في مدينة نانت ثم باريس ، دخل ميدان السياسة من باب الحزب الجمهوري كعضو بمجلس مدينة رين ، ثم أصبح سيناتورا سنة 1894م ثم رئيسا للحكومة في 22 جوان 1899م، صادق على مشروع كبولاني و فكرة موريتانيا الغربية في ديسمبر 1899م . للمزيد ينظر:

rousseau <https://www.universalis.fr/encyclopedie/-waldeck> اطلع عليه يوم

2017/11/15

² Georges Coppolani, **op.cit**, p121.

³ Geneviève Désiré-Vuillemin, **Contribution a l'Histoire de la Mauritanie...**, **op.cit**, p132.

زميله "دييون"، يجب أن يكون مسئولاً عن البعثات في البلاد الإسلامية من أجل التعرف على فجاجها، وخاصة بلاد شنقيط و بلاد السودان ، كما رأى أنه لزاماً عليه أن يحاول قدر المستطاع ألا يواجه الرؤساء الدينيين بالعداء ، لأن ذلك يزيد من نفوذهم بل رأى أن يجندهم إلى جانبه.¹ إذن بنهاية هذه المهمة ومن خلال الكم الكبير من المعلومات التي جمعها كبولاني من هذه التجربة الناجحة بكل المقاييس ، و التي مكنته من التعرف على قبائل البيضان عن قرب ، استطاع كبولاني أن يقدم "مشروع فرض السلم" في منطقة "البيضان"، وهو مشروع تقبلته الحكومة الفرنسية بحماس. وفي تفاصيل هذا المشروع وحيثياته الفنية يستلهم كبولاني معظم الأفكار من "مخطط فرض السلم في مدغشقر" الذي أعده قبل ذلك بزمن قائد استعماري آخر هو جوزيف غاليني.²

و بهذا يكون قد تم إنشاء مشروع ما يسمى بـ "موريتانيا الغربية" و هو تجمع تحت نفس الاتجاه لجميع القبائل المغاربة، في وقت مبكر من ديسمبر 1899م، وضع كزافيي كبولاني مسودة دستور غرب موريتانيا وأرسلها إلى وزارة المستعمرات من أجل "دراسة الظروف العملية لتحقيق هذا المشروع".³

¹ علي سلمان البدوي ، المرجع السابق ، ص 49.

² Geneviève Désiré-Vuillemin, op.cit, p133.

³ Joseph Roger De Benoist, Eglise et pouvoir colonial au Soudan Française –Administrateurs et missionnaires dans la Boucle du Niger (1885-1945), Karthala, Paris,1987, p67.

الفصل الثالث

موريتانيا من التنافس الأوربي إلى الهيمنة الفرنسية

1- معطيات عامة عن موريتانيا.

2- جذور التدخل الأوربي في موريتانيا.

3- العلاقات التجارية بين الفرنسيين والإمارات الموريتانية.

4- البعثات الاستكشافية للمجال الموريتاني.

تعرضت موريتانيا لحركة توسعية أوربية منذ القرن الرابع عشر، و هذا بعد التفكك السياسي الذي أصاب بلاد المغرب الإسلامي بسقوط دولة الموحدين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر حيث تعرضت لبعثات استكشافية نظمتها القوى الأوروبية وخاصة الأيبيرية منها (اسبانيا والبرتغال) بريطانيا وفرنسا وفق تراتبية تاريخية، منذ عصر الكشوفات الجغرافية أي نهاية القرن الخامس عشر والفترات اللاحقة.

و تعد فرنسا بحكم الموقع الجغرافي ومكانتها الريادية في أوربا، من أبرز القوى الاستعمارية التي تحكمت في مسار المغرب العربي عامة وموريتانيا خاصة، حيث بدأت فرنسا بسط نفوذها بالمنطقة منذ القرن السابع عشر أين كان تواجهها في تلك الفترة لأغراض تجارية فقط، ذلك أن تجارة الصمغ عرفت حركة تجارية كبيرة في موريتانيا فقد اشتد التنافس الأوروبي على الصمغ العربي ما جعل فرنسا تبادر بعقد اتفاقيات مع أمراء القبائل الموريتانية بغية السيطرة على تجارة الصمغ بحرية مطلقة مقابل ضرائب وهدايا تدفع سنويا لأمراء هذه القبائل، ومن ثم تحول النشاط التجاري إلى استكشاف للمنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي حمل في طياته نوايا استعمارية، حيث تواصلت الحملات الاستكشافية حول موريتانيا بغية تحصيل معلومات كافية تفي بالغرض الاستعماري.

1. معطيات عامة عن موريتانيا:

1-1- أصل التسمية:

تعتبر موريتانيا همزة وصل بين العالمين العربي والإفريقي وتمثل الصحراء الجزء الأكبر من أراضيها، وأول من أطلق اسم موريتانيا هو كزافيي كبولاني في مشروعه الذي قدمه للسلطات الفرنسية لفرض السلم في منطقة البيضان و هو مشروع لضم البلاد تحت الحماية الفرنسية ، وجاءت تسمية موريتانيا على اثر مهمة استطلاعية قام بها بالمنطقة والتي تطرقنا إليها سابقا (مهمته في السودان الغربي)، فقدم تقريرا عنها واقترح هذه التسمية ، فصدرت الموافقة على اقتراحه في قرار وزاري فرنسي بتاريخ 27 ديسمبر 1899 م إحياءً لتسمية قديمة كانت تطلق على مملكة رومانية قديمة قامت في شمال غرب إفريقيا¹، إلا أن البعض يرى بأن أول من اصطلح هذا الاسم الضابط الفرنسي فرنسوا كاي (Jean François Caille)²، وترجع هذه التسمية أصلا إلى الكلمة اليونانية (Mauros) بمعنى الأسمر، واللاتينية (Mauritania) بمعنى السود³، و (Tania) باللاتينية معناها أرض أو بلاد ، فهي إذا بلاد السود و أرض السمر⁴.

¹ الطيب بن عمر بن الحسين، السلفية وأعلامها في موريتانيا - شنقيط ، دار بن حزم، ط1 ، بيروت، 1995 ، ص60.

² محمدمو بن محمدن، وثائق من التاريخ الموريتاني -نصوص فرنسية غير منشورة-، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2000 ، ص- ص 41-54 .

³ محمد ناصر العبودي ، إطلالة على موريتانيا، دار المريخ للنشر، الرياض، 1998 ، ص 20 .

⁴ حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص18.

في حين يرى البعض الآخر بأن كلمة موريتانيا هي اصطلاح روماني معروف ، أصلها أمازيغي : آتمورتناغ " تمورتنا " يعني أرضنا ، ويرون بأنها مأخوذة من قبائل المور الشهيرة التي ناهضت الرومان و الوندال وغيرهم من غزاة بلاد الأمازيغ القديمة.¹

وكان الإسبان يستخدمون عبارة " مورو " نسبة إلى المنطقة الجغرافية الرومانية القديمة لكنهم توسعوا في استعمالها للعرب المسلمين ، فكل من جاء عبر مضيق طارق فهو " مورو " بمعنى محقر حاملة في طياتها معاني الازدراء والجهل والتأخر.²

ويرى آخرون أن موريتانيا تسمية أوروبية أجنبية ، مؤلفة من كلمتي " مور " و " تانيا " ، فالأولى تعنى بسكان إفريقيا الشمالية ومنهم المسلمون الذين فتحوا الأندلس وأما الثانية فتعني الخيام، جمع خيمة أصلها " تانت " أو " تان " أضيفت إليها " يا " كالموجودة في بريطانيا واسبانيا.³

فيما يرى بعض المؤرخين العرب أن أصل كلمة موريتانيا محرف من كلمة " مُري " ، بضم الميم وتشديد الراء وهي نسبة إلى إحدى القبائل العربية التي قيل أنها وجدت في فترة من فترات تاريخ شمال افريقية.

وقد عرفت بلاد موريتانيا الحالية عدت تسميات في مراحل سابقة ، الشيء الذي يوحي بالعمق التاريخي للمنطقة، حيث نجد من أشهر أسمائها:

¹ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر - بلاد المغرب)، ج 14 ، ط 2 ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 515.

² الخليل النحوي ، بلاد شنقيط المنارة و الرباط - عرض للحياة العلمية و الإشعاع الثقافي و الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة(المحاضر)، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،تونس،1987، ص 23.

³ الطيب بن عمر بن الحسين، المرجع السابق، ص 60 .

● **بلاد شنقيط:** وهي كلمة مشتقة من اللغة البربرية و تعني آبار الخيل ¹ فأصله " شين قدو" حيث " شين" تعني فرس و " قدو" تعني رباطا للجيش التي تتقدم من الشمال لفتح السودان، أو أنها كانت محطة للقوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء ² ، هو اسم لمدينة واحدة في الأصل وليس اسما لمنطقة واسعة ، وقد تأسست في القرن السابع للهجرة عندما اتفقت بعض القبائل الموريتانية على بناء عاصمة تكون بمثابة سوق تجارية وأديبة ³ ، ويرى البعض أن شنقيط لم تعرف إلا بعد بروز المدينة كعاصمة للعلم ومنطلق للحجيج ⁴.

● **بلاد المغافرة:** و هي تسمية نعتها بها بعض المؤلفين وتعود هذه التسمية إلى عهد تاريخي متأخر، فالمغافرة بطون من بني حسان نزحت إلى بلاد شنقيط (موريتانيا) ضمن الموجات العربية التي دخلت البلاد بين القرنين 7 و 9 للهجرة ⁵.

● **صحراء الملمثمين:** نسبة إلى اللثام الذي كان يلبسه الصنهاجيون ⁶ ، ولذلك غلب عليهم اسم الملمثمين ونسبت إليهم الأرض ، فسميت صحراء الملمثمين.

¹ محمد ناصر العبودي ، المرجع السابق ، ص18.

² الهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 57.

³ المرجع نفسه، ص 57.

⁴ - صلاح العقاد وآخرون ، بناء الدولة الموريتانية - الجمهورية الإسلامية الموريتانية - دراسة مسحية شاملة، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1978 ، ص02.

⁵ - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مطبعة حارة الروم، ط1 ، بيروت، 2004 ، ص35

⁶ - الصنهاجيون : نسبة إلى صنهاجة ، تعريب للفظ الأمازيغي إ زُنَاكُن وهم مع مضمودة : إمصُودن ، زناتة : إ زناتن ، وهؤلاء هم المجموعات القبلية الكبرى في المغرب العربي، و إ زُنَاكُن تعني خيام القوم الذين يقومون بالغارات ، ويمارس هذا النشاط عند رحل الصحراء . ينظر: الشيخ موسى كمر، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى ، تح :حماء الله ولد السالم ، ط1 ، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009 ، ص22 .

• **بلاد التكرور:** وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقع هذه المنطقة التي عرفت باسم التكرور والتي هي في الأصل تسمية أطلقت على مدينة في المنطقة¹ بين حوض نهر السنغال² ونهر النيجر³ و منطقة ولاته⁴ ، إلا أن البعض يرى أنها إقليم واسع ممتد شرقا إلى مالي وغربا إلى نهر السنغال وجنوبا إلى أعالي نهر السنغال أو النيجر وشمالا إلى آدرار.⁵

• **أرض البيضان:** يطلق كذلك إسم البيضان على سكان موريتاني، و هي كلمة في اللهجة الحسانية ترمز إلى البيض إشارة منهم إلى السكان ذوي البشرة الفاتحة من شعوب الصحراء الكبرى، ويذكر البكري في القرن 5 هـ مصطلح البيضان إشارة إلى سكان الصحراء من صنهاجة القاطنين حول مدينة أوداغست⁶ ، لكن المصطلح صار منذ القرن 17 م علما على المجموعات

¹ - أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 2 .

² - **نهر السنغال:** عرف بنهر الزنافية ونهر صنهاجة حتى مجيء الاستعمار الأوروبي وهو نهر يجري في أقصى غرب القارة الإفريقية، يمتد حوض النهر الذي ينبع من هضبة فوتا جالو في غينيا عبر أربعة دول إفريقية وهي على الترتيب: غينيا، مالي، السنغال و موريتانيا ثم يصب بالغرب من مدينة سانت لويس في المحيط الأطلسي، طوله حوالي 1790 كلم، وتبلغ مساحة حوضه حوالي 340 كلم²، ويبلغ تدفقه المائي سنويا 24 م³، أما عرضه فيتراوح من 10 كلم إلى 25 كلم. ينظر عبدالأمير عباس الحياي، أبعاد الصراع الموريتاني - السنغالي في حوض نهر السنغال، مجلة الفتح، كلية التربية للعلوم، الإنسانية، جامعة ديالي، ع 34، العراق، 2008، ص 02.

³ **نهر النيجر:** يعرف عند العرب قديما بنيل السودان، وهو مأخوذ من أصل أوروبي Niger، وتعني أسود وهو النهر الرئيسي في غرب إفريقيا، طوله 4180 كلم، يصب في دلتا النيجر بخليج غينيا على المحيط الأطلسي. للمزيد ينظر محمد أنور، أنهار وبحيرات إفريقيا - نهر النيجر-، مجلة إفريقيا قارتنا، ع 07، القاهرة، مصر، سبتمبر 2013، ص 02.

⁴ **ولاته:** مدينة موريتانية، كانت تسمى قديما بيرو، تقع على بعد 1200 كلم شرق نواكشوط. للمزيد ينظر: الخليل النحوي، المصدر السابق، ص 33 .

⁵ المختار ولد حامد، حياة موريتانيا - الجغرافية -، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1994، ص 09.

⁶ **أوداغست:** معناها الجنوبية، وهي مدينة تقع أطلالها شمال شرقي حاضرة تامشكط في ولاية الحوض الغربي، ازدهرت منذ القرن 2هـ/8م كمحطة للقوافل ومركز للتبادل بين بلاد الوطن والصحراء والمتوسط. ينظر حماد الله ولد السالم، المرجع السابق، ص 39.

الصحراوية التي تتحدث اللهجة الحسانية وتعود أصولها لاندماج الكتلة الصنهاجية والمجموعات العربية الحسانية وغير الحسانية.¹

وقد تأسست شنقيط سنة 660هـ على أيدي رجال من قبائل الأغلال وإدو علي والسما سيد و ربما غيرهم، ولعلّ تأسيسها الأوّل تم على أيدي مجموعات تلتها أخرى بتأسيس ثاني، وبها ترسّخت تقاليد الدرس والإمامة والقضاء والإفتاء² ولتكون بمثابة عاصمة وسوق تجارية وأدبية وتمّ بناؤها في منطقة آدرار.³

1-2- موقعها:

- الموقع الفلكي: ينحصر أقصى امتداد لموريتانيا بين خطي طول 5 و 17 درجة غربا ودائرتي عرض 16 و 26 درجة شمالا، وكل حدودها تقريبا عبارة عن حدود هندسية مستقيمة.
- الموقع الجغرافي: موريتانيا أو بلاد شنقيط دولة عربية إفريقية إسلامية تقع في الجزء الشمالي الغربي من قارة إفريقيا بين دول المغرب العربي في الشمال ودول الساحل الإفريقي من الجنوب.⁴

يحدّ موريتانيا من الشمال الصحراء الغربية ومن الشمال الشرقي الجزائر، ومالي من الجنوب الشرقي والشرق، والسنغال من الجنوب الغربي والمحيط الأطلسي من الغرب، بجهة يبلغ طولها حوالي 600 كلم⁵ بين ميناء نواذيبو الواقعة على الرأس الأبيض قرب الحدود مع الصحراء الغربية ومصب نهر السنغال حيث حدودها الجنوبية مع جمهورية السنغال وفيما عدا حدودها الجنوبية مع

¹ - الشيخ موسى كمر، المرجع السابق، ص 73.

² نفسه، ص 81.

³ الهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 57.

⁴ فوزان بن عبد الرحمان الفوزان، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج 11، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

الإسلامية، ط 1، 1999، السعودية، ص 527-529

⁵ Ismail Hamet , Chroniques de la Mauritanie Sénégalaise, Traduction et Notice: Naser Eddine, Leroux Erneste, Paris, 1911, p17.

السنغال التي تتماشى مع نهر السنغال، فان باقي الحدود السياسية مع الدول المجاورة ما هي إلا حدود هندسية مستقيمة أخذت شكلها الحالي في عهد الاستعمار الأوربي لغربي وشمالي القارة الإفريقية¹. أما سطحها فمعظم أراضيها عبارة عن صحاري فيما عدا المنطقة التي تقع قرب نهر السنغال الخصيب في جنوب البلاد، وفي الوسط سهول رملية وأشجار هزيلة والشمال جاف ويمتد في الصحراء الكبرى².

تشغل موريتانيا الجزء الغربي من الصحراء الكبرى التي تمتد حزاما بين السودان والبلاد المغربية وتتناثر على رقعتها مناطق جبلية أشبه بهضاب متسعة وتلتقي فيها من حين لآخر بآبار وواحات صغيرة³.

1-3- المساحة و المناخ:

تقدّر مساحة موريتانيا بـ 1.030.700 كم² وهي خامس دولة عربية من حيث المساحة بعد الجزائر والسعودية وليبيا و السودان . أما في ما يخصّ المناخ موريتانيا بلاد صحراوية وأرضها قاحلة ومناخها حار ولكنه صحّي باستثناء بعض المناطق الموبوءة والمناطق الجافة وهي قليلة ويمكن تقسيم البلاد من حيث المناخ إلى أربع مناطق:

- منطقة بورتين الساحلية وهي تتمتع بجوّ بحري وهواء مستمر .
- منطقة نواكشوط وهي أيضا تتمتع بجوّ بحري إلى حدّ بعيد ولكن حرارتها في موسم الجفاف تشبه حرارة الدّاخل.

¹ فوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 530 .

² محمد عتريس، المرجع السابق ، ص 386.

³ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص

• منطقة النّهر وهي في جنوب البلاد وتمتّع بجو لا بأس به مدّة 6 أو 7 أشهر، ولكن درجة الرّطوبة فيها مرتفعة وفصل المطر فيها يدوم من جوان إلى أكتوبر واختلاف الحرارة بين النهار والليل قليل في الغالب.

• المنطقة الصّحراوية وهطول الأمطار فيها غير موقوت ولا منتظم وتدوم الحرارة فيها 6 أو 7 أشهر ويحدث فيها اختلاف كبير في الحرارة بين الليل والنّهار.¹

1-4- اللّغة: موريتانيا دولة عربية إسلامية لغتها الرسمية هي اللغة العربية، و لكن هناك بعض اللّغات السائدة فيها، حيث نجد أنّها مرتبطة بوضعها التاريخي، وهي تتمثّل في اللّغة الفرنسية قبل الاستقلال، واللّهجات الإفريقية المحليّة كالتكرور والسنوينكه أو السراكولي ولهجة الـوولف، ولقد أدّى رفض القبائل إلى تعريبها تماما منذ الإستقلال إلى عرقلة حركة التعريب، وتطوّرت الأزمة عام 1968م عندما أصدرت الحكومة قرارا يجعل العربية لغة رسمية إلى جانب الفرنسية تمهيدا للانضمام إلى الجامعة العربية الذي تمّ فعلا عام 1973م، وأصبحت الإجازة الأسبوعية منذ عام 1983م يوم الجمعة بدلا من الأحد وبدأت موريتانيا تشهد ملامح وعمليات تكريس التعريب وعروبة البلاد.²

1-5- التركيبة السكانية:

يتألّف المجتمع الموريتاني من النّاحية السّلالية والعرقية إلى ثلاث مجموعات سكانية رئيسية هم الزّنوج والبربر والعرب، وقد أسهمت عوامل متعدّدة في تكوين ملامح المجتمع الموريتاني وتركيبته السّلالية وأهمّ هذه العوامل هي الموقع بالنّسبة ودخول الإسلام ونزوح القبائل العربية إلى هذه البلاد. إنّ سكّان هذه البلاد مع بداية العصر التاريخي كانوا يتألّفون عرقيا من مجموعتين رئيسيتين

¹ حسان حقي، إفريقيا الحرة، بلاد الأمل والرخاء، ط1، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ماي 1962، بيروت، ص ص 129-130.

² حسان حلاق، مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص- ص 170-171.

هما: البربر القدماء في المناطق الشماليّة والمجموعات الزنجية في المناطق الجنوبية، ولم يحدث تغيير على التركيبة السكانية للسكان حتى مجيء الفتح الإسلامي في النصف الثاني من القرن الهجري الأول 64هـ حيث أتى العرب ليكونوا المجموعة الثالثة.¹

✓ **الزنج:** تشكّل القبائل الإفريقية 14% من السكان، و يعتبر هؤلاء من أقدم الجماعات البشرية التي سكنت موريتانيا وكانت أكثر امتداد نحو الشمال، حيث كانت تنتشر بمنطقة آدرار²، و أدى الزحف المتواصل للقبائل البربرية والعربية نحو الجنوب إلى زحزحة هذه الجماعات الزنجية في هذا الاتجاه الأمر الذي جعل أغليبيتهم العظمى تستقر بالجنوب، ويتألف هؤلاء من قبائل عديدة تدين جميعها بالإسلام كما أن معظمها يتكلم اللغة العربية والفرنسية، ومن أهم القبائل الزنجية في موريتانيا وهي من الولوف³ والسونكي، و الفولاني⁴، و البامبارا⁵، والفالبور وهناك الزناكة أي الأوباش وهناك الحراتون وهي سلالة زنجية تعيش جنبا إلى جنب مع القبائل العربية والبربرية، أمّا الزوايا فهو اصطلاح يطلق على الذين يسرون في طلب العلم.⁶

¹ فوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 605.

² محمد أبو العلاء ، الملامح العرقية والتكوين الاجتماعي في الجمهورية الإسلامية الموريتانية - دراسة مسحية شاملة - ،معهد البحوث و الدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة، 1978 ، ص427.

³ **الولوف** :أشد الشعوب الإفريقية سودا، يدين أغلبهم بالإسلام والبعض منهم يدين بالمسيحية، يحتل هؤلاء الشريط الساحلي بين سان لويس والرأس الأخضر. للمزيد ينظر:

Jean- Leopold et Marina Yaguello, **J'apprends le Wolof**, Karthala, Paris, 1991, p08.

⁴ **الفولاني** :تعرف بالفولا، الفولاني، الفيلاي، الفلاتا، أو الفولي، يتمركز هؤلاء في المنطقة الواقعة أعالي النيجر وحتى نهر السنغال ، ويحتلون الطبقة الحاكمة في نيجيريا الشمالية. للمزيد ينظر: فيج.جي.دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر:السيد نصر يوسف، دار المعارف ، القاهرة، 1982 ، ص3 .

⁵ البامبارا (**Bambara**):قبائل زنجية، تقطن منطقة الغرب الإفريقي وتعيش في قرى صغيرة. ينظر، المرجع نفسه ، ص69.

⁶ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 517.

✓ البربر: سكنوا منطقة شمال إفريقيا منذ عصور مبكرة تصل إلى 3000 سنة ق.م¹ أي منذ عصور مبكرة ، وهم قبائل عديدة منها جدالة ومسوفة وملتونة وهم من قبائل صنهاجة ، وقد اختلف الباحثون في نشأة وأصول البربر فمنهم من ربطها سلاليا بسكان جنوب أوروبا، وهناك من يرى أنهم عرب قحطانيون حميريون على حسب بعض المؤرخين!!! ، وهناك من يرى بأنهم من غسان وتفرقوا في الأرض بعد سيل العرم فيما ذهب آخرون إلى أنهم خليط من كنعان والعماليق غير أن البعض الآخر يرى أنهم من لحم² وجذام.

وبغضّ النظر عن الجذور الأولى للبربر فإن القبائل البربرية في موريتانيا قد تعرّبت منذ دخولها الإسلام وتزوجوا مع القبائل العربية حتى أصبحوا كيانا واحدا.³

✓ العرب: قدم العرب مع الطلائع الأولى للفتح الإسلامي وكانت أعدادهم محدودة لم تؤثر في التركيب السلالي للمجتمع الموريتاني الذي كان يتألف من البربر والزّوج كما ذكرنا سابقا، حيث ارتبط الوجود العربي بموريتانيا وبلاد شمال إفريقيا بالمهجرات الكبرى لقبائل بني هلال وبني سليم خلال القرنين 6 و 7 هـ (الحادي والثاني عشر الميلاديين) ، التي قدمت من الجزيرة العربية إلى مصر ومنها نزحت إلى شمال إفريقيا. ومن أهمّ الهجرات إلى موريتانيا والتي أثّرت في المجتمع الموريتاني قبائل المعاقيل العربية و ذلك بعد خلافهم مع الدولة المرينية⁴ في المغرب الأقصى، فبدؤوا

¹ عبد الباري النجم، جمهورية موريتانيا الإسلامية - دراسة في أوضاع موريتانيا الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية -، دار الأندلس، بيروت، 1966 ، ص 67.

² لحم: بنو لحم هو لحم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال: لحم بن عدي بن عمرو بن سبأ وهي إحدى قبائل العرب القحطانية اليمانية الأصل، وكانت منازل هذي القبيلة في الجاهلية شرق وشمال الجزيرة العربية و العراق والشام . للمزيد ينظر أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2 ، القاهرة، 1982 ، ص 8 .

³ الخليل النحوي ، المصدر السابق، ص 28 .

⁴ الدولة المرينية: ظهرت في المغرب الأقصى دولة بنو مرين وأصل بنو مرين من أحواز تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناته زناته منذ القدم وكان وطنهم ما بين تلمسان وبين تيهرت. للمزيد ينظر: نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685 (هـ 706 - هـ 1276 / م ، 1306 م) ، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ إسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، 2004 ، ص 6 .

فبدؤوا في الهجرة جنوباً نحو الصحراء الغربية وشمال موريتانيا طلباً للحريّة والنفوذ و لقمة العيش ، وكانت أول قبيلة لعرب المعاقيل هي قبيلة الترازرة.¹

وينتمي معظم عرب موريتانيا الحاليين إلى بني حسان بن معقل وينتهي نسبهم إلى جعفر بن أبي طالب ، فهم بنو حسان بن المختار بن محمد بن عقيل بن معقل بن موسى الهدراج بن جعفر الأمير بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزيني بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ومن أبرز القبائل الحسانية التي استوطنت موريتانيا وحكمتها أولاد داود اعروق ، أولاد يونس، لبرابيش، أولاد دليم، أولاد مبارك ، أولاد ناصر، البراكنة، الترازرة، أولاد يحيى بن عثمان، أولاد داود محمد، أولاد رزق و أولاد عقبة.²

كما يذكر البعض إلا أن البعض الآخر يجادل في ذلك ويرى بأنهم من بطون بني هلال ويرى آخرون بأنهم ينحدرون من عرب اليمن لأن في كليهما بطن يدعى معقل ، ويتفرغ بنو حسان إلى قبائل عديدة ينتسب معظمها إلى أولاد حسان الثلاثة : دليم و ودي وحسم ، حيث يقطن معظم قبائل دليم في الصحراء الغربية وشمال موريتانيا، بينما ينتشر أولاد ودي في باقي مناطق البلاد و منهم البراكنة والترازرة و أولاد داود عروق وغيرهم كثير.³

¹ الخليل النحوي ، المصدر السابق، ص 32 .

² نفسه، ص 22

³ الفوزان عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 609.

والجدير بالذكر هنا أنّ عرب موريتانيا تزاجوا مع قبائل البربر و شكّلوا لنا طبقة اجتماعية جديدة سمّيت بـ "البيضان"¹ و ذلك لتميزهم عن الزنوج.²

فالمجتمع الموريتاني خليط من الزنوج والبربر والعرب جمعهم الإسلام فجعلهم كتلة واحدة حيث يدين جميع السكّان بالإسلام ومعظمهم على المذهب المالكي لذا لا نجد صراعا عقائديا كما انتشرت الطرق الصّوفية عندهم كالتجانية والشاذلية والقادرية.³

هذه الأخيرة انتشرت غربي السودان على يد الشيخ سيدي المختار الكبير الكانتي والكنتيون اخذوا هذه الطريقة بدورهم من عالم تلمساني هو عبد الكريم المغيلي الذي ادخل الطريقة القادرية إلى موريتانيا غير أنّها انقسمت إلى قسمين كبيرين هما الطريقة القادرية الفاضلية والطريقة القادرية البكائية.⁴

ومنذ القرن 2هـ/8م على الأقل أصبحت غالبية المجتمع الموريتاني تتكوّن من قبائل بدوية، تعيش متنقلة بحثا عن الماء وتصارع الطّبيعة من أجل تحصيل لقمة العيش.⁵ و تتمثل أهم القبائل الموريتانية في:

¹ **البيضان**: البيض إشارة إلى السكّان من ذوي البشرة الفاتحة من شعوب الصحراء الكبرى والبكري يذكر مصطلح البيضان إشارة إلى سكان الصحراء من صنهاجة القاطنين حول مدينة أوداغست" القائمة أطلالها اليوم شمال شرقي ولاية الحوض الغربي من جنوب شرق موريتانيا، لكن المصطلح صار منذ القرن 17م علما على المجموعات الصحراوية التي تتحدث اللهجة الحسانية وتعود أصولها إلى اندماج الكتلة الصنهاجية مع المجموعات العربية الحسانية وغير الحسانية . للمزيد ينظر: الشيخ موسى كمرا، المرجع السابق، ص73.

² فوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق ، ص 609.

³ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 516.

⁴ علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص 24.

⁵ محمد المختار ولد السعد ومحمد عبد الحي، تجربة التحوّل الديمقراطي في موريتانيا، السياق-الوقائع-آفاق المستقبل،

ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات 2009، ص 11.

• **قبيلة الترازرة:** بدأت البشائر الأولى لقيام إمارة الترازرة بعد حرب شريفة، إذ تمكن الترازرة برفقة بني عمومتهم من براكنة وأولاد يحيى بن عثمان و أولاد مبارك، من إلحاق الهزيمة بحلف تشمشه¹ الصنهاجية بزعامة ناصر الدين، وبسط سيطرة شبه مطلقة على بلاد القبلة² رفقة البراكنة، ومنذ ذلك العهد و قبيلة الترازرة من أقوى القبائل الحسانية، وإن كانت علاقتها مع جيرانها اتسمت في غالب الأحيان بالتوتر الشديد. فهي بذلك تأسست في الثلث الأول من القرن الثامن عشر حوالي (1721 م)، و برزت ككيان سياسي بعد القضاء على قبيلة أولاد رزك³ ، على يد الأمير أحمد بن دامن بن عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان ، الذي أعطاه السلطان مولاي إسماعيل المحلة " العسكر " التي أفنى بها أولاد رزك ، وتقع هذه القبيلة بين نهر السنغال جنوبا وقبيلة آدرار شمالا، والمحيط الأطلسي غربا وقبيلة البراكنة شرقا، وبالتالي فهي أقصى الجنوب الغربي للبلاد، وبحسب الإحداثيات الفلكية ، فإن مجال القبيلة الترابي يمتد، على وجه التقريب، بين دائرتي عرض 16 و35 شمالا، وخطي طول 14 و 16 غربا.⁴

¹ تشمشه: اسم يطلق على تحالف خماسي من قبائل الزوايا، يعيش ببلاد الترازرة منذ القرن 14 و يتكون من أولاد ديمان وإدشفغ وإدكهنني وإدوداي وإديقب. ينظر أحمد بن الأمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص473 .

² القبلة: مصطلح جغرافي يطلق في موريتانيا على ولاية الترازرة ، البراكنة وإنشيري ، أي كل ما لاصق النهر . ينظر: المختار ولد حامد ، المرجع السابق، ص2 .

³ أولاد رزك : من ذرية رزك بن أدي بن حسان وهم أول الحسانيين دخولا إلى الجنوب الغربي الموريتاني، حكموا في هذه المنطقة من القرن 14 م إلى القرن 17 م إذ قضت عليهم الترازرة . ينظر:

Paul Marty , **Les Tribus de la Haute Mauritanie**, Publication de Comité de l'Afrique Française, Paris, 1914, p98

⁴ محمد المختار ولد السعد ، الإمارات و المجال الأميري البيضاني خلال القرنين 18 و 19م – إمارة الترازرة

نموذجا، منشورات حوليات كلية الأدب و العلوم الإنسانية، ع 2 ، نواكشوط ، موريتانيا ، 1990م ، ص 36.

• قبيلة البراكنة: تأسست ما بين القرنين 11 هـ و 13 هـ (18/17م) في الجنوب الغربي للبلاد على يد عبد الله بن كروم بن بركني ، ثم انقسمت بين ولديه أحمد و أعلي ، تعد أم القبائل المغربية في بلاد شنقيط (موريتانيا).¹

• قبيلة الحوض(أولاد مبارك): تأسست في القرن 12هـ(18م) في بلاد الحوض جنوب شرق موريتانيا و ما يلاصقه من بلاد السودان " مالي " ، و أولاد مبارك هم ذرية أمبارك بن أحمد بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان.²

• قبيلة آدرار(يحي بن عثمان): تأسست فيما بين (1145هـ -1321هـ) على يد عثمان بن الفضيل بآدرار في الشمال الغربي، توطدت القبيلة في عهد سيد أحمد بن عثمان ، وتولاها ابنه ولد عيده، و بعده الأمير أحمد بن أحمد بن أحمد ولد عيده.³

• قبيلة إدوعيش (تكانت): إدوعيش و هو التسمية الحسانية للكلمة الصنهاجية (إدو يدر) و معناها نمط العيش لأنهم قبائل عديدة⁴ ، و ينتسب إدوعيش إلى أوديك بن أكر بن يدر ابن بيك بن أنمز ابن عثمان بن أو حفيد (يحي بن عمر اللمتوني كانوا يسمون قديما بـجُوَاكَة، قامت بمنطقة تكانت بوسط موريتانيا و حدودها الجنوبية هي ضفاف نهر السنغال و كانت تحدها شمالا قبيلة أولاد مبارك أو ما كان يطلق عليها قبيلة أد رار و غربا قبيلة البراكنة و شرقا صحراء الأزواد وتقع اليوم بشمال مالي⁵ ، وانقسمت القبيلة إلى قسمين؛ قبيلة الشرايتت وهي كلمة عامية تعني " الدببة" وكانت في شرق البلاد، جمع دب و قبيلة أبكاك و هي العلك أو الصمغ العربي

¹ Paul Marty , Études sur l'Islam et les Tribus Maures - les Brakna-, Ernest Leroux, Paris,1921, pp03-05.

² Paul Marty, Les Tribus de La Haute Mauritanie, op.cit, p41.

³ حمه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى بين أولاد

الناصر و دولة ابدوكل اللمتوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010 ، ص301 .

⁴ أحمد بن الأمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص429 .

⁵ حمه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط ...، المرجع السابق ، ص310 .

الأسود وكانت ب تكانت، وتعود هاتان التسميتان إلى أن أبناء العمومة انقسموا إلى فريقين في حرب ضارية للسيطرة على القبيلة في القرن 13 هـ، فكان كل منهما يعير الثاني بما يزعم أن الحرب أبلجأته إليه.¹

● **قبيلة مشظوف (الحوض):** كلمة مشظوف هي تعريب للفظ الصنهاجي: شظش "السته"²، في القرن السادس عشر الميلادي وصل إلى تكانت ثلاثة رجال هم: بوهماذ وشاظف الملقب "مشظوف" و النبيط، و شاظف و النبيط أخوان من صلب "ادرنگاب" من منطقة تمبكتو من قبيلة "إمورگشان" الطارقية الكبرى والمعروفة ب "مغاشرة"، ويرجح أن الرجل الثالث "بوهماذ" كان بربوشيا من سكان تمبكتو البدو وثمة رواية ترجعه لأولاد دليم، تزوج بوهماذ بابنة النبيط فولدت له ولدا سماه "بگو" سيكون هو جد "مشظوف".

المتسمين باسم عم أمهم شاظف الملقب "مشظوف" حسب بعض العادات الصنهاجية، في حين تزوج شاظف و رزق ولدا سماه "أحن" هو جد "لحنات"، ويرجع بعض المؤرخين أصول مشظوف إلى قبيلة مسوفة "إمسوفن"، وتمركزت هذه القبيلة في بلاد الحوض.³

ولما كانت هذه القبائل غير موحدة فيما بينها، فقد كانت تخضع للحكم المغربي، ويعدها المغاربة جزء من أراضيهم.⁴

¹ الخليل النحوي، المصدر السابق، ص 38.

² حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)...، المرجع السابق، ص 20.

³ المختار ولد حامد، المرجع السابق، ص 34.

⁴ الفوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 4.

1-6- الموارد الاقتصادية:

كان الاقتصاد الموريتاني يعتمد على الثروة السمكية والزراعة على ضفاف نهر السنغال، وذلك قبل استقلال البلاد، لكن بعد منتصف الستينيات بدأت تظهر بالبلاد قطاعات جديدة خاصة التعدين وبعض الخدمات.

تعدّ موريتانيا من الدول الإفريقية الأكثر فقرا من حيث الاقتصاد، تعتمد على تصدير الحديد والنحاس وخاصة الأسماك، أمّ قطاع الفلاحة والرعي فإنّ مساحتها تقريبا كلّها عبارة عن صحراء ونجد فيها مراعي فقيرة.

• الزراعة: تحتل الحبوب في مكانة هامة في الاقتصاد الموريتاني، و تتمثل في الدخن (الزرع) والذرة بنوعيه الأبيض و الأصفر¹، وتنتشر هذه المنتوجات الزراعية في المناطق الممتدة على طول مجاري نهر السنغال، بالإضافة إلى الزراعة على حواف السدود و التي كانت معروفة قبل فترة الاستعمار.²

تشكّل الحبوب الغذائية خاصة الذرى قاعدة التركيب المحصولي في موريتانيا خاصة في منطقة النهر والزراعة المطرية بينما يكتسب النخيل أهمية كبيرة في واحات وسط البلاد ، وبالإضافة إلى هذه المحاصيل تنتج البلاد كمّيات جيّدة من الصمغ العربي.

تشكّل الأراضي الزراعيّة نسبة 38,5% ، و تعتبر المناطق الجنوبية المحاذية لنهر السنغال أكثر المناطق ملائمة لقيام النشاط الزراعي والغنية بالأراضي الفيضية، فهذه المناطق تتميز بأنّها ذات ترب جيدة وصالحة للزراعة.

¹ محمد الراضي ولد صدفن ، السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا و أثرها على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية (1960-1900م) ، بيروت، 1981م ، ص 38.

² الفوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 664.

أما الأقاليم الزراعية في موريتانيا الرئيسية فنجد: إقليم واد نهر السنغال، إقليم الزراعة المطرية، إقليم زراعة الأودية والسدود، إقليم الواحات.¹

● الثروة السمكية والحيوانية: يشكّل قطاع الثروة الحيوانية أحد الدعائم الأساسية للاقتصاد الموريتاني، وتعتمد هذه الثروة على المراعي الطبيعية التي تشكل حوالي 96% من الأعلاف المتاحة لتغذية الحيوان وتبلغ مساحتها نحو 34.7 هكتار وتوجد في الثلث الجنوبي للبلاد، أما باقي المراعي المتاحة فتوجد في المناطق الصحراوية وشبه صحراوية.²

رغم ندرة المعطيات الإحصائية حول الثروة الحيوانية في موريتانيا، خاصة في الفترة التي سبقت الاستعمار، إلا أن بعض المراجع تذكر أن المنطقة كانت تتوفر على ثروة حيوانية هائلة، حيث ذكر ابن الأمين الشنقيطي مثلا ذلك في قوله: "...إن أرض تيرس كما هو شائع تنبت الإبل كما ينبت المطر النبات..." لذلك سنكتفي بذكر أهم أنواع الثروة الحيوانية في موريتانيا، وهي:

✓ الأبقار: تتركز في الثلث الجنوبي للبلاد وتزداد كثافتها كلما اتجهنا جنوبا خاصة ولايات "قيدي"، "جرجل"، وهي تنتمي لسلالة أبقار المناطق الحارة وهي تتأثر بموجات الجفاف التي تصيب البلاد بين فترة وأخرى.

✓ الأغنام والماعز: تنتمي أغنام موريتانيا إلى أغنام غربي إفريقيا ذات الذيل الطويل، وهي من بين أكثر الحيوانات المنتشرة في موريتانيا، عدا المناطق الشمالية الشرقية لخلو السكان وهي أقل تأثرا بالجفاف.³

✓ الإبل: نجدها في المناطق الصحراوية وشبه صحراوية وكانت تتركز في وسط وشمال البلاد، لكن وبعد توالي فترات الجفاف دفع أعدادا منها إلى الجنوب بحثا عن المرعى والمياه.⁴

¹ الفوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 664.

² كمال موريس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998، ص 606.

³ نقلا عن: أحمد ابن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 400.

⁴ نفسه، ص 401.

• **الثروة السمكية:** تعد سواحل موريتانيا من أغنى مناطق العالم بالأسماك وذلك بسبب وجود الخلجان والجزر والشطوط خاصة في الشمال.¹

1-7 التقاليد الشعبية والثقافة في المجتمع الموريتاني:

من بعض تقاليدهم في الحياة اليومية أنه إذا نزلت على الحي عائلة من جديد أرسل إليها شاة أو مائدة ويسمونها "ناكشي" أي شاة بالصنهاجية، أما في ما يخص شرب الشاي في موريتانيا فإنهم يشربون منهفي اليوم ثلاثة كؤوس في ثلاث دورات، أما العادات في الملابس فالرجل يلبس قميص واسع الكمين مفرط في العرض وقد يكون له جيب من الأمام، وتلبس المرأة ملحفة سوداء تنسحب إلى قدميها تلتحف في بعضها بمثابة القميص وتجعل بعضها فوق رأسها ثم تجعل طرفه أمامها وترمي جانبه الأعلى فوق منكبها الأيسر، ويلبس الصبي غشابة وإذا أصبح مراهقا فإنه يلبس رداء وإذا بلغ لبس سروالا، أم في ما يخص الزواج فالوليمة على أهل الزوجة ويعلن النكاح بالدف ويعطي الزوج المال للاعبين عليه كما يعطي شاة لطلبة القرءان والعلم، ويتبادل الأصهار الإكرام والاحترام فعلى الزوج ضحية لأم الزوجة أو خالتها مثلا عند كل عيد، وعليها هي مائدة للزوج.²

يوجد عادات وتقاليد أخرى مختلفة على غرار قيمة المرأة في المجتمع الموريتاني، والعادات في الشعر والحلي والأعياد التقليدية والألغاز والأحجيات ويتحدث المختار بن حامد على الثقافة والحياة الدينية وعن أهم المدارس الموريتانية وأهم علماء بلاد شنقيط في كتابه حياة موريتانيا الذي خصصه للحياة الثقافية في موريتانيا. وقد تميزوا بالشعر وكان من أهم شعراء موريتانيا "الذيب الكبير" و "بوفمين المجلسي" "حرمة بن عبد الجليل العلوي" وآخرون وقد كان الشعر عندهم يتمثل

¹ - فوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 689.

² المختار ولد حامد، حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، ج2، الدار العربية للكتاب، ص170-182.

في شعر الغزل والمدح والثناء والفخر والمديح وشعر الحكم والمواعظ والتوسّل وكلّ هذا نراه في كتاب الشعر والشعراء لصاحبه محمد المختار ولد أباه.¹

2- جذور التدخل الأوروبي في موريتانيا:

2-1- بداية الكشوفات البرتغالية:

يعود الكشف الجغرافي لسواحل موريتانيا حسب بعض المؤرخين إلى رحلة حانون القرطاجي بعبوره مضيق جبل طارق² أو كما كانت تسمى في ذلك العصر بأعمدة هرقل، و بعد 20 قرنا من ذلك حاول الجنويون و العرب بعد ذلك من اكتشاف سواحل إفريقيا الغربية و الدوران حول إفريقيا والتي وصفت مناطق داخلية منها في كتاب المسالك و الممالك للبغدادى³، أما أول حضور للوافد الأوربي تمثل في البرتغاليين، حيث كانوا على الشواطئ الأطلسية في جزيرة أكاديردوم، ولم يكن الحضور البرتغالي في هذه الشواطئ التي تضم الشعب العربي المسلم ، بالأمر الغامض في دوافعه و لا في مراميه، و إنما يأتي في سياقه التاريخي المتناغم و المنسجم⁴. و قد أتاحت الفرصة مبكرا للبرتغال من أجل التفرغ لأن تسلك طريقها في الغزو، لمتابعة حروبها الدينية ضد العرب المسلمين.⁵

اتسم الكشف البرتغالي لساحل غرب إفريقيا في بداية الأمر بالبطيء، لكن بعد ذلك بدأ يسير سيرا حسنا، وقد أرسلت البرتغال بعد بسط سيطرتها على السواحل الإفريقية بعثات تجريبية لرسم الخرائط و وصلوا بذلك إلى الشواطئ الشنقيطية سنة 1394 في عهد هنري الملاح

¹ محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان ، ط2، الرباط 2003، ص 79.

² جبل طارق: هو مضيق يفصل بين قارتي أوربا و إفريقيا بين إسباني و المغرب و هو تابع لأملاك التاج البريطاني. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ص26.

³ محمد المختار ولد سيد محمد الهادي، موريتانيا خلال قرن من الزمن 1999/1899م، بغداد 2000، ص 38 .

⁴ علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص- 32-33.

⁵ شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا ...، المرجع السابق، ص154.

(1394-1460) ابن ملك البرتغال يوحنا الأول.¹ و قد ساعد البرتغال على هذه المهمة قريهم من الشواطئ الإفريقية، فقد كانت ترسل البعثات التجريبية و ترسم الخرائط على ضوءها، و قد استفادت أيضا من خبرات العرب الجغرافية و الفلكية، حيث توالى الرحلات البحرية على الشواطئ الإفريقية بعد ذلك.²

هنا استطاعت البرتغال أن تدخل العامل التجاري في الكشوفات الجغرافية خصوصا بعد أن تعودوا على الرحلات البحرية و أصبحت السفن التجارية البرتغالية على درجة كبيرة من الصناعة، كما أتقنوا إلى جانب الملاحة فن الحرب و أصبح الملاح البرتغالي محاربا ممتازا خصوصا في القارة السمراء و قد واصلت البرتغال سياستها الكشفية و الاستعمارية، وكانت ترمي إلى إنشاء مملكة مسيحية في غرب إفريقيا لاتخاذها مركزا لغزو دواخل القارة، و هنا نلاحظ سببين لاجتياح البرتغال لهذه القارة العامل الديني و الاقتصادي.³

أغرقت البرتغال تجارة الصمغ والذهب والرقيق فاستقرّوا بالساحل وأسّسوا مراكز تجارية لهم وتحكّموا فيها قرابة القرنين من الزمن، هذه المراكز تمكّنهم من التحكّم في طرق القوافل التجارية التي تعبر المنطقة شمالا وجنوبا، لكن جهودهم لم تسفر إلاّ عن احتلال بعض المراكز الساحلية لفترات محدودة.⁴

عرف القرن الخامس عشر ميلادي تسارعا في وتيرة الكشوفات البرتغالية في الساحل الغربي للقارة الإفريقية، خاصة بعد اكتشاف مجموعة من الجزر، ففي عام 1418 م اكتشف البرتغاليون

¹ تسلم بنت محمد حرمة، كبولاني وسياسته في موريتانيا، شهادة المتريز، جامعة نواكشوط، 1991-1992، ص 16.

² ليلى الصباغ، عالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، دمشق 1986، ص 25 .

³ زاهر رياض، المرجع السابق، ص-ص 22-23.

⁴ إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (قارة إفريقيا)، ج 2، دار المريخ للنشر،

الرياض، ص 169.

"جزر ماديرا" ثم جزر "الآزور"¹ وما جاورها سنة 1439م، والتي أصبحت أولى المستعمرات البرتغالية، حيث هاجر إليها البرتغاليون واستوطنوها، وفي عام 1441م طافوا حول "رأس بلانكو"، ثم اكتشف "دنيس دياز" جزيرة "نونو تريستا" وتعرف كذلك بجزيرة "أرجوين" عندئذ اكتشف البرتغاليون قيمة هذه الكشوفات، وفي الفترة ما بين 1444م و1445م وصل "دياز" إلى مصب نهر السنغال و"جزر الرأس الأخضر"² و"غينيا"³.

وقد كانت جزر ماديرا و ما جاورها أول المستعمرات البرتغالية خارج الديار و هاجر إليها المستعمرون البرتغاليون و وصلوا حتى اكتشفوا جزر الرأس الأبيض , كما ذكرا آنفا سنة 1441 م والرأس الأخضر سنة 1446 م ، و في عام 1460م وصلوا إلى سيراليون .⁴

شهد النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي، بداية التوسع والاكتشافات الأوربية وما صاحبها من تأسيس للمراكز التجارية على الشواطئ الإفريقية الغربية⁵، حيث كانت البداية الفعلية للرحلات الكشفية في موريتانيا للبرتغاليين، الذين شكلوا أول حضور أوروبي قدم إلى الساحل الموريتاني فقد سعى هؤلاء إلى اكتشافها من جهة، وإنشاء مراكز تجارية بهدف استغلال

¹ جزر ماديرا و آزور: هي مجموعة من الجزر منفصلة عن بعضها البعض تقع في المحيط الأطلسي غير بعيدة عن القارة الإفريقية وهي تابعة سياسيا للبرتغال. للمزيد ينظر:

D'avezac. M , Iles de L'Afrique ,Fermin didot Frères éditeurs,Paris,P 101.

² جزر الرأس الأخضر: تقع هذه الجزر على بعد 500 كم من الساحل الغربي الشمالي لإفريقيا و تتمثل في مجموعتين من الجزر "ليوارد" و"وندوارد". ينظر: عبدالقادر مصطفى الخيشي و آخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1، ليبيا، 2000، ص 280.

³ فيج. جي. دي ، تاريخ غرب إفريقيا ، تر: يوسف نصير، دار المعارف، ط1، مصر، 1982، ص-ص، 110-112.

⁴ سيراليون: دولة تقع غرب إفريقيا، أطلقه عليها الرحاة البرتغالي "داسترا" إذ عندما وصل إلى تلك الجهات كثرت الغيوم و ميض البرق، و ارتفعت أصوات هدير الرعد التي تشبه زفير الأسد، فأطلق عليها هذا الإسم و يعني جبال الأسد. للمزيد ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر -غربي افريقية) 1432-1412هـ / 1924-1992م،

ج15، المكتب الإسلامي، ط2، 1997، ص171.

⁵ رياض زاهر، المرجع السابق، ص22.

ثروتها من جهة أخرى¹، وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر أصبح وجودهم شبه استعماري²، حيث كانت أرغين مركز نشاط تجاري مهم خاصة في مجال النحاس والذهب، وبعد تمشيط المنطقة من طرف البرتغاليين وهروب الموريتانيين³، قامت القوافل البرتغالية باحتكارها و بناء قلعة محصنة ومن ثم الولوج داخل البلاد حتى آدرار وودان⁴.

فقد زار " Fernandez Joas " منطقة ودان الواقعة شرقي آدرار، أين أقاموا بهذه الأخيرة مركزا تجاريا، وفي عام 1448 م أنشأ البرتغاليون حصن " أرجيوم "، وهو مقابل للرأس الأبيض و منها توغلوا نحو المناطق الداخلية، حيث تقدموا صوب السودان الغربي⁵ بهدف الوصول

¹ علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص 32.

² الرائد جيليه، التوغل في موريتانيا اكتشافات... استكشافات... غزو، تر: محمدن ولد حمينا، دار الضياء، ط 1، الكويت، 2009، ص ص 25-35.

³ محمد سعيد بن همدي، موريتانيا و أوروبا عبر التاريخ، (د.د.ن)، أطار، موريتانيا، 2002، ص 05.

⁴ ودان: إحدى المدن الموريتانية تقع في منطقة آدرار بالشمال الموريتاني، وترجع الروايات التاريخية أنه تأسست عام 1141م وقد كانت مدينة مهمة بالنسبة للتجارة عبر الصحراء. للمزيد ينظر: علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص- ص 32-33.

⁵ السودان الغربي: عبارة لم ترد أبدا في كتابات ابن بطوطة و ابن خلدون، بل وحتى في كتابات المؤرخين و الجغرافيين والرحالة والرحالة المسلمين الذين سبقوهما بالاهتمام بهذه المنطقة، لأن هذه العبارة لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر عندما تم اكتشاف منابع نهر النيل و النيجر، و عرف حينئذ أنهما نهران منفصلان عن بعضهما و ليسا نهما واحدا كما كان يعتقد من قبل. و قد أطلق الأوربيون هذا الاسم على منطقة نهرى السنغال والنيجر، بينما أطلقوا اسم "سودان وادي النيل" و كذلك "السودان المصري" على المنطقة الواقعة جنوب مصر، و هكذا ظهرت عبارة "السودان الغربي"، أما الجغرافيون و المؤرخون و الرحالة المسلمون، ومنهم ابن بطوطة و ابن خلدون، فقد كانت كلمة "السودان" تعني منطقة أوسع بكثير من المنطقة المسماة بالسودان الغربي، فبالنسبة لهم كانت إفريقيا السوداء جنوب الصحراء عبارة عن ثلاثة أقسام هي: قسم بلاد السودان و هي المنطقة الممتدة جنوب الصحراء من المحيط الأطلسي في الغرب إلى نهر النيل في الشرق، و قد اعتقدوا أن نهر النيل هو نهر النيجر و أنهما نهر واحد، ولذلك سموا نهر النيجر بالنيل و بحر النيل، و القسم الثاني هو بلاد الحبشة، والقسم الثالث هو بلاد الزنج. للمزيد ينظر: عثمان بناني، السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون، مجلة دعوة الحق، العدد 269، ابريل 1988، ص 15.

الوصول إلى مدينة "تمبكتو" التي ذاعت شهرتها بسبب كثرة مناجم الذهب بها ، ولكنهم فشلوا في ذلك و سرعان ما انصرفوا إلى تجارة الرقيق ، و أصبحت "آرجيوم" (يطلق عليها أيضا "أرغين" أو "أركيه") هي المركز الرئيسي لتجميعه و منها كان ينقل عبر الأطلسي ، في هذا الوقت واصل البرتغاليون اكتشافاتهم ، حيث احتلوا مواقع أخرى (الرأس الأخضر- ساحل الذهب)، و طافوا حول رأس الرجاء الصالح و وصلوا إلى شرق إفريقيا.¹

و لقد كان ذلك سنة 1497م ، فالملاحظ أن حضور البرتغاليين كان على الشواطئ فقط في بداية الأمر، و مرد ذلك إلى ضالة عدد البرتغاليين و تواضع إمكانياتهم ، و كان الهدف من هذا الحضور تجاريا مع أهداف أخرى ، و قد استطاعت البرتغال أن تتصل بتجارة الشرق مباشرة و أن تقوض القوة التجارية العربية و أن تسيطر على المسالك البحرية، و لكن البرتغال لم تتمكن في السيطرة على هذا المنحى فترة طويلة ، و يرجع ذلك إلى ظهور قوى استعمارية أخرى مثل هولندا و فرنسا و بريطانيا مما أدى إلى احتدام الصراع بينهما، و إلى تقسيم أملاك البرتغاليين التي ضمتها إسبانيا عام 1580م و استمر ضم اسبانيا لها مدة تزيد على السبعين (70) عاما .²

2-2- التنافس الأوروبي على موريتانيا:

كان سقوط غرناطة 1492م و هزيمة المسلمين بالأندلس قد دفع بالنصارى إلى اللحاق بهم في عقد ديارهم و زيادة على هذا فإن التفكك السياسي الذي أصاب المغرب الكبير قبل ذلك أي بعد سقوط دولة الموحدين في النصف الثاني من القرن 13م (1269م)، عرض موريتانيا وابتداء من القرن 14م لبعثات استكشافية كان الغرض منها الاحتلال، نظمتها القوى الأوروبية

¹ الفوزان بن عبد الرحمان الفوزان، المرجع السابق، ص 546.

² ليلي الصباغ ، المرجع السابق ، 86.

البرتغالية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية، وبمشاركة هولندية وبلجيكية منذ عصر الكشوفات الجغرافية نهاية القرن 15م والفترات اللاحقة.¹

بجول القرن السادس عشر، شهدت السواحل الموريتانية نوعا من الهدوء النسبي، و هذا بعد اكتشاف أمريكا سنة 1492 م ، وحركة الهجرة الحثيثة نحوها بداية القرن التالي، حيث استحوذت على اهتمام الأوروبيين و طاقاتهم، غير أن تغيير الأسرة الحاكمة في البرتغال سنة 1580 م، نقل المستعمرات البرتغالية للسيطرة الإسبانية²، ومن ثم أصبح للأسبان علاقات تجارية عبر جزر الكناري³ وتكنه⁴ ليتسع نفوذهم نحو التراب الموريتاني⁵ و الجدير بالذكر أن الأسبان هم أول الأوروبيين الذين عقدوا اتفاقيات مع الترازو في منتصف القرن السابع عشر مع أميرها هدي بن أحمد بن دامان⁶، حيث قام على شرفه افتتاح مرسى سمي باسمه Petit Port Addi لتصبح بورتنديك (Portandik).⁷

¹ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (بلاد المغرب)...، المرجع السابق، ص477.

² إلهام محمد ذهني، المرجع السابق، ص186.

³ جزر الكناري : جملة من الجزر الواقعة في المحيط الأطلسي على مسافة قليلة من الساحل الغربي الإفريقي، تقدر مساحتها ب 1.532 كلم²، سكانها الأقدمون الغوانتوشوس ذو الأصول البربرية، سكنها الأندلسيون و سموها بالخالدات ثم الهولنديون فالأسبان. ينظر عثمان الكعك، البربر، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، دار البيضاء، المغرب، 2003، ص76.

⁴ تكنه : هي كنفدرالية قبيلة صحراوية ذات أصول عربية، تقع في منطقة جنوب المغرب الأقصى والصحراء الغربية وشمال موريتانيا، يتكلم أغلب سكانها اللهجة الحسانية. ينظر:

Paul Marty , Les Tribus de la Haute Mauritanie..., op.cit, pp60- 62.

⁵ محمد السعيد بن همدى، المرجع السابق، ص04.

⁶ هدي بن أحمد بن دامان : الأمير الثاني للترازو من 1635 إلى غاية 1685، أخضع البرابرة بعد أن انتصر عليهم في

حرب شربته 1676. للمزيد ينظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص 469.

⁷ الرائد جليليه، المصدر السابق، ص35.

تجدد الإشارة إلى أن الأمر لم يستقر الأمر للبرتغاليين في المنطقة ، ففي القرن 17م ازداد التنافس بين الدول الأوروبية البحرية، حيث اتخذت من مصبات الأنهار عند سواحل إفريقيا نقاط ارتكاز ومحطات لتموين أساطيلها، وظهرت هولندا في هذه الفترة كدولة بحرية كبيرة، واستطاعت عام 1638م انتزاع "الآرجيوم" (أرغين) من البرتغال¹ ، وبعد أن أصبح هؤلاء أسيادا لموقع أرغين، قاموا بتحسينه و تطوير تجارته ليستولي الانجليز بدورهم على الموقع سنة 1665م لكنهم لم يثبتوا فقد تمكنت قوة جديدة هي هولندا التي أنشأت شركة الهند الشرقية الهولندية من فرض السيطرة على المحطات التي كانت بحوزة البرتغاليين، و هكذا سيطروا على ميناء أرغين في مطلع القرن السابع عشر وكذلك ميناء هدي² (Portedenik).

أمام عودة الهولنديين بقوة سنة 1666 م ، فقد وسع هؤلاء علاقاتهم مع شيوخ موريتانيا داخل البلاد وبذلوا جهودا كبيرة من أجل استقطاب تجارة الصمغ العربي، حيث دفع هؤلاء أسعارا باهضة بهدف إفلاس الشركة النورماندية الفرنسية المتمركزة في "لوهافر" والتي تأسست قبل ذلك سنة 1626م عند مصب نهر السنغال من أجل استغلال ثروات السنغال وموريتانيا.³

بتشجيع من الكاردينال " دي ريشليه " كمنشأة تجارية بسان لويس في السنغال وفي سنة 1638م أقامت فرنسا أول تحصيناتها عند مصب نهر السنغال بتأسيس سان لويس، وحين تمركزت فرنسا في المنطقة ، كانت موريتانيا الجنوبية الغربية مسرحا لصراعات قبلية تمثلت في حرب شريبه (1644-1647م).⁴

¹ محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية و الاتجاهات الوجودية في المغرب العربي، اتحاد كتاب العرب، ص 73. ينظر أيضا: صلاح العقاد و آخرون ، المرجع السابق ، ص 38.

² هدي: نسبة إلى هدي ابن أحمد بن دامن ، ثاني أمراء مملكة الترارة. ينظر:علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص 33.

³ الرائد جيليه ، المصدر السابق ، ص 36.

⁴ حرب شريبه:هي حرب دينية نشبت بسبب امتناع واحد من اللحمه و اسمه "بيه" عن دفع الزكاة فأرادت الزوايا أخذها بالقوة فدافع عنه حسان و صاروا يدا واحدة وقال أنه لا يعطيها إلا عن طيب نفس،أما الزوايا فإن بعض قبائلهم حارب بأجمعه كقبائل "شمشه" و"اجيجبه" و بعضها الآخر منهم من دخل ومنهم من اعتزله الحرب ك"إدوعل" و"إدابلحسن" فإدوعل لم يصل منهم إلا عدد قليل رئيسه"عبدالله بن الطالب" المعروف بالقاضي فدخل حرب شريبه منهم ثلاثون رجلا فاستشهد نصفها و نجا النصف الآخر أما إذا بلحسن فبعض الناس يزعم أنهم اعتزلوها كلهم،وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الزوايا في الموقعة الشهيرة "تنيفظاظ". للمزيد ينظر: أحمد

نتيجة لسياسة الهولنديين إزاء الشركة النورماندية الفرنسية، حصلت هذه الأخيرة على مهمة الاستيلاء على أرغين من طرف الحكومة الفرنسية وذلك سنة 1678 م، ومن ثم قامت بتحريم التجارة على الشاطئ الأطلسي¹، ليعود الهولنديون من جديد إلى أرغين سنة 1685 م بغية إعادة مركزهم التجاري لكنهم أخفقوا في ذلك بالرغم من مساعدة بروسيا لهم، ذلك أن هولندا وبروسيا كانا وأجزاء أخرى من أوروبا الوسطى تحت سلطة فريديريك الأول ملك بروسيا والمعروف بـ أليكتور دو براندبورغ (Electeur de Brandebour). و في سنة 1697 م تم توقيع معاهدة "Ryswick"²، التي بموجبها أصبح مركز أرغين تحت سلطة كل من الهولنديين والألمان بقيادة "أليكتور" (Electeur)³.

أقامت إمارة بروسيا⁴ التي كانت في فترة صعود علاقات مع إمارة الترابزة و مع السكان المحاذين للشاطئ الأطلسي في الفترة بين 1685 و 1721 م، وعمل البروسيون على تطوير علاقة تجارية منظمة مع بلاد شنقيط رغم الصراع الذي كان بينها وبين الدول الأوربية.

بن الأمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص 469. وهناك من يعطي أسبابا أخرى منها رغبة الصنهاجيين التخلص من العرب الحسانيين لأنهم أنقلوهم بالضرائب. ينظر: علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص 114.

¹ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص 05.

² **Ryswick**: هي معاهدة أمضيت في 20 سبتمبر 1697 بين فرنسا من جهة والنمسا، إنجلترا، هولندا وإسبانيا من جهة أخرى في ريسويك وهي قرية تقع في الخليج الهولندي الذي يلي البلجيك في الشمال وتم الاعتراف بامتلاك فرنسا لمدينة ستراسبورغ وبلاد الألزاس. للمزيد ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ص ص 309-310.

³ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص 06.

⁴ بروسيا: إمارة أوربية و كانت مثلا للدولة التي ترغب بالتوسع، و كان عاهلها "فريديريك" مثلا للملوك المحاربين، و 632 قد اتسعت رقعتها كثيرا في القرنين 17 و 18 م فامتدت حتى الراين، غير أن مقاطعاتها بقيت متفرقة و متناثرة، و كان هدف بروسيا توحيد هذه المقاطعات و كذلك التوسع على حساب بولونيا ثم إضعاف النمسا قدر المستطاع، لأن هذه الأخيرة هي جارة بروسيا و عدوتها التقليدية، ذلك أن كلا منهما كانتا ترغبان بتوحيد أجزاء ألمانيا و السيطرة عليها، فبروسيا كانت تريد أن تضم الولايات الألمانية الصغيرة و توحيدها تحت التاج البروسي، وكان هذا هو نفس هدف النمسا كذلك.

وكانت مؤسسة إبراندبورغ الإفريقية تصدر إلى مراكزها التجارية في إفريقيا القطع الحديدية الأواني النحاسية والأقفال والسكاكين والمرجان والتبغ، وفي المقابل تستورد عن طريق آرغين، الصمغ العربي وريش النعام و العنبر الرمادي والفلفل و العاج والذهب وجلود الفهود والماعز والملح والسّمك.¹

حيث أدرك أليكتور دو براندبورغ (Electeur de Brandebourg) أهمية موريتانيا الاقتصادية من خلال ما تمتلكه من الصمغ العربي²، ريش النعام، العنبر الرمادي، الملح، السمك وجلود الفهود، والماعز وغيرها، فأقام علاقات تجارية مع الترازو والسكان المحاذين للشاطئ الأطلسي في الفترة الممتدة ما بين 1685-1721م حيث وقع البروسيون ثلاث اتفاقيات مع قبيلة الترازو، فوقع الأمير بن هدي اتفاقية أولى سنة 1686م، و بعد ذلك بسنتين أي في 1688م، وقع أخوه الأمير أعمار أكجيل على الاتفاقية نفسها دون تغيير مضمونها ليوقعها الأمير الثالث أعلي شظورة سنة 1703م مرة أخرى، وكانت هذه الاتفاقية تنص على ثلاث بنود أساسية:

* إقامة موسم تجاري سنوي بين بروسيا والموريتانيين.

* أن يبيع الموريتانيون الصمغ العربي للبروسيين دون سواهم من الأمم الأوروبية.

للمزيد ينظر: محمد علي القوزي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، 1422هـ/ 2002م، ص 67.

¹ إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 186.

² الصمغ العربي: أو ما يعرف بالعلك و هو مادة تفرزها أشجار القناد المنتشرة بكثرة في الجزء الجنوبي من البلاد بمحاذاة النهر، وترتكز هذه المادة بكثافة في منطقة الترازو. للمزيد ينظر: محمد المختار ولد السعد، إمارة الترازو وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703-1860م، مجلة رباط الكتب الالكترونية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ع 05، الرباط، 2002، ص 10.

* أن تُعين بروسيا قبيلة التراززة في حال تعرضها لعدوان خارجي.¹

كانت العلاقات التجارية بين أمير التراززة أعلي شنظورة و البروسيين تسير بشكل جيد خاصة أثناء حكم ريرس (Jan Reers) لأرغين، لكن الحاكم الجديد الذي جاء بعد Reers وهو Nicolaessoen Jan de Booth ساهم في تدهورها نتيجة لمعاملته السيئة مع الموريتانيين والتجار وكذا الصيادين الذين كانوا يعانون من السرقة والضرب مما دفع بأمير التراززة أن يلتفت حول شركة الهند الفرنسية التي حلت محل مؤسسة السنغال سنة 1717 م، ومن خلال ذلك نجحت مؤسسة الهند الشرقية بقيادة الحاكم الفرنسي أندي برو (André Brue)² من إبرام أول معاهدة مع الأمير أعلي شنظورة سنة 1717م، فبمقتضاها يتعهد هذا الأخير بعدم التعامل تجاريا مع أي دولة أوروبية عند أرغين وبورتنديك ومن ثم انفردت فرنسا بتجارة الصمغ والحرية التامة لأسطولها التجاري على سواحل التراززة، وقد سمح الأمير للمؤسسة الفرنسية بإقامة تحصينات دفاعية قادرة على حماية النشاط التجاري على طول الشريط الساحلي، إضافة إلى ذلك عقد الحاكم الفرنسي اتفاقية مع البراكنة بغية الاستفادة من صمغهم.³

بالرغم من المعاهدة المبرمة بين مؤسسة الهند الفرنسية والأمير التراززي ، إلا أن العلاقة بينهما لم تكن على أحسن حال وذلك راجع إلى الشكوك المتبادلة والخلافات القديمة فيما بينهما، وعليه فضل الأمير التراززي بممارسة نشاطه التجاري على الشاطئ بدلا من سان لويس المفضلة لدى

¹ الرائد جلييه، المصدر السابق، ص 36 .

² أندي برو **André Brue** : ولد سنة 1654 في اسبوتا بفرنسا ، عين حاكما لشركة الهند الشرقية الفرنسية بالسنغال في الفترة الممتدة من 1714-1720م ، توفي سنة 1730م. ينظر:

Paul Masson , **Une double énigme -Anré Brue-**, RHC, Vol 20, N° 85, Paris, 1932, pp 09.

³ الرائد جلييه، المصدر السابق، ص 38 .

الفرنسيين، إضافة إلى ذلك التعامل مع الإنجليز، البروسيين والهولنديين الذين سمح لهم بالإرساء في بورتنديك وتحصين مواقعهم.¹

وفي 26 فيفري 1721 م حاولت الشركة الفرنسية بالسنغال استعادة مركز أرغين من الهولنديين فقامت بمحاصرتها وتمكنت من الاستيلاء على القلعة ، وبسبب سوء تصرف وطيش الحاكم الفرنسي بها ثار الموريتانيون بمساعدة من الهولنديين وحاصروا القلعة فما لبثت أن استسلمت ، وبعد سنتين من ذلك حاول Frogger de la Pigaudière استعادة أرغين ، فقام باحتلال مرفأ بورتنديك" و وقع معاهدة مع أعلي شنظورة سنة 1723 م، بموجبها يمنح الشركة الفرنسية احتكار التجارة في هذا الجزء مقابل حصوله على إتاوات تعرف بالكوتيم (Cottimos)² ، و بعد فترة قليلة بعث أمير الترازة أعلي إلى برو (Brue) حاكم السنغال ليبلغه عن رغبته في السلم و العيش بسلام مع الفرنسيين طالبا منه تمكين رعايا الترازة الذين هم مع الهولنديين في أرغين و الإذن بالانسحاب ولكن هؤلاء لم يطيعوا أمر الأمير³ ، فقرر الحاكم بالسنغال أن يبعث أسطولا لأرغين سنة 1724م ، فقتل الموريتانيون و استسلم الهولنديون ثم طردوا نهائيا منها.⁴

ظلت أرغين تحت سيطرة الفرنسيين حتى عام 1758 م⁵ أين استولى الإنجليز على مستعمرات فرنسا بالسنغال خلال حرب السبعة أعوام⁶ ، حيث قاموا بتدمير مركز أرغين وميناء

¹ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص ص 07- 09.

² الكوتيم: عبارة نورماندية قديمة تعني الرسم الجمركي . ينظر الرائد جلييه، المصدر السابق، ص 39 .

³ Leonard-Jar Jean Baptiste , **Voyage au Sénégal**, Vol 01, Imp. Libraire, Paris, 1802, p 20.

⁴ Cultur Paul , **Histoire du Sénégal de XVe à 1870**, Paris, Larose, 1910, p 367.

⁵ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص 09.

⁶ حرب السبعة أعوام :حرب قامت بين القوى الأوروبية الكبرى بسبب ص ا رعها من أجل السيطرة على بعض الممتلكات في أوروبا والمستعمرات، وكانت بين فرنسا وحليفاتها النمسا وحلفائهما من جهة، وبين إنكلترا وحليفاتها بروسيا من جهة أخرى ،

بورتنديك و إرغام الموريتانيين على استخدام مرفأ واحد ألا وهو مرفأ الصحراء على النهر الذي أصبح مركز نشاطاتهم التجارية في السنغال بالإضافة إلى دفع رسوم لشيوخ موريتانيا و منح هدايا وتشريفات أثناء قدومهم إلى سان لويس، وظل الحال للإنجليز إلى غاية معاهدة فرساي 3 سبتمبر 1783م ، حيث تم الاعتراف لفرنسا بحق السيادة وحدها على الشاطئ الأطلسي من الرأس الأبيض إلى مصب سالوم (Saloum) والسماح للإنجليز بممارسة التجارة في المنطقة دون أن يكون لهم الحق في إرساء تجاري ثابت على الأرض، ومن ثم قام الفرنسيون بإعادة تأسيس مراكز أرغين و بورتنديك.¹

ساهمت الأوضاع الداخلية لفرنسا جراء الحروب النابليونية والمنافسة الخارجية في تدهور المستعمرة السنغالية و ما زاد الطينة بله حروب الفرنسيين مع الموريتانيين في الضفة اليمنى لنهر السنغال، حيث ازداد نفوذهم في أوالو² ، فقام الإنجليز بالاستيلاء على المؤسسات الفرنسية حيث تمكنوا من السيطرة على جزيرة كوري (Gorée) سنة 1800 م، لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على سان لويس بسبب المعاهدة المبرمة بين الفرنسيين والموريتانيين بعد كفاح دام سنتين، وفي

وقد استمرت مدة سبع سنوات (1763- 1756) وبدأت في القارة الأوروبية ثم انتقلت إلى ما وراء البحار بين انكلترا وفرنسا لتشمل المستعمرات في أمريكا و إفريقيا الهند .ينظر عادل محمد حسين العليان، الثورة الأمريكية وحرب الاستقلال دراسة لأهم دوافعها ونتائجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1774 - 1783،مجلة سر من رأى، جامعة تكريت، كلية التربية، قسم التاريخ، ع 38 ، مج 08 ، سامراء، العراق، 08 جانفي 2013 ، ص 157.

¹ الرائد جليليه، المصدر السابق، ص42 .

² أوالو: منطقة تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال بين دكّانة و المصب تقريبا و لها علاقة قوية مع الترابزة على الضفة اليمنى. ينظر:

سنة 1809م استولى الإنجليز على المستعمرة بأكملها إلا أن معاهدة باريس¹ 1814 سرعان ما ردت للحكومة الفرنسية مراكزها التي كانت تملكها في السنغال.²

ومهما يكن من أمر فإن حضور بروسيا أصلا على السواحل الموريتانية قد انتهى في مارس 1721م، وذلك بسبب الضربات الفرنسية المتتالية على البروسيين³، والذي سار على إثرهم الإنجليز و الذين كانوا في صراع طويل مع الفرنسيين فقد حاول البريطانيون مد نفوذهم إلى داخل موريتانيا عبر الاتفاقيات والمعاهدات لبناء مساكن ومستودعات، وذلك للمحافظة على التجارة ولم تتردد بريطانيا في دفع الجزية مقابل التوغل والتحصن وزيادة نفوذها في لبلاد الموريتانية، وقد أثار ازدياد نفوذ بريطانيا حفيظة فرنسا، و لكن الخلافات التي ظهرت بين الطرفين الاستعماريين سويت في السنة الرابعة للقرن العشرين عبر الاتفاق الذي يقضي بإطلاق يد فرنسا بالمغرب العربي مقابل سكوت فرنسا عن احتلال بريطانيا لمصر، وهذه الاتفاقية ما هي إلا تكملة لمؤتمر برلين الثاني 1885 م الخاص بتقسيم الكعكة الإفريقية بين الدول الاستعمارية الأوربية المتكاملة، التي ازدادت المنافسة بينهم و زاد الطمع في الحصول على الصمغ العربي الذي كانت تشتهر به بلاد شنقيط في ذلك الوقت.⁴

وصل الأسبان بعد البرتغال، ولحقهم الفرنسيون ثمّ الهولنديون وسار على إثرهم الإنجليز ووقعت المنافسة وزاد الطمع في الحصول على الصمغ العربي. ولهذا الغرض قد أقاموا عدة علاقات

¹ معاهدة باريس: عقدت بين فرنسا والحلفاء المملكة المتحدة، النمسا، روسيا، بروسيا السويد البرتغال و الأسبان والتي بموجبها تم الاتفاق على تعديل حدود فرنسا التي أرجعت إلى ما كانت عليه سنة 1792، حيث نصت المادة الثانية من المعاهدة على إعادة جميع الوكالات والمنشآت الفرنسية على الساحل الغربي لإفريقيا، في المقابل تتحصل إنجلترا على حق التجارة ببورتنديك، في الشمال وحتى خليج أرغين. ينظر عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1919)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 30 - 33.

² إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 18.

³ أحمد إسماعيل راشد، المرجع السابق، ص 239.

⁴ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (بلاد المغرب)...، المرجع السابق، ص 478.

تجارية مع القبائل الموريتانية، وخاصة فرنسا وذلك لسببين أولهما استكشاف المنطقة، وثانيهما معرفة عقلية هذه الشعوب التي تسكن الضفة الشمالية لنهر السنغال، في حالة ما إذا ضمتها إلى مملكتها الإفريقية الغربية.¹

بهذا يكون قد احتدم الصراع بين القوى الأوروبية، حيث تم التداول على السيطرة على المنطقة، فمن البرتغال إلى الأسبان التي استطاع الفرنسيون انتزاعها منهم في 1578 ثم تحولت السيطرة لهولندا عام 1638م والذين انسحبوا منها تحت ضغط الانجليز سنة 1666م.²

3- العلاقات التجارية بين الفرنسيين و الإمارات الموريتانية :

إن الشيء الذي جذب أنظار الاستعمار إلى موريتانيا ، هو الصمغ العربي الذي تشتهر به لذلك كانت كل شركة تحاول أن تحتكر هذه التجارة لنفسها، وأخذت تنشئ مراكز تجارية لها على طول نهر السنغال، فقد نجحت فرنسا في 29 جويلية 1717م عبر الحاكم الفرنسي للسنغال "أندري برو" في إبرام معاهدة مع أمير الترازو، تحصل بمقتضاها فرنسا على الانفراد بتجارة الصمغ وعلى الحرية التامة لأسطولها التجاري على سواحل الترازو أي إلى خمسين كم شمال موقع نواكشوط.³ رغم ذلك لم تحل مشكلة السيطرة إلا في عام 1814م عندما أعطيت منطقة السنغال رسميًا إلى فرنسا بموجب المعاهدة التي عقدت بين دول أوروبا الكبرى في أعقاب نهاية الحروب النابليونية، وفي واقع الأمر فإن هدف الفرنسيين حتى ذلك الوقت لم يكن السيطرة الكاملة على البلاد بل كانوا يهدفون إلى أمرين اثنين: الهدف الأول هو تأمين تجارة الصمغ والهدف الثاني منع انتشار نفوذ الموريتانيين وخاصة أمراء الترازو نحو الجنوب (إلى ما وراء نهر السنغال) وعليه فقد تم عقد سلسلة من الاتفاقيات بين الفرنسيين والأمراء الموريتانيين كانت تكفل المصالح التجارية

¹ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص-ص 6-8.

² محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص 9.

³ نفسه، ص-ص 6-9.

الفرنسية من التهديد خاصة تجارة الصمغ في مقابل دفع الإتاوات والهدايا للأمرء، وظلّ مفعول هذه الاتفاقيات ساريا طوال القرن 19م مع محافظة موريتانيا على استقلالها على النظام القبلي في نطاق الإمارات.¹

أقام الفرنسيون علاقات تجارية مع القبائل الموريتانية الموجودة على الضفة اليسرى من نهر السنغال وكان الغرض من دفع هذه الإتاوات للقبائل هو الإبقاء على تجارة الصمغ وإرضاء هذه القبائل لمنعها من عبور نهر السنغال ومهاجمة الوكالات الفرنسية التجارية، وفي عهد "لويس الرابع عشر" اهتم "كولبير" بتثبيت أقدام الفرنسيين عند مصب نهر السنغال فأقام حاميات عسكرية لحماية الوكالات من الهجمات الموريتانية.²

نظرا لما حققته هذه التجارة من أرباح للطرفين فقد أصبح لأمرء القبائل الموريتانية مثل الترازة والبراكنة ممثلون تجاريون يتولون التجارة مع الأوروبيين عرفوا باسم "كاتي".

فقد تمكنت فرنسا من استعادة كافة مؤسساتها بالسنغال عقب معاهدة باريس 1814م، لكن المرحلة التي تلت ذلك شهدت الكثير من المشاكل أهمها:

-غرق سفينة لامديز (La Méduse) المتوجهة صوب مستعمرة السنغال وعلى متنها الموظفين والفرق العسكرية بغية احتلال وتسيير المستعمرة .

-ازدياد نفوذ الموريتانيين على الضفة اليسرى لنهر السنغال واحتكارهم للتجارة وعدم السماح للفرنسيين بإنشاء مراكز ووكالات بها.

¹ احمد إسماعيل راشد، المرجع السابق، ص 239

² محمود شاعر ، التاريخ الإسلامي (بلاد المغرب) ... ، المرجع السابق، ص 478

- المنافسة التجارية للإنجليز وعلاقتهم مع حوض النيجر لاستغلال موارد إفريقيا الوسطى من جهة ولإقامة علاقات تجارية في ميناء هدي " بورتنديك " من جهة أخرى.¹

أقيمت معاهدات لتنظيم عملية التبادل التجاري ونذكر منها:

- المعاهدة التي وقعت بين مدير الوكالة الفرنسية Durent وقبيلة Darman Cour في 02 ماي 1785م تبعتها معاهدة أخرى في 10 ماي من نفس العام وقام بتوقيع المعاهدتين De Repentigny حاكم السنغال.

- معاهدة وقعت بين Durent و Cory أمير الترازو في جويلية 1785م لتنظيم تجارة الصمغ.

أما في القرن 19م فنجد عدة معاهدات منها: معاهدك 7 جوان 1810 بين الحاكم ماكسويل ورئيس قبائل البراكنة تتعلق باستئناف تجارة الانكليز الصمغ و دفع الإكراميات ومعاهدة 20 ماي 1819 م بين البراكنة و الحاكم الفرنسي جوليان شمالتز تتعلق بالترتيبات الأساسية لتجارة الصمغ.²

- معاهدة 1819م مع "عمر بوري" ملك "أوالو" التي لها أهمية إستراتيجية وتدعيما لحسن الجوار بين الطرفين وقد تعمدت فرنسا دفع مبلغ سنوي للملك مقابل قبوله السماح للفرنسيين بالتجارة، كما تم للفرنسيين توقيع معاهدات أخرى مع قبائل الترازو والبراكنة وتم تأسيس مركز "داجنا" على الضفة اليسرى لنهر السنغال وقد تزايدت المعاهدات التجارية مع القبائل الموريتانية ففي 25 جويلية 1821 م كانت هناك معاهدة مع البراكنة وذلك لاستمرار تجارة الصمغ بين الطرفين.

- 25 جوان 1821م مع قبيلة "الدويش" التي سمحت للفرنسيين بإنشاء مركز تجاري.

¹ Martin-Saint Jean – Yves, Le Senegal sous le second Empire (Naissance d'un Empire coloniale 1850-1871), Karthala , Paris, 1989,p97.

² إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكرا، المرجع السابق، ص 169.

• ومنها معاهدة 23 جويلية 1821 بين الحاكم لي كوبي البراكنة، المؤكدة للمعاهدة السابقة في خطوطها العامة.

ودائما في 1821 وقعت معاهدة تم على اساسها فتح محطة تجارية في باكل أسندت مسؤوليتها لايدوعيش الموحدين آنذاك¹.

• توالى المعاهدات في 19 أوت 1824م و 26 فيفري 1826م، 25 ابريل 1829م و 24 أوت 1831م ، و توضّح لنا هذه المعاهدات المتتالية حرص فرنسا على التعامل مع القبائل لمنعها من الإغارة على وكالاتها.

و هناك معاهدة أخرى التي كانت بين أمير البراكنة وقائد الفرقة الثانية الفرنسية في 05 ماي 1834م، يتعهد فيها "احمد سيدي علي" أمير البراكنة بحراسة المراكب الفرنسية وحمايتها من أي هجوم، مقابل ذلك يتعهد الطرف الفرنسي دفع جزية معينة إلى الأمير إضافة إلى هدية سنوية².

وفي سنة 1897م رأت كل من البراكنة وفرنسا، أن تدخل تغييرات على علاقتهما التجارية التي استمرت ولمدة 21 سنة على نفس النمط الذي تمخضت عن اتفاقية 1885م، لهذا السبب رأى الطرفان عقد اتفاقية تعدل بعض بنود هذه الاتفاقية، فوقعتا في 5 يونيو 1879م اتفاقية تؤكد حرية التجارة بغض النظر عن نوعيتها، سواء تم ذلك التبادل داخل أو خارج المحطات التجارية المعروفة، غير أن الهدايا في هذه الاتفاقية لم ينص عليها بشكل واضح.

و في 22 جوان 1880م تم توقيع اتفاقية أخرى بين فرنسا والبراكنة، أبقّت على غموض الهدايا كما ورد في الاتفاقية السابقة و إن كانت قد نصت على نصيب الأمير المستحق من تجارة

¹ الفوزان بن عبد الرحمن الفوزان ، المرجع السابق، ص 547.

² إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 188.

الصبغ و حددته بنسبة (1600) وحدة قطن سوداء، على أن تكون (1400) منها لصالح محمد ولد الهيبه رئيس أولاد أعلي ورئيس محطة سلدية¹.

ويبدو أن الاتفاقية بين فرنسا و البراكنة بدأت تتدفق الواحدة تلو الأخرى، وتأخذ خط سير واحد وهو تحديد المكافأة السنوية التي يستحقها الأمير من العمليات التجارية بينها وبين فرنسا، وقد يبدو ذلك أكثر وضوحا من الاتفاقيات التي وقعت في 2 أوت 1886م بين أمير البراكنة والسلطات الفرنسية ، حيث حددت فيها المكافأة السنوية بنسبة (2000) وحدة قطن سوداء، على أن يكون ربعها لرئيس محطة سلدية سيد محمد ولد محمد الهيبه ، الذي تولى رئاسة المحطة في تلك الآونة خلفا لوالده². ثم معاهدة 30 أوت 1884م بين ملك التراززة محمد الحبيب شخصيا والحاكم بوجول.

وتوضح لنا هذه المعاهدات المتتالية حقيقة هامة، ألا وهي محاولة فرنسا مهادنة وملاطفة القبائل الموريتانية كي لا تغير هذه الأخيرة على المنشآت الفرنسية ونهبها، وكذا لحماية التجار والمستكشفين الذين كانوا قد بدؤوا بالتأقلم مع الوضع، وقد تعلموا اللغة العربية والعادات والتقاليد التي تمتاز بها المنطقة.³

إلى جانب هذه المعاهدات التجارية التي لم نذكرها كلها هناك معاهدات سياسية كالتّي عقدتها مع أمير آدرار في 08 أوت 1892م، تعهدت فيها فرنسا بعدم التّدخل في شؤون آدرار السياسية.⁴

¹ محمد عبد الرحمن بن عمار، مقال: فيدهرب و توسيع النفوذ الفرنسي في موريتانيا، مجلة الفسطاط التاريخية، ص 1.

² محمد سعيد بن همدي ، المرجع السابق، ص 13

³ نفسه، ص 14.

⁴ إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 190.

وكما ذكرنا سابقا فخلال القرن 19م ، وقّع الفرنسيون معاهدات مع بعض الأمراء المحليين ولكن الموريتانيين قاموا بهجمات على مراكز التجارة الفرنسية، مما اضطرّ بالفرنسيين إلى التفكير بالاستيلاء على موريتانيا لتأمين السنغال.¹

لقد كانت هذه المعاهدات المبرمة بين فرنسا و القبائل الموريتانية، تهدف إلى تحديد المراكز التجارية التي يتم فيها التبادل التجاري بين الطرفين، كما أن القبائل الموريتانية التي كانت تهدف من ورائها إلى عدم إتاحة الفرصة أمام فرنسا التوغل داخل البلاد، غير أن التجارة و اتفاقياتها لم تكن كافية لإشباع نهم الفرنسيين في التعرف على البلاد، فما كان أمام الفرنسيين إلا إرسال مستكشفين يجوبون البلاد طولا و عرضا، و يلاحظون عن كثب عادات و تقاليد المجتمع الموريتاني والثغرات التي يمكن من خلالها التوغل داخل البلاد تمهيدا لاحتلالها، و تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المستكشفين تقمصوا في معظمهم شخصية التاجر مدعين أنهم مكلفون بمهمة دراسة إمكانية التعاون التجاري مع المنطقة، كما أن غالبية هؤلاء المستكشفين كانوا يجتمون بمظلة الإسلام، إما بانتحاله و ممارسة شعائره أو بحماية إحدى الشخصيات الدينية إذا تمكنوا من إقناعها أنهم لا يريدون شراء البلاد.²

4- الأطماع الفرنسية في موريتانيا :

لقد اقتربت فرنسا من منابع الصمغ العربي، حيث ربطت بين التجار الفرنسيين و منطقة البيضان بتأسيس أول محطة لها عند مصب نهر السنغال واتخذت من سانت لويس مركزا لقيادتها، و شيدت بها حصنا و سرعان ما تعاضمت لتصبح مدينة هامة بالمنطقة. فمنذ عام 1626م وصل

¹ إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، المرجع السابق، ص 170.

² أحمد إسماعيل راشد، المرجع السابق، ص 238.

الفرنسيون إلى مصب نهر السنغال بعد الحروب التي عرفت باسم حروب الكندر¹ التي نشبت بين فرنسا و إنجلترا وهولندا، وبذلك تم إرساء الوجود الفرنسي في سانت لويس و تحويل سوق الصمغ إليها من بورتنديك.

بدأ الحضور الفرنسي يتعاظم منذ تأسيس مدينة سان لويس، حيث تنامي دورها ليتحول من اقتصادي إلى أطماع استكشافية و استعمارية، فقد كان الحضور في البداية تجاريا و لكنه تطور لينتهي إلى التدخل المباشر فيه ، خاصة أمور السكان ومن ثم فرض هيمنتهم عليهم، وخاصة عن طريق العلاقات التجارية مع الأمراء والمشايخ. ومنذ ذلك الوقت أصبح الفرنسيون في سانت لويس هم الجيران المقربون لموريتانيا، وقد مرت فرنسا بفترة فتور بعد هزيمتها من بروسيا عام 1870م، ثم تجدد الاهتمام باستكشاف موريتانيا بعد ذلك ، بعد أن وطد الفرنسيون أقدامهم في مصب نهر السنغال وكانت الأهداف الفرنسية تتلخص في اجتذاب القوافل التي تحمل المنتجات المحلية ، وكان الصمغ على رأس هذه المنتجات ، لذلك قام الفرنسيون بعمل رحلات استكشافية إلى موريتانيا، تلك الرحلات و البعثات التي كثفت من نشاطها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر². هذه الرحلات التي بدأت برحلة بول أمبرت الذي وصل إلى الشواطئ الموريتانية عام 1630م ، لكنها تجسدت فعلا و أصبحت حقيقة ملموسة، في القرن التاسع عشر مع ريني كايي ، الذي زار البراكنة وغيره من الرحالة الآخرين الذين زاروا مناطق مختلفة من البلاد، و الواقع أن فرنسا لم تكن تفكر في احتلال موريتانيا لاعتقادها أن هذه الصحراء التي تقع شمال السنغال فقيرة و أن نفقات الاحتلال لا تساوي ثروات هذا الإقليم³.

¹ حروب الكندر: الكندر هو الصمغ، و تعني حروب الصمغ التي واجهت فيها فرنسا الهولنديين خلال الربع الأول من القرن 18م، ثم إنجلترا خلال الربع الثاني من نفس القرن، و من جراء تصدير موريتانيا للصمغ ، أصبحت تحتل مكانة بارزة في السياسة الاستعمارية الأوروبية. ينظر: علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص34.

² محمد الراضي بن صدفن، المرجع السابق، ص13.

³ عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1987، ص 6.

لكن تغير الوضع بعد ذلك ، فقد كان لهذه البعثات الأثر الكبير في تطور الأطماع الفرنسية للسيطرة على موريتانيا، و اتسمت الفترة ما بين 1842 إلى غاية 1861م باهتمام الفرنسيين الجاد بالتوسع على حساب الإمارات الموريتانية، و نقص المعاهدات التي كانت بينهما و اكتشاف المجال الموريتاني للتعرف على ثرواته الطبيعية و سكانه و تمهيد السبيل لربط الجزائر بالسنغال ، وكان "بوي ويليامز " (1842_1844م) الذي كان واليا على السنغال، يحاول استخدام القوة ضد القبائل الموريتانية لصد قوتهم المهيمنة على حسبه على الممالك السودانية و حاول إخضاع "أوالو" للاستعمار و تجزئتها إلى مقاطعات تجارية صغيرة.¹ و كان من أسباب إخضاع "أوالو" هو زواج الأمير محمد الحبيب أمير التراززة بالأميرة جمبت امبودج اميرة "أوالو" المرتقبة في إطار سياسة تحالفات اتجاه مراكز التوتر في محيطه الداخلي لجمع الكلمة من حوله و تأكيد سيادته في المنطقة ، فتم ذلك الزواج 18-6-1833م فاعتبره الوالي الفرنسي "سينجرمان" في رسالة إلى باريس حدثا بالغا الخطورة لأنه سيتوج ملكا بيظانيا على أوالو، و هو ما يلغي حياد الضفة اليسرى بين الفرنسيين و البيضان في صراعهم المتكرر معنا، فيعلنها الوالي حربا شعواء ضد إمارة التراززة و أوالو، ويحاصر "بورتنديك"² مشعلا حربا بحرية و دبلوماسية مع الإنجليز سوف تنتهي باتفاقية 1835م بينه و بين الأمير محمد الحبيب.³

و في الوقت نفسه عمل "بوي" على تشجيع زراعة منتوجات زراعية أخرى، منها الفستق وإنتاج اللبان و الانتقال من وضعية المركز التجاري إلى وضعية المستعمرة الترابية للمنطقة، و القضاء

¹ - محمد المختار ولد السعد، موريتانيا في السياسة التوسعية الفرنسية في القرن 19م ، حولية المؤرخ العدد3-4، جامعة وهران ، الجزائر، 2005، ص231-234.

² بورتنديك: هكذا عرف في الكتابات الأوربية تحريفا للتسمية الهولندية Porto d'Edi نسبة إلى هدى بن أحمد بن دامان ، و ذلك بعد إنشائه في القرن السابع عشر الميلادي من طرف الهولنديين في أعقاب طردهم من أركين . ينظر مقال : محمد عبد الرحمن بن عمار، المرجع السابق، ص01.

³ نفسه، ص 02.

على النفوذ البيطاني فيها و شرع في اتخاذ الترتيبات لتنفيذ مشروعه، و أنشأ وحدة خيالة جاء بفرسانها من الجزائر و طبق منذ أبريل 1843م الطريقة التي طبقها الجنرال بيجو في الجزائر، و التي تمثلت في السلب و النهب و التقتيل بدون رحمة ، و شن هجوما خاطفا على منطقة كاس وحملة أخرى في الترازة لاستعراض قواته و جابت وحداته البراكنة سنة 1844م، وقام بعمل خطير وهو اختطاف أمير البراكنة المختار ولد سيدي ووزيره ونفيهما إلى الغابون.¹ وقد حول الأمير الحرب من منفاه لكنه لم ينجح في ذلك، واضطر إلى إرجاعه إلى المعتقل و بعد رجوعه أخذ يعمل مرابطا ويدعو إلى الإسلام فنشره في القرية التي كان معتقلا فيها و بسط نفوذه على سكانها، و وصل خبر اعتقاله إلى الحكومة في باريس التي لم تكن تعلم خبر سجنه، فطلبت هذه الأخيرة من الحاكم الفرنسي في إفريقيا الغربية إطلاق سراحه على أنه سجين سياسي و أن اعتقاله يعتبر انتهاكا لحقوق الإنسان.²

و إذا كانت فترة "بوي" على السنغال و أحوازه قصيرة لم تسمح بإنجاز مخططاته، فقد عرفت فترة الوالي الجديد بروتي(1850-1854) قفزة نوعية حيث أراد التعرف على أوضاع المنطقة الحقيقية و أنجع السبل للتعامل معها، فقام منذ مارس 1851م بجولة حول النهر ودرس أثناءها المشاكل التي تطرحها علاقات الترازة مع "أوالو" بالنسبة للتوجه الفرنسي الجديد، وقد كان واضحا على "بروتي" ميله إلى استخدام القوة لتنفيذ السياسة الاستعمارية، وأكد لوزير الحربية والمستعمرات أن حل مشكل النهر يكمن في الصرامة اتجاه البيطان (الترازة)، وبما أن الفرنسيين كانوا عاجزين على ملاحقتهم على الضفة اليمنى للنهر فقد رأو طردهم من الجهة اليسرى، وأن مفتاح ذلك هو السيطرة على والو التي كان يسيطر عليها أمير الترازة محمد الحبيب وذلك بعد زواجه من ملكة والو.

¹ محمد سعيد بن همدى، المرجع السابق، ص 13. ينظر أيضا: محمد المختار ولد السعد، المرجع السابق، ص ص231-234.

² الخليل النحوي، المصدر السابق، ص 321. ينظر أيضا: إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص ص 190-194.

لكن الأحداث التي كانت قائمة في فرنسا وانقلاب 1851م و قيام الإمبراطورية الثانية وعدم استقرار وزراء الحرية والمستعمرات في مناصبهم، كله عجل و أعاق تنفيذ المشاريع التي كانت فرنسا تحاول تطبيقها في إفريقيا الغربية.¹

تغيرت السياسة الفرنسية اتجاه المستعمرات الإفريقية نحو الأخطر في النصف الثاني من القرن 19م و ذلك بعد مجيء "نابوليون الثالث"²، وفي سنة 1854م عينت الإدارة الفرنسية الجنرال "فيدهيرب"³ حاكما على إقليم السنغال وتعيينه كان طلبا من المستوطنين الفرنسيين في السنغال⁴، ومد نفوذه إلى داخل إفريقيا ومنها إلى موريتانيا و مالي و ما جاورها حتى وصلت إلى تشاد⁵. وكانت التوسعات التي قام بها في إفريقيا الغربية انطلاقا من السنغال، قد شكلت خطوة هامة في ميدان السيطرة الفرنسية على المنطقة، و قد أخضعت توسعته هذه مناطق كثيرة من إفريقيا الغربية تحت النفوذ الفرنسي المباشر، و استطاع أن يكون جيشا من الأهالي السنغاليين لمحاربة زعماء المقاومة في المنطقة ، و قد لعب هذا الجيش دورا هاما في القضاء على هذه الثورات ، وإلى جانب

¹ الخليل النحوي، المصدر السابق، ص ص 234-236. ينظر أيضا: إسماعيل أحمد ياغي محمود شاکر ، المرجع السابق، ص 170.

² Mohamed Abderrahmane Ould Oumar, **Faidherbe et le Renforcement de l'Influence Française sur la Rive Droite de du Fleuve Sénégal**, Traduit Par : Mohamed Said Ould Ahmedou, Université de Nouakchott, p59.

³ ليون فيدهيرب: أحد الحكام الفرنسيين الذين قادوا الحملة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا، و قد حكم فيدهيرب فترتين في السنغال، الأولى من 1854 حتى 1861م و الثانية من 1863 إلى 1865م ، و قد عمل من قبل في الجزائر فقد اشترك مع الحاكم بودان سنة 1853م في إنشاء حصن بودور و قد استفاد فيدهيرب خلال هذه الفترة من تعلم اللغة العربية و كذلك لغة الولوف مما ساعده على تفهم المواطنين. للمزيد ينظر: إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 188 .

⁴ Dechamps Hurbert, **Histoire Générale de l'Afrique Noire**, Tome II, Paris ,1971,P63.

⁵ زاهر رياض، المرجع السابق، ص ص 157-158.

النشاط العسكري والسياسي فقد وضع "فيدهيرب" النواة الأولى للتعليم الفرنسي في السنغال وحوّلها من البلدان الإفريقية.¹

أخذ فيدهيرب من سان لويس مقرا للسيطرة الفرنسية و هو الذي أسسته في منتصف القرن 17م، ثم استرجعته بعد مؤتمر فيينا 1815م في إطار استرجاع فرنسا لأملاكها بعد الحرب النابولونية ، وقد بدأ الحضور الفرنسي يتعاظم منذ تأسيسه، و تنامي دوره الإستعماري لبلاد شنقيط حيث نستنتج أنها تحولت من مقر تجاري إلى مركز الحكم لبلاد شنقيط، ومع مجيء هذا الجنرال تحولت العلاقات الفرنسية الموريتانية، و منذ ذلك الوقت أصبحت فرنسا قريبة من موريتانيا أكثر من أي وقت مضى، و اهتمت باستكشاف موريتانيا بعد أن وطدوا أقدامهم على مصب نهر السنغال، و كان هدفها جذب القوافل المحملة بمختلف السلع خاصة الصمغ العربي.²

أعلنت حكومة نابليون الثالث أنها تنوي الاستمرار في سياستها الإيجابية لتطوير التجارة مع السنغال و مد نفوذها من السنغال إلى الداخل³، سوف تغير فرنسا نظرتها اتجاه هذه الأرض القاحلة التي كانت في بداية الأمر لا تهتم بأمرها، و في فترة حكم هذا الوالي الجديد "فيدهيرب" بدأت الأطماع الجديدة للفرنسيين نحو موريتانيا، و هو الذي أوكلت إليه مهمة توسيع النفوذ الفرنسي من نهر السنغال إلى الداخل، وتجدر الإشارة هنا إلا أنه وحتى تسلم فيدهيرب مقاليد الأمور في السنغال، كان لفرنسا ثلاث مناطق متفرقة.⁴

¹ الهادي الدالي و عمار هلال ، دراسة في حركات التبشير و التنصير بمنطقة إفريقيا ما وراء الصحراء، ط1، الدار

المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002، ص ص 91-92.

² علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص- ص 34- 35 .

³ دي. جي. فاج، المرجع السابق، ص312.

⁴ توجد اثنتان منهما على الساحل ، الأولى عند سان لويس و تمتد حتى بودور على نهر السنغال، و الثانية على الرأس الأخضر Cap Vert و دكار و تمتد حتى نهر غامبيا. أما الثالثة، فكانت في الداخل و تشمل منطقة التقاء نهر فاليم بنهر السنغال ، و تمتد من باكل حتى كايس. للمزيد ينظر: محمد عبد الرحمن بن عمار، المرجع السابق، ص07.

وضع فيدهيرب سياسة عامة للتعامل مع القوى الوطنية في غرب إفريقيا و منها الموريتانيين لخصها في مصطلحين هما الحرب أو السلم، ومعنى ذلك الاستسلام للنفوذ الفرنسي في المنطقة أو الاستعداد للحرب، و اتبع هذه السياسة طمعا منه إنشاء إمبراطورية فرنسية مترامية الأطراف تابعة للمركزية في فرنسا، و ربط الجزائر بالمستعمرات الإفريقية الأخرى .¹

كان فيدهيرب يتطلع إلى جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات حول موريتانيا و ذلك لتلخيص مستعمرة السنغال من خطر البيضان، و مع نهاية الخمسينيات من القرن التاسع عشر أراد كشف كامل السواحل الموريتانية لأغراض تجارية و معرفة المنطقة أكثر.²

وكان فيدهيرب الذي كان قائدا عسكريا يرغب في أن تكون توسعته اقتصادية و ذلك بإقامة علاقات تجارية مع القبائل الموريتانية كي يكفل الرخاء للتجار الفرنسيين الموجودين في حصن سان لويس.³

بعد قيام الحروب الأهلية بين القبائل الموريتانية أيقن فيدهيرب أنها ستؤثر في اقتصاد السنغال كما أنه محاصر من ثلاث جهات شمالا من قبل الترارزة و البراكنة و شرقا من زعيم التكرور الحاج عمر ومن الساحل من طرف الزعيم "مابا" الذي كان قد أعلن الجهاد ضد الوثنيين و قد خشى فيدهيرب تحالف هذه القوات الثلاث ضده فعمل على مواجهة كل منها على حدا قبل أن تتاح لهم فرصة التحالف ضد الفرنسيين ، فبدأ بإرسال حملاته العسكرية ضد القبائل الموريتانية لتأمين حدود مستعمراته الشمالية .⁴

¹ إلهام محمد الذهني ، المرجع السابق، ص ص83-84.

² علي بدوي علي سلمان ،المرجع السابق ، ص 36 .

³ فيج. جي. دي ،المرجع السابق، ص 312.

⁴ Dechamps Huabert, *op.cit*,P60.

ونتيجة هذه الانتصارات والإنجازات حاول فيدهيرب أن ينتهز كذلك الحروب الداخلية في الإمارات الموريتانية، والاحتلالات المستمرة، وعدم الاستقرار السياسي لكي يتوغل نحو أعالي نهر السنغال، خاصة وأنه يطمح إلى ربط نهر السنغال و النيجر في وقت كان يؤرقه الخطر الذي يمثله الحاج عمر الفوتي زعيم التكرور كما ذكرنا سابقا .

وقد يكون من العوامل التي ساعدت فيدهيرب على تحقيق السلام واحتكاره تجارة الصمغ لصالح فرنسا دون غيرها من الدول الأوروبية، توقيع معاهدة 1857م مع إنجلترا تنازلت بموجبها عن حقوقها في ميناء بورتنديك.¹

إن تنفيذ فرنسا لمشروعها الرامي إلى ربط مستعمراتها في الشمال الإفريقي بتلك الموجود في غرب القارة كان عليها الإسراع في جمع المعلومات الخاصة بهذه الأخيرة وخصوصا البلاد الموريتانية، في إطار هذا السعي عرف النصف الثاني من القرن 19م قفزة كبيرة في كم وكيف الرحلات الكشفية الفرنسية التي كادت أن تغطي مختلف أنحاء البلاد.

وفي إطار تنفيذ السياسة الاستعمارية الجديدة وفي الجزء الثاني منها، نلاحظ أن الرحلات الكشفية الفرنسية كثرت وامتدت بها الموانئ عندما تولى فيدهيرب زمام الأمور في السنغال، حيث سعى جاهدا إلى إزالة العقبات التي كانت تقف حجر عثرة أمام تلك السفن، وذلك بعد أن توصل إلى عقد معاهدة سلام مع قبائل موريتانيا لتحمي بها هذه الأخيرة الرحالة الفرنسيين وقد كان لهذه الحملات الاستكشافية خصوصا في عهد "فيدهيرب" الأثر البالغ لتمهيد احتلال موريتانيا .²

لقد كان القرن 19م بالنسبة لفرنسا هو عصر الاستكشافات للبلاد الموريتانية حيث أرسلت بعثات كثيرة لاستكشاف هذه البقعة من إفريقيا، وقد ساعدتهم على ذلك التأقلم مع سكان

¹ محمد بن عبد الرحمن بن عمار، المرجع السابق ، ص01.

² المرجع نفسه، ص02.

المنطقة حيث كانت معرفة تضاريس موريتانيا الشاغل الأكبر للفرنسيين ومعرفة سكان المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم التي تسهل للمستعمر عملية احتلال المنطقة دون مشاكل كبيرة.¹

و يبدو أنه لما بدأ الوضع في الأقطار المجاورة للسنغال مستقر نسبيا، بدأ التحضير لاستكشاف المناطق المجهولة من السودان الغربي، وبصورة خاصة موريتانيا، فكان ذلك بمثابة الضوء الأخضر لانطلاق حملات استكشافية اجتاحت موريتانيا، جاعلة من السنغال نقطة انطلاقها لتصل في النهاية إلى المغرب مرورا بمنطقة آدرار الموريتانية ونذكر بعضا من هذه البعثات الاستكشافية :

5- البعثات الاستكشافية الفرنسية للمجال الموريتاني :

شملت هذه الرحلات الأوربية كافة الأراضي الموريتانية، و تعتبر رحلة رينيه كاييه إلى البراكنة سنة 1824م² ، النواة الأولى للعمل الكشفي الفرنسي حيث قضى هذا الأخير بضعة أشهر في موريتانيا واستطاع جمع الكثير من المعلومات، وخاصة منها المتعلقة بالناحية الجغرافية والاقتصادية و الاجتماعية أشار بعد رجوعه إلى بلاده بوجود أراضي خصبة بالبراكنة و إلى كثرة المواد الأولية بها ووجود صناعة محلية تلي حاجيات السكان المحليين³.

وفي سنة 1850 م قامت وزارة البحرية و المستعمرات الفرنسية بإرسال الرحالة "اليوبولد باني" من أجل القيام برحلة استطلاعية قادته من سان لويس إلى الجزائر مرورا بالصحراء⁴. و قد أشار باني في معرض حديثه إلى النشاط الاقتصادي في آدرار و حث على ضرورة تحويل الطريق التجاري الرابط بين آدرار و وادنون بالمغرب إلى سان لويس. استمرت هذه الرحلة ما يقارب أربعة أشهر

¹ علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص38.

² عالي ولد سمير ، استعمار موريتانيا أسبابه ونتائجه ، شهادة المتريز ، جامعة انواكشوط 2007/2008، ص 17 .

³ تسلم بنت محمد حرمة ، المرجع السابق، ص16.

⁴ محمد الراضي ولد صدفن، المرجع السابق، ص40.

جاء خلالها آدرار و شنقيط و سبخة الجبل و أراضي الرقيبات، و الساقية الحمراء و وادي درعة وموكادور، و في سنة 1860م قام الضابط الفرنسي "فينصان" (Vincent) برحلة من مدينة سان لويس برفقة ابن المقداد المترجم في الرحلة، فمر بالترارزة و واصل رحلته شمالا فوصل إلى بورتيندك وأركين حيث حصل على معلومات جد هامة عن سبخة الجبل و المناطق الشمالية الشرقية، إنتهى به المطاف في آدرار فحضي بمقبلة الأمير ولد عيده. و تأتي بعد رحلة فينصان الرحلة التي قام بها "ابورول" إلى البراكنة، و قد تم خلال هذه الرحلة جمع الكثير من المعلومات المتعلقة بالسكان وخاصة المعلومات الجغرافية، و من أهم تلك المعلومات الكشفية لبحيرة ألاك و في نفس السنة قام الضابط ماجي صحبة 6 أشخاص برحلة كشفية إلى تاكانت، و قد تمكنت هذه البعثة بفضل الأجهزة التي معها من وضع خرائط مركزية في المنطقة، و ركز ماجي على أهمية المنطقة تجاريا نظرا لوجود مادة العلك فيها.

وتوقفت الرحلات الاستكشافية آنذاك لتستأنف بعد ذلك سنة 1879م، مع بول سولي الذي أرسل من قبل وزارة الأشغال العمومية الفرنسية للقيام بمهمة كشفية قادته من السنغال إلى الجزائر، بهدف دراسة إمكانية إقامة سكة حديدية عابرة للصحراء.¹

آخر هذه الرحلات رحلة بول أبلش التي كان هدفها دراسة آدرار بصفة عامة، و سبخة الجبل بصفة خاصة. إن المتتبع للرحلات الكشفية في موريتانيا يلاحظ أنها كانت طوابير متقدمة من القوات الفرنسية تحضر للاحتلال ليس إلا، فالمعلومات التي جمعها هؤلاء الرحالة هي عبارة عن معلومات استخباراتية، سواء تعلق الأمر بالمعلومات الطبيعية للبلاد التي كانت تشكل التضاريس عقبة أمام المواصلات، حيث درسوا هذه التضاريس بما فيها المناطق الجبلية بآدرار و تاكانت ومناطق الكثبان الرملية على طول الساحل، هذا فضلا عن دراسة هذه البعثات الكشفية لعادات سكان البلاد وتقاليدهم، وقيمهم ودينهم و مساكنهم بالإضافة إلى دراسة البيئة الاجتماعية. إهتم

¹ محمد الراضي ولد صدفن، المرجع السابق، ص41.

الرحالة بالإمكانات الاقتصادية للبلاد، كما مهدت الطريق أمام مشروع كبولاني الهادف إلى احتلال موريتانيا.¹ ويمكن تلخيص أهم البعثات الاستكشافية فيما يلي:

5-1- بعثة رافينل Raffenel:

وذلك لاستكشاف مناطق أعالي نهر السنغال و قد وضع نظريته في وجوب توجيه الأنظار إلى دواخل البلاد والربط بينها في "أطار" وبعد دراسة هذا الرأي اقترح لأداء تلك المهمة الكشفية إلى السنغالي ليبولد باني Leopold panet .

5-2- بعثة ليوبولد باني Léopold Panet (1850م)

هو سنغالي الأصل أرسل من قبل وزير البحرية والمستعمرات في مهمّة لعبور الصحراء من "سان لويس" إلى الجزائر²، و كان ملما نوعا ما باللهجة الحسانية و قد دعمته فرنسا للقيام بذلك. وقد استغرقت رحلته أربعة أشهر في المسافة بين سانت لويس إلى الصويرة (موغادور)، حيث قدم انطباعات عن عادات الموريتانيين، إلا أن قيمتها الجغرافية كانت قليلة بسبب مروره السريع و توقعه البعيد عن نطاق المياه على طريقة سكان البلاد، إضافة إلى صعوبة تسجيل مذكراته³، فقام بمحاولته الأولى سنة 1849 لكنها باءت بالفشل، و أعاد الكرة لكنه تعرض للنهب والإهانة ثم قرر تغيير وجهته عن طريق مدينة الصويرة المغربية.⁴

5-3- بعثة فيدهرب Faidherbe (1859م)

¹ نقيب سيدي محمد ولد حديد، مقتل منظر الحملة الفرنسية في موريتانيا كزافيي كبولاني (القصة الكاملة)، الإصدار

الأول، ص3

² Paul Marty , les Tribus de Haute Mauritanie , op.cit, p77.

³ فيج .جي.دي، المرجع السابق، ص302.

⁴ علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق ، ص36.

وهي بعثة للقيام باستكشاف أقاليم السودان الغربي غير المعروفة وخاصة موريتانيا من أجل إكمال المعلومات غير الكاملة التي يملكها حول الجغرافيا وأجناس وخيرات هذه الأوصاف. و تجدر الإشارة هنا إلى أن فيدهيرب كان مشغولا باكتشاف الشواطئ الموريتانية ، حيث كان يحلم بتجديد الدور القسّم لجزيرة آركين ، لهذا السبب نراه يكلف سنة 1859 م كلا من فيلكرند (Fahlcrand) و أوب (Aube)، بدراسة الجزيرة وكذلك خليج اليفريه .¹

4-5- بعثة فينسان Vincent : (1860م)

وهو التّقيب من القيادة العليا الذي كُلف بمهمّة استكشاف آدرار ، حيث في طريقه استكشف عدّة مناطق منها محلّة "محمد الحبيب" وقبيلة "العلب" و"توروت" و"ميناء هدى" و"آركين" ثمّ تابع سيره نحو الشمال الشرقي عابرا "تاريات" و"تيرس" حتّى وصل إلى التّقطة القصوى في الشمال، كما نلاحظ في سنة 1860 م أن الحكومة الفرنسية في السنغال قد كلفت الفرنسي فينسان Vincent برحلة استكشافية لمنطقة آدرار ، و بعد الموافقة النهائية على الرحلة خرج فينسان بصحبة أبو المقداد Bou el Mogdad في 5 مارس 1860 م ، عابرا نهر السنغال حتى وصل داجنا (Dagna) في 8 مارس 1860 حيث اتصل بأمير الترازة محمد الحبيب الذي أكرم ضيافته. قد يستنكر ذلك على الأمير محمد الحبيب لأنه خرج على مألوف بسطاء قبائل موريتانيا أو بالأحرى الأمراء ، فدأب الموريتانيين كان التنكيل بكل من يختلف عنهم في الدين زائرا ، ولا سيما إذا كان يحاول التعرف على عادات وتقاليدهم تلك القبائل خدمة للأهداف الاستعمارية. و يجب علينا أن نشير إلى أن الأمير محمد الحبيب سبق له و أن أخذ عهدا على نفسه من خلال معاهدات السلام المبرمة بينه و بين فرنسا بأن يحمي كل فرنسي يدخل مجاله الترابي بغض النظر عن نوع مهمته . ولعل اتخاذ أدلاء لفينسان ليوصلوه إلى قبيلة العلب التي

¹ الرائد جلييه، المصدر السابق ، ص ص 93-95.

قدمت له بدورها مرشدين من أجل مساعدته على أكمل رحلته , هو أكبر دليل على رغبته في احترام تلك المعاهدات.¹

وقد كان لهؤلاء الأدلاء الفضل في أن يتمكن فينسان في رحلته هذه من زيارة أطلال آركين وبورتنديك ورأس تميريس واختراق تيريس ، متجها صوب سبخة الجبل التي اكتشف أنها تمون مادة الملح لإقليم كل من آدرار، تكانت، تيشيت و ولاته...، و أن من يقوم باستخراجها هم أتباع سيدي محمد الكنتي الذين يملكونها.² كما زار "فينسان" كلا من ودان شنقيط ، إلا أنه لم يتمكن من دخول أطار عاصمة الإمارة . ويرجع ذلك لكون الأمير ولد عيده قد احتجزه لمدة 27 يوما بتهمة التجسس ، و ربما كان ذلك سببا في عرقلة، مشروع زيارته لمدينة تيشيت ، الشيء الذي اضطره إلى الرجوع إلى سان لويس، أين وجد مردخاي (Mardochee) الذي أمده بمعلومات عن آدرار.³

و يبدو من خلال هذه الحادثة أن معاهدات الحماية إن صحت تسميتها بهذا الاسم لم تؤت أكلها فبالإضافة إلى الحادثة المذكورة ، نلاحظ من ناحية أخرى أن فقهاء آدرار طلبوا من الأمير ولد عبده قتل "فينسان" و أفراد بعثته ، كما حاولوا تسميمه عندما رفض الأمير تلبية مطلبهم ، و نتيجة للأوضاع السابقة اضطر فينسان في 30 يونيو 1860 م للعودة إلى سان لويس، بيد أن رحلته رغم ذلك كله مهدت الطريق أمام فرنسا لمعرفة آدرار.

و على الرغم من ذلك أيضا فإن فينسان تمكن من جمع معلومات وفيرة عن آدرار ، لم يسبق لأوروبي أن جمعها وقد يكون لذلك دليله ، حيث كانت التقارير التي جمعها عن رحلته ذات

¹ Deschamps Hubert , op.cit , p 63 .

² الرائد جيليه، المصدر السابق، ص97.

³ مردخاي Mardochee: أبي سرور، ولد بعكا سنة 1826، حاخام ومستكشف مغربي، كان تاجرا خلال وجوده في تمبكتو ومراسلا للجمعية الجغرافية بباريس ودليل شارل دو فوكو (Charle de Foucauld) في المغرب. ينظر:

Bazin René, Charle de Foucauld Explorateur du Maroc Ermite Au Sahara, Librerie Plon, Paris, 1921 ,p108.

قيمة كبيرة حتى أن غورو (Gouraud) بعد خمسين عاما، استفاد من مذكرات فينسان واسترشد بها خلال حملته على آدرار سنة 1909 م.¹

5-5- بعثة "أبو المقداد"² (Bou El Mogdad):

اختار فيدهرب أبي المقداد كونه أحد الشخصيات التي لها تأثير قوي في إفريقيا الغربية، كما لاحظ الأهمية التي يوليها أهل البلاد لحجاج بيت الله الحرام و بما أن أهل سان لويس لم يهتموا بمحاولة الحج نظرا للمخاطر التي يتعرض لها الحاج³، أعطى فيدهرب كل التسهيلات لأبي المقداد من أجل تمكينه من الذهاب إلى مكة شريفة أن يكون الجزء الأول من رحلته على اليابسة إلى المغرب و أن يقوم بجمع المعلومات المتعلقة بالأرض و السكان، و بما أنه قد زار آدرار من قبل فهو مؤهل للقيام بهذه المهمة، إضافة إلى معرفته لغة و عادات الموريتانيين.⁴

غادر "سان لويس" السنغالية في 10 ديسمبر 1860م وسلك الشاطئ ومرّ بـ أنجاكو ثم مرّ قريبا من ميناء هدى وواصل سيره وفي كلّ مرة ينزل بمنطقة حتّى وصل إلى الساقية الحمراء، وكانت وجهته المغرب لاستكشاف هذه المنطقة الواقعة بين السنغال والمغرب، و بعد رحلة دامت 52 يوما وصل إلى اكلميم، حيث نبه على أهميته كمركز تجاري و رغبة تكنه في إقامة علاقات تجارية مع الأوربيين، و إنشاء مركز تجاري أوروبي بها تحت رغبة شيخ هذا الإقليم، ثم اتجه نحو أغادير و بفضل إتقانه اللغة العربية استطاع أن يجمع معلومات مهمة عن البلاد التي زارها.

5-6- بعثة بورال (Burrel):

¹ Paul Marty , *les Tribus de Haute Mauritanie* , op.cit, p23.

² بو المقداد **Bou El Mogdad**: ولد الحاج بو المقداد سيك بسانت لويس سنة 1826م، المترجم العم للقوات المسلحة و مستشار ولاة الإدارة الاستعمارية في السنغال، توفي سنة 1880م. ينظر:

Martin-Saint-Jean-Yves, *op.cit* ,pp 269-270.

³ الرائد جليليه، المصدر السابق، ص- ص 100 - 104 .

⁴ Hadir Aidara abdoul , Saint-Louis du Sénégal d'hier à aujourd'hui ,Grandvaux, Paris, 2004 , p108.

هذا ضابط بحرية فرنسي تم تكليفه لاستكشاف أرض البراكنة حيث اكتشف بحيرة "آلاك" من خلال تسهيلات مقدمة من طرف أمير البراكنة، وتعرف على مختلف الأودية التي تنحدر من جبال تكانت، واتجه نحو الشرق واستكشف عدّة مناطق إلى أن وصل إلى نقطة البدء. وفي سنة 1860 م، قام بمرافقة صال (Alioun Sall) برحلة إلى البراكنة التي كانت قد درست من خلال الرحلة التي قام بها رينيه كاييه (René Caille). بيد أن المعلومات التي قدمها هذا الأخير كانت ناقصة فالأوضاع الجغرافية التي قدمها لهم لم تكن دقيقة، وخاصة فيما يتعلق ببحيرة آلاك التي ظلت المعلومات حولها مبهمة.

ولهذا السبب، كلف بورال برحلة إلى منطقة البراكنة ليقدم عنها وخاصة بحيرة آلاك معلومات أكثر دقة، كما أن هذه الرحلة كانت تهدف في أحد جوانبها إلى ربط كل من رحلة فينسان التي قام بها إلى منطقة الترازرة بتلك التي قام بها ماج إلى منطقة تكانت.¹

وعلى الرغم من الصعوبات التي اعترضت بورال، فقد تمكن من إنجاز مهمته، حيث نراه يكشف ذلك الغموض الذي كان يحيط بالموقع الجغرافي لبحيرة آلاك، إذا استطاع تقديم وصف أكثر دقة من الذي قدمه رينيه كاييه.

و في إطار تلك الرحلات أيضا نلاحظ أن أليون صال مرافق بورال في رحلته، قد حصل على موافقة الحاكم الفرنسي في السنغال للقيام برحلة بمفرده.

و يبدو أن هذه الرحلة كان هدفها تكملة رحلة بورل، كما أنها أيضا تدخل في إطار الرحلات الاستكشافية الفرنسية الرامية إلى الحصول على المزيد من المعلومات عن عادات و تقاليد المجتمع الموريتاني و ظروف البلاد اقتصاديا وجغرافيا، و قد بلغ أليون صال رحلته هذه مدينة توات Touat المغربية قادما من تمبكتو مرورا بالجزائر.

¹ الرائد جيليه، المصدر السابق، ص 105.

و خلال الشهور التي قضاها "أليون صال" في البراكنة التقى بعض القبائل واحتك بها ، ومن ثم اتجه صوب تكانت حيث إمارة إدوعيش ، لكنه واجه كثير من الصعوبات ، منها أنه لم يكن لينجو من بأس الأمير بكار ، مع أن أليون صال أكد للأمير أنه غادر الخدمة مع الفرنسيين و أنه في طريقه من مكة حيث كان يؤدي فريضة الحج. بيد أن ذلك لم يشفع له ، حيث اتخذ بكار رهينة لديه و لم يستطع مغادرة تكانت إلا بعد أن سافر بكار إلى آدرار لمساندة ترشيح الابن الأكبر لولده "عيده" بعد وفاة والده ، و نتيجة لذلك استطاع أليون صال مغادرة تكانت حيث التقى في طريقه بإحدى القبائل الصحراوية التي طافت به على منطقة الرقية Rgueiba ، وقد شملت هذه الرحلة مناطق عديدة لم تكن فرنسا تعرف عنها إلا الشيء اليسير.¹

5-7- بعثة ماج Mage Biosonkey:

تم تكليف ضابط البحرية "ماج بيسونكي" بمهمة دراسة إقليم تكانت، ففي سنة 1859م غادر باقل (Pagel) قاصدا تكانت ليتجه إلى أمير إدوعيش، و قبل أن يبدأ ماج رحلته تمكن من رسم خريطة المناطق التي يود زيارتها أو المرور بها محمدا على تلك الخريطة الوضع الجغرافي لهذه المناطق ، إلى جانب تحديد نقاط المياه و القمم المهمة²، و من ثمة قام بدراسة المناطق التي مر بها³، حيث لاحظ أهمية تكانت التجارية في المواشي و الصمغ، و أعطى صفات حول الموريتانيين حيث وصفهم بالجنباء و اللصوص، و رأى بأنهم متمردون أخلاقيا.⁴

و قد تعرف ماج خلال هذه الرحلة على بعض القبائل الموريتانية ، كما التقى بكار ولد أسويد أحمد أمير تكانت الذي كان يحسب ماج موفدا من فرنسا من أجل تنظيم العلاقات بين

¹ فيج.جي.دي ، المرجع السابق، ص 312.

² محمد عبد الرحمن بن عمار ، المرجع السابق، ص 01.

³ Martin-Saint-Jean-Yves, Un centenaire oublié, Eugène-Abdon Mage (1837-1869), RFHOM , Vol 57, N 207, Paris ,p 143.

⁴ Abdallah Ould Khalifa, La région du Tagant en Mauritanie L'oasis Tijigja entre 1660 et 1960, Karthala, Paris, 1998, p143.

الطرفين حيث طلب منه إعادة جباية الضرائب القديمة، غير أن ماج عبر للأمير بكار عن عدم إيكاله أمورا كهذه، في حين أنه على استعداد لأن يشعر حكومته بذلك، كما التقى ماج بالشيخ سيد أحمد البكاي.

5-8- بعثة بول¹ Baul Soleillet : (1879م)

في 1879م قام "بول" برحلة من سانت لويس إلى الجزائر عبر آدرار، و قد تمكن من تجاوز إقليم الترازو و أولاد دليم إلا أنه أسر و أرغم على العودة إلى سانت لويس، وبعودته إلى باريس تم تكليفه بمهمة جديدة فركب نحو سانت لويس و مكث بالترازو حوالي ثلاث أسابيع و أرغم بعدها على العودة، حيث أنه لم يستطع إتمام مشروع رحلته الصحراوية، بالرغم من دخوله إلى موريتانيا عدة مرات قدرت بأربعة محاولات، إلا أن بول تمكن من جمع وثائق مهمة حول هذا القطر.²

5-9- بعثة كاميل دول³ (Camille Douls) : (1887م)

¹ Baul Soleillet : ولد في نيم 29 أبريل 1842 بفرنسا، قام برحلة إلى الصحراء الجزائرية سنة 1871م و أكد على فكرة السكة الحديدية، زار السنغال بين سنتي 1878-1880، توفي في 10 سبتمبر 1886م. ينظر:

Jacques Valette, **Pénétration française au Sahara et exploration-le cas de Paul Soleillet**, RFHOM, Vol 67, N° 248-249, Paris, 1980, pp253-254.

² Gabriel Gravier, **Voyage de Paul Soleillet à l'Adrar décembre 1879-mai 1880**, Nabu Press, Paris, 2010, p06.

³ : كاميل دول Camille Douls مستكشف فرنسي من مواليد 18 أكتوبر 1864 بفرنسا، جاب الصحراء وشمال أفريقيا واخترق الصحراء الغربية في وقت تم إغلاق المنطقة للأجانب الذين يعيشون بين السكان المغاربة ، توفي 6 فبراير 1889. ينظر :

Albert Roussanne, **L'homme suiveur de nuages :Camille Douls, Saharien 1864-1889**, E. du Rouergue, Paris, 1991, p05.

في سنة 1887م بدأ كاميل دول رحلته الأولى بموريتانيا، متظاهرا بأنه رجل حكم مسلم حيث تمكن من مراقبة أسلوب عيش هؤلاء البدو، و حصل على مقتطفات مهمة من الوثائق حول طباعهم وأخلاقهم و عاداتهم، لكنه لم يحصل إلا على القليل من الوثائق العلمية.¹

بعد عودته إلى فرنسا وضع تصورا لرحلته الثانية، و قام بتنفيذ مشروع رحلة جديدة يعبر فيها المغرب و يمضي إلى تمبكتو و يعود عن طريق السنغال، و كل هذا من خلال تنكره في زي مسلم إلا أنه لم يكمل مشروعه الجديد، ذلك أن خُفق من طرف رفقائه و أدلائه، وفي السنة نفسها كلفت الحكومة الفرنسية سولي (Charles Soller) القيام بمهمة إلى المغرب وعلى الشواطئ الموريتانية حيث جاب كل من واد نون وأرغين لدراسة هذه النقاط لأغراض تجارية.²

5-10- بعثة فولكرون Fulcrand:

هو نقيب هندسة أرسل رفقة الملازم Anbe لاستكشاف جزيرة "آرغين" ودراسة الرأس المجاور لها المسمى Bais du Lévrier.³

5-11- بعثة فايبر Léon Fabert: (1891م)

كلفت بمهمة في بلاد الترازو من طرف حاكم السنغال، فبدأ سلسلة من خمس رحلات استكشافية في موريتانيا الجنوبية فقام بدراسة ناحية أفطوط الساحلي و المستنقعات الموجودة فيه.

5-12- بعثة دوني Gaston Doneet: (1894م)

كلف المستكشف "ليون فايبر" في سنة 1894م من طرف وزير المستعمرات في مهمة التعرف على آدرار وإذا أمكن أن يصل إلى المغرب مرورا بالترازو ثم بإقاليم اولاد أبي السباع واولاد دليم، وبوادي الذهب، لكنها لم تنجح نظرا لنهب هذه القافلة.¹

¹ Camille Douls, Voyage d'exploration à travers le Sahara occidental et le sud marocain-in Bulletin de la Société de géographie-,7^{eme} S, T.9, Société de Géographie, Paris, 1889,pp437-439.

² الرائد جليليه ، المصدر السابق، ص 117 .

³ فيج.جي.دي ، المرجع السابق، ص 314.

5-13- بعثة كبولاني Coppolani : (1899م)

كم ذكرنا سابقا كلف حاكم السودان الفرنسي كزافيي كبولاني (Xavier Coppolani) بمهمة التفاوض مع قبائل البيضان (القبائل الموريتانية) و الطوارق² القاطنين شمال السودان الفرنسي، والقيام بدراساتهم من وجهة النظر السياسية، الدينية وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلمية، وقد تم تدعيم هذه البعثة ماليا من طرف الحكومة الفرنسية العامة بالجزائر.³

5-14- بعثة بلانشي Blanchet :

في سنة 1900م أرسلت بعثة علمية بقيادة "بلانشي"⁴، حيث ضمت البعثة كلا من الدكتور في العلوم **Gouinot Gambetta** و الجيولوجي **M.M.Deriens** و الترجمان أبو المقداد و عشرون قناصا، وتهدف هذه البعثة إلى دراسة التّواحي الملحية في سبخة الجبل والمنخفضات المجاورة، وتمكنوا من استكشاف ناحية بيبواك (**Biboikh**) المليئة بالملح⁵، إلا أنهم

¹ الرائد جيلبيه ، المصدر السابق ، ص 118.

² الطوارق: في الصحراء الوسطى، بدو يرعون الجمال و يقطنون شمال منحى نهر النيجر ومنطقة جزمة الداخلة فيه، لهم نظام طبقي يقسم القبيلة إلى نبلاء وتوابع و عشائر خاضعة لنظم دينية وعبيد سود وطبقة أصحاب الحرف تماما كقبائل البربر.

للمزيد ينظر: علي سلمان علي بدوي، المرجع السابق، ص4

³ الرائد جيلبيه ، المصدر السابق، ص126 .

⁴ David Robinson , **Sociétés musulmanes et pouvoir colonial français au Sénégal et en Mauritanie 1880 – 1920**, Karthala, Paris, 2004, p274.

⁵ La rédaction , **Mission Blanchet dans le Sahara**, AG, Vol 09, N°46, Paris, 1900, p376.

لم يتمكنوا من مواصلة رحلتهم نظرا لما تعرضوا له من هجومات من طرف سكان آدرار، فكان عليهم العودة إلى سانت لويس قبل إتمام مهمتهم¹، وكانت هذه آخر بعثة على حسب قول "جلييه": «...وأخيرا، وقبل احتلالنا لموريتانيا تم إرسال بعثة علمية بقيادة بلانشي...»².

كما عرفت سنة 1860 بالإضافة إلى الرحلات السالفة الذكر رحلات استكشافية أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها، وإن كانت هذه وتلك ترمي اكتشاف المناطق المجهولة من موريتانيا في حين تتحدث أهمية هذه أو تلك بقدر الاستفادة من المعلومات التي توصلت إليها كل منهما، ومن هنا تتساوى النتيجة، فرواد كل الرحلات التي اخترقت الأراضي الموريتانية، قدموا معلومات أفادت من جاء من بعدهم.

و من المعلومات المتحصل عليها من هذه الرحلات الاستكشافية، استطاعت فرنسا أن تعمل سجلا بالفوائد التي يمكن أن تعود عليها من موريتانيا، غير أن هذه الرحلات كشفت من ناحية أخرى النقاب عن بلد غريب من الناحية الطبيعية أكثر منه من الناحية البشرية، في حين أن هذه الرحلات لم تدع الشك يراود فرنسا من جديد، حيث كان يخيل إليها أن موريتانيا مساحات قاحلة جرداء، ذلك التصور الذي كان من الممكن أن يستمر في خيال الفرنسيين لفترة زمنية طويلة³.

لكن تبقى أهم هذه الشخصيات الاستكشافية هو كبولاني الذي كان على دراية بأحوال المسلمين في موريتانيا و قد أتقن اللغة العربية واطّلع على العادات والتقاليد الإسلامية، ويمكننا القول أنّ كبولاني هو أوّل من مهّد للسيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية بفضل تعامله معهم، بل مهّد أيضا للاحتلال الفرنسي لموريتانيا، حيث كانت مهمته التي أنجزها من خلال بعثته إلى

¹ محمد سعيد بن همدى: المرجع السابق، ص 26.

² ينظر: الرائد جيليه، المصدر السابق، ص 119.

³ محمد المختار ولد السعد، المرجع السابق، ص 259-260.

بلاد شنقيط لفرض السلم في البيضان، هي اللبنة الأساسية لمشروع فرض الحماية الفرنسية على موريتانيا ، من خلال مشروعه الذي تقدم به لوزارة المستعمرات الفرنسية.¹

¹ إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 195-196.

الفصل الرابع

كبولاني والاستعمار الفرنسي في موريتانيا

1-موريتانيا قبيل الحماية الفرنسية.

2-كبولاني و الاحتلال الفرنسي في موريتانيا.

3-فرض الحماية على موريتانيا.

4-مقتل كبولاني.

5-السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا بعد كبولاني.

1- موريتانيا قبيل الحماية الفرنسية:

1-1 أوضاع القبائل الموريتانية:

كانت منطقة بلاد البيضان مكونة من خمسة إمارات محلية تأسست في حوالي القرن 17م ككيانات سياسية مستقلة في نطاقات جغرافية محددة، منها الترازو والبراكنة وأدرار وتكانت والحوض¹، وتميزت هذه الإمارات بعدم وجود سلطة مركزية حيث كانت تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية، و قد اتسمت العلاقة بين هذه الإمارات بالعداء والتوتر وكثرة الحروب، حيث كانت كل واحدة تسعى للحفاظ على نفوذها في المنطقة.²

بعد أن سيطرت فرنسا على السنغال وخلال هذه المرحلة التي استقرت فيها نهائيا ، منذ ذلك الوقت أصبح الفرنسيون في سان لويس هم الجيران المقربون للقبائل الموريتانية، باتخاذهم من مدينة سان لويس مركزا لقيادتها للتوسع الاستعماري في المنطقة، حيث تعاضم الوجود الفرنسي منذ تأسيس هذه الأخيرة، بدرجة أنها أصبحت مقرا للحكم الفرنسي للبلاد³، حيث أرادت أن تستفيد من وضعيتها الممتازة على حدود بلاد البيضان ، لتتمكن من احتكار استغلال موارد هذا البلد وخاصة الصمغ، خاصة و أن الإمارات الموريتانية كان لها دور كبير في ازدهار التجارة في الصحراء، كما اشتهرت أيضا بمقاومتها الشديدة للتدخل الأجنبي بمحاربة مشاريعه ومنشآته الاستعمارية.⁴

¹ خليل النحوي ، المصدر السابق ، ص 22.

² إلهام محمد علي الذهني ، المرجع السابق ، ص 58.

³ علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص 35.

⁴ إلهام محمد علي الذهني ، المرجع السابق ، ص 58.

بدأ الحضور الفرنسي تجاريا قبل أن يتطور ليصبح التدخل المباشر، خاصة أمور السكان ومن ثم فرض هيمنتهم عليهم و خاصة عن طريق المعاملات التجارية مع الأمراء و المشايخ¹ ، فهذه الأرض كانت لا تزال مجهولة لدى الفرنسيين، خاصة و أنها عاشت فترة طويلة من عدم الاستقرار تحت تأثير مجموعة من العوامل التي فرضت عليها نوعا من العزلة و الانغلاق منعها من التفاعل والتأثر بما حولها² ، و من بين هذه العوامل:

- عدم وجود سلطة مركزية تضبط حدود البلاد الموريتانية بشكل دقيق نظرا للانقسام السياسي للبلاد بين خمس إمارات محلية، شكلت كل منها كيانا سياسيا مستقلا له امتداده الجغرافي المتعارف عليه .

- ضعف المؤسسات الأهلية وانغلاق كل منها على نفسها، انغلاقا اجتماعيا و وظيفيا رغم تعددها.

- الانطواء و قلة الاتصال بالعام الخارجي بشكل لا يسمح لها بالاستفادة من المتغيرات الخارجية، و لهذا ظلت موريتانيا بعيدة عن التأثيرات التي توقظ الشعور الوطني، وتسمح بنضج القضية الوطنية حيث ظل تعدد الولاءات هو العائق الكبير أمام الانتعاش و الشعور بالحس الوطني ، فالأمير لا تهمه إلا إمارته و شيخ الطريقة الصوفية لا يهتم إلا بمريدي الطريقة و المتعاطفين معها، و بنفس الطريقة كان اهتمام شيخ القبيلة منصب على أفراد قبيلته ، خاصة منهم الذين يدينون له بالولاء، فقد ظلت هذه المؤسسات الأهلية (الأمراء- شيوخ الطرق- شيوخ القبائل) تحكم علاقاتها المصالح الآنية و التي تركز في نفس الوقت الصراعات فيما بينها، حيث لم يبقى شيء يجمعها إلا الولاء الإسلامي الذي يفتقر إلى قطب يوحد جهودها، و هو الدور الذي ستحاول أن تلعبه الطرق الصوفية، لتوحيد الجهود المحلية في وجه الهيمنة الفرنسية ، تحت شعار الجهاد الإسلامي

¹ علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص34.

² محمد الراضي ولد صدفن، المرجع السابق ، ص13.

خاصة بعدما فشلت جهود الدفاع عن الإمارات، نظرا للاستهلاك من قبل في المواجهات مع الإمارات الأخرى.¹

كانت العلاقات التجارية الفرنسية مع السكان المحليين في هذا البلد، ليست دائما بلا مشاكل ونزاعات، فالعمليات العسكرية لم يكن لها هدف سوى المحافظة على مصالحها في الضفة اليسرى من نهر السنغال² ضد العمليات القادمة من الشمال. لكن فرنسا المشغولة بأمر أخرى آنذاك لا تريد الحصول على موطن قدم في الضفة اليمنى للنهر، لكنها حاولت في نفس الوقت القيام بعمليات الاستكشاف المنهجي لموريتانيا بهدف وضع قوائم بموارد البلد الطبيعية، لهذا الغرض بدأ الفرنسيون تحديد علاقتهم مع كل طرف، حسب وضعية كل واحد منها بغية إجهادها أولا ثم استغلالها ثانيا لصالح الهيمنة الجديدة، فاتبعوا في ذلك سياسة الإبقاء على الهياكل الصورية للمؤسسات، وتحطيم أي تعارض منها مع الأهداف الجديدة، و تفضيل ما يخدم السياسة الفرنسية في دورها التوسعي، لذا تميزت علاقتهم بهذه المؤسسات بالنشاط تارة و الجمود تارة أخرى.³

1-2- العلاقات الفرنسية بالقبائل الموريتانية قبيل الاحتلال:

باستعادة فرنسا لمراكزها في السنغال عقب معاهدة باريس 1814م، عاد التجار الفرنسيون لاستئناف نشاطهم التجاري، و لكنهم وجدوا أن القبائل الموريتانية قد وصلت من الضفة اليسرى

¹ علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص40.

² نهر السنغال: وقد سماه البكري بنهر السودان، وهو ينبع من هضبة الفوتاجلون وهو نفس منبع نهر النيجر، حيث يتجه شمالا إلى أراضي غينيا ونيجيريا ثم غربا في السنغال التي تضم أغلب أجزائه و يصب في المحيط الأطلسي ويتميز مجراه بالانحدار التدريجي في المنطقة الساحلية وهو قليل العمق حيث لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة 350 كم من المصب. ينظر: أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك (المغرب في ذكر إفريقيا و المغرب)، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص182. ينظر أيضا: عبد القادر مصطفى الحيشي و آخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط1، دار الجماهيرية، ليبيا، 2000، ص159.

³ علي بدوي علي سلمان، المرجع السابق، ص41.

لنهر السنغال إلى منطقة "أوالو"، حيث احتكرت التجارة و رفضت السماح للفرنسيين بإنشاء مراكز أو وكالات في هذه المنطقة كما رفضوا قبول ممثلين أو مندوبين فرنسيين في بلادهم ، لذلك كان على التجار الفرنسيين تأمين تجارتهم حتى و لو أدى ذلك إلى دفع الإتاوات للقبائل الموريتانية وخاصة قبائل الترازو الذين كان لهم نفوذ على مسلمي السنغال، لذلك أبرمت فرنسا الكثير من المعاهدات مع القبائل الموريتانية تفاديا لتدهور تجارة الصمغ والمنافسة الأوربية خاصة الإنجليزية¹، حيث عقدت بين الطرفين خاصة مع ملك أوالو والتي تنص على دفع فرنسا مبلغا سنويا للملك مقابل السماح للتجار الفرنسيين بممارسة نشاطهم ، بالإضافة إلى عقد معاهدة أخرى مع زعماء البراكنة والترازو² مؤكدة فيها على عدم التدخل في شؤونها الداخلية واعترافها بأحققتها على أوالو، في المقابل تتعهد الترازو بالسماح وحماية المشاريع الزراعية التي تنشأ على ضفتي النهر.³

لقد بنيت العلاقة بين الفرنسيين وحكام الإمارات الموريتانية على أساس أن الأمراء هم سادة الأرض، و أن الفرنسيين تجار يدفعون رسوما جمركية للأمراء من أجل تأمين التبادل التجاري، وقد تطورت هذه الضرائب مع الزمن وتنوعت وازدادت كما وكيفا حتى أصبحت تشكل العمود الفقري لاقتصاد الإمارات المحاذية لنهر السنغال ، قبل أن يطرأ عليها تحول في دلالاتها حيث تحولت من رسوم مستحقة إلى مكافأة من الفرنسيين للأمراء ، و ورقة رائجة في يد الإداريين الفرنسيين للضغط و إخضاع الأمراء لشروطهم، فأصبحوا يدفعونها لمن يرضيهم من و يمنعونها عن خصومهم . وهكذا شيئا فشيئا أصبحت كافة النظم الأميرية في نهاية القرن 19م، تتمحور حول هذه الضرائب إذ كان التنافس عليها من قبل الأمراء السبب الرئيسي في كل الحروب، كما كان الدافع الخفي وراء أغلب

¹ إلهام محمد علي الذهني ، المرجع السابق ، ص188.

² الرائد جليليه، المصدر السابق، ص62.

³ Hanoutaux Gabriel ,Martineau Alfred ,**Histoire des Colonies Française et de l'Expansion de la France dans le monde**, T4, Librairie Plon, Paris ,1929,p94.

النزاعات بين أفراد الأسرة الأميرية الواحدة ، بغية استثثار كل فرد منها بحصة الأسد ، إذ اتخذ منها الفرنسيون وسيلة لتغذية الصراعات الداخلية و تمكنوا من التسرب للتحكم في النظام الأميري .¹

تدعيما لسياسة حسن الجوار، توالى المعاهدات الفرنسية مع القبائل الموريتانية خاصة في الفترة الممتدة بين 1824-1832م، والتي توضح حقيقة واحدة هي حرص فرنسا على مهادنة القبائل لتوفير الحماية للتجار والمستكشفين، الذين منحتهم الحماية التامة بغية جمع الكم الهائل من المعلومات فيما يتعلق بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية لأغراض خفية كانت تصبوا إليها فرنسا.²

إن الاهتمام الكبير لحكام السنغال الجدد ، كان منصبا على عقد المعاهدات مع القبائل الموريتانية ، حيث سعى كل حاكم جديد إلى الاتفاق مع هذه القبائل وإرضائها بمجرد تقلده منصب الحكم ، و على الرغم من جهود حكام السنغال و التجار الفرنسيين إلا أنهم اصطدموا بالقبائل الموريتانية بسبب التنافس على منطقة أوالو التي اعتبرتها القبائل الموريتانية ضمن مناطق نفوذها ، ففي سنة 1832م تزوج أمير الترازو "محمد لحبيب" من وريثة منطقة أوالو "جمبت"³ وبالتالي أصبح للترازو نفوذ على الضفة الأخرى من نهر السنغال ، و اقتربوا من المراكز الفرنسية و كان هدف حكام السنغال و التجار الفرنسيين يتلخص في إبعاد الترازو عن منطقة أوالو بأي شكل من الأشكال ، لكن ذلك لم يكن سهلا فاضطروا لمهادنتها بقبول دفع الإتاوات و منحهم الهدايا السنوية، ففي 31 ماي 1832 عقدت معاهدة سلام بين الترازو و حاكم السنغال مقابل مكافأة سخية قدمها هذا الأخير لأمير الترازو ، و جاء فيها ما يلي⁴ :

- أن يلتزم أمير الترازو بحماية التجارة في المنطقة.

¹ علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص41.

² Poulet Georges, Les Maures de L'Afrique Occidentale Française, Librerie Maritime et coloniale, Paris,1904,p152.

³ Hanoutaux Gabriel ,Martineau Alfred , **op.cit**, p101.

⁴ إلهام محمد علي الذهني ، المرجع السابق ، ص190.

- منع رعايا الأمير من فرض إتاوات على التجار الفرنسيين .
- التعهد بعدم إجبار و تكليف التجار الفرنسيين بدفع غرامة مالية مقابل شراء الصمغ .
- على الأمير حماية جميع الأماكن التي تقع فيها المراكز التجارية و معاقبة كل من يحاول الاعتداء عليها.¹

ولعل أول حاكم فرنسي اتخذ سياسة أكثر حزما في المنطقة ضد الموريتانيين هو "بويه ويلوميه" (Bouet Willaumez)² فمنذ عام 1844م بدأ في صد هجمات القبائل الموريتانية بعد تكرار شكاوي التجار الفرنسيين منهم³، وكانت سياسته هذه بموافقة البرلمان الفرنسي الذي خشى تزايد نفوذ هؤلاء التجار خاصة بعد أن تعددت شكاويهم، فقرر إنشاء حصن في "أوالو" وآخر في "فوتا" بغية حماية التجار الفرنسيين و على إثره شنت القبائل الموريتانية هجوما على مستعمرة السنغال، و ظل الحال على ما هو عليه حتى مجيء "فيدرب" (Faidherbe) حاكما على السنغال سنة 1854م، و قد أجمع المؤرخون أنه أول حاكم فرنسي حقق لفرنسا أطماعها التوسعية في غرب إفريقيا، و جاء تعيين الجنرال فيدرب بعد فترة من الاضطرابات التي شهدتها فرنسا حيث وضع سياسة عامة للتوسع بأساليب مختلفة معتمدا على الحرب و السلم و أول عمل قام به هو تأمين حدود المستعمرة خاصة ضد هجومات القبائل الموريتانية من الجهة الشمالي، والتكرور من الجهة الشرقية وبحسب هذه السياسة وقع صدام بين القوى المحلية والجنرال فيدرب⁴، حيث لاحظ بعد تعيينه أن الخطر بدأ يهدد المستعمرة الأم خاصة من جهة الشمال والتي وصلت

¹ صلاح العقاد و آخرون ، المرجع السابق ، ص40.

² بويه ويلوميه (Bouet Willaumez) : ولد لويس إدوارد بويه سنة 1808م في بريست بفرنسا، كان مجندا في شعبة البحرية في جنوب المحيط الأطلسي ، عين محافظا للسنغال عام 1842م، توفي سنة 1871م. ينظر:

Morel Gérard, Jean-Rémi Bessieux et le Gabon- La fondation de l'Eglise catholique à travers sa correspondance 1803-1849, T1, Karthala, Paris,2007,p161.

³ إلهام محمد علي الذهني ، المرجع السابق ، ص191.

⁴ Gaston Sonnet, **Sahara et Soudan**, imp Goseph Kugelnaun ,1880 ,p12.

في هجومها حتى سان لويس مقر المستعمرة، فوجه جهوده للقضاء عليها فاستعمل القوة لإخضاع هذه القبائل و قد واجه خطرا آخر تمثل في مقاومة "الحاج عمر"¹ زعيم التكرور الذي ذاع صيته من جهة شرق السنغال وتهديدات مابا (Maba)² على الساحل³، فخشي تحالف قوى المسلمين في المنطقة خاصة وأن كلا منها أعلن الجهاد ضد الفرنسيين و ألهب حماس السكان وزاد أتباعهم بدرجة كبيرة⁴، لذلك رأى فيدرب ضرورة القضاء على هذه القوى قبل أن تتاح لها فرصة التعاون ضد الفرنسيين وتعرقل المشاريع الفرنسية بالمنطقة⁵، فقرر انتهاج سياسة جديدة اتجه الموريتانيون، حيث أعلن عن حرية التجارة بمنطقة أوالو و ألغى كافة الإتاوات بها وقام بتحذير

¹ الحاج عمر :هو الحاج عمر طال ولد سنة 1797م بقرية "ألوار" في "فوتا تورو" وهي منطقة تقع في الشمال الشرقي لجمهورية السنغال وجنوب موريتانيا، تزعم حركة الجهاد ضد الوثنيين بالتكرور واستطاع أن يكون إمبراطورية امتدت إلى أعالي السنغال. ينظر:

Hogben .S.J., An Introduction To The History Of The States Of Northern Nigeria, Oxford University Press, Great Britain, 1967, p 60.

² مابا Maba : هو مابا جاخو نيدويوجا ، يعرف كذلك بمابه او ماباه Mabah، حماه باه أو حاما باه Hamah Bah، ولد سنة 1809م بسنغامبيا (غامبيا الحالية)، تزعم حركة الجهاد بغربي افريقية في منتصف القرن 19م، توفي سنة 1867م ينظر:

Alison Queen Charlotte, Maba Diakho and The Gambian Jihàd 1850-1890, Studies in West African Islamic history – The Cultivators of Islam, Vol 02, Routedge, Great Britain, 1979, pp233-237.

³ أحمد مهدي رزق الله، حركة الشيخ مابا جاخو الإسلامية الإصلاحية الجهادية ودورها في الحياة الإسلامية بغربي إفريقيا (1850-1890)، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، مج 12، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000، ص 44.

⁴ محمود السيد الدغيم، الواحة، جريدة الحياة، مركز معلومات دار الحياة، ع 15538، بيروت، الأحد 13 رمضان 1426 هـ/ أكتوبر 2005، ص 16.

⁵ علي يعقوب، الدولة الإمامية في (فوتا تورو) ودورها في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، مجلة قراءات افريقية، المنتدى الإسلامي، ع 09، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب -رمضان 1432 هـ /جويلية -سبتمبر 2011، ص12

محمد الحبيب من الدخول في الضفة الجنوبية من النهر¹، لكن الموريتانيين قاموا بعبور النهر والسطو على ممتلكات التجار بها، مما أثر على اقتصاد و تجارة السنغال²، فقام فيدرب بمطاردتهم وتمكن من إخضاع أوالو وتعيين شيخ جديد لها يخدم مصالح فرنسا بالمنطقة الأمر الذي دفع بمحمد الحبيب أن يرسل في طلب السلم إلى فيدرب و العيش بسلام شريطة زيادة الرسوم حيث ذهب بنفسه إلى سان لويس لتأكيد حسن نواياه لكن فيدرب رفض ذلك، ومن ثم عمل محمد الحبيب على منع السفن الحربية من الإبحار في نهر السنغال فشن الهجمات عليها و أرسل يهدد بتدمير الحصون الفرنسية، مما دفع ب فيدرب بإرسال قوة عسكرية إلى محمد الحبيب نجحت في دحر خطر التراززة و إبعادهم عن النهر³، و قد حاول محمد الحبيب التفاوض مرة أخرى مع فيدرب بعد إدراكه مدى شراسة و قوة الفرنسيين ، فأرسل بشروطه التي تمثلت في النقاط التالية⁴ :

- زيادة الضرائب السنوية التي تدفعها فرنسا للقبائل الموريتانية.
- هدم الحصون الفرنسية التي أقيمت على نهر السنغال.
- تعهد الفرنسيين بعدم إنشاء أية منشآت جديدة مقابل تزويد الفرنسيين بالماء والأخشاب.

تجدر الإشارة إلى أن فيدرب لم يوافق على شروط أمير التراززة الذي استمر في غاراته على المنطقة⁵ ، ففي 1855م شن محمد الحبيب هجوما عنيفا على السنغال ووصل إلى القرب من سان لويس واستمرت هجماته حتى 1857م أين نجح فيدرب في إلحاق الهزيمة به، وقد أرهبت

¹ الرائد جلييه، المصدر السابق، ص 7 .

² Hubert Deschamps, **Histoire Général de l'Afrique Noire de Madagascar et les des archipels (de 1800 à nos jours)**, T 2, Bordas, Paris,1973, p 60.

³ Klein Martin.A, **Breaking the Chains - Slavery, Bondage and Emancipation in Modern Africa and Asia-**, Library of Congress Cataloging-in Publication Data, U.S.A, 1993, p 167.

⁴ إلهام محمد علي ذهني، المرجع سابق، ص 86 .

⁵ الرائد جلييه، المصدر السابق، ص ص 76 - 77.

هذه الهزائم بقية القبائل الموريتانية، حيث وقع أمير قبيلة ادوعيش معاهدة مع الفرنسيين في أول نوفمبر 1857 م ومنها حدد فيدرب أماكن بيع الصمغ و قصره على الوكالات التجارية الفرنسية فقط، وتلت هذه المعاهدة معاهدة أخرى مع قبائل أولاد علي الذين كانوا يسيطرون على المنطقة الواقعة بين سلدية¹ (Saldé) و كيدي (Kaedi).²

أما بالنسبة للترارزة فعلى الرغم من هزيمة محمد الحبيب إلا أنه في 1858 م استعد لمهاجمة الفرنسيين مرة أخرى، و ساعده في ذلك أن الحاج عمر بدأ في إثارة الفوضى بأعالي السنغال، واقترح هذا الأخير على محمد الحبيب التعاون معه لمحاربة الفرنسيين المسيحيين، لكن فيدرب سارع بمعالجة الموقف قبل استفحاله فعقد معاهدة مع محمد الحبيب ، الذي تعهد بعدم عبور قبيلته لنهر السنغال وهي مسلحة³، وعدم مهاجمة الضفة اليسرى لنهر السنغال، كما وافق على احترام التجارة الفرنسية والاعتراف بالحماية الفرنسية على أوالو و تدعيم العلاقات بين الطرفين مع عدم اعتراض طرق التجارة على الأسواق وفي المقابل تتعهد فرنسا بدفع مبلغ سنوي له.⁴

كانت المعاهدة التي أبرمها أمير الترارزة محمد الحبيب مع الحاكم الفرنسي فيدرب سببا في اغتياله سنة 1860 م، حيث قام أبناء إخوته بقتله، فقام ابنه البكر « سيدي "بقتل القتلة من

¹ Saldé: قرية تقع في الجهة الشمالية الشرقية لنهر السنغال بمنطقة سان لويس. ينظر:

Borius.A, Les Maladies de Sénégal-topographie, climatologie et pathologie de la partie de la cote occidentale d'Afrique comprise entre le cap Blanc et le cap Sierra-Leone, Librairie J.-B. Bailliere et Fils, Paris, 1882, p 34.

² كايدي Kaedi: مدينة موريتانية، تقع عند اقتران وادي فورفول بنهر السنغال، تعود نشأة كهيدي إلى القرن الخامس عشر، لكنّها برزت بصورة واضحة خلال فترة الاستعمار الفرنسي وكانت بها حامية فرنسية وقلعة مهمة. ينظر : عبدالقادر مصطفى الميشتي و آخرون، المرجع السابق، ص161.

³ Hubert Deschamps , op.cit, p 63.

⁴ Beslier G.G., Le Sénégal - L'Antiquité, Les arabes et les empires noirs, La colonisation européenne du XVIe au XVIIe, L'ère négrière, La France colonisatrice au Sénégal, L'oeuvre des missions, Formation de l'Afrique Occidentale Française-, Payot, Paris, 1935, pp141-142.

أولاد عمه وكل من ساهم في ذلك وتولى مقاليد حكم القبيلة التي عرفت الاستقرار والأمن والعلاقات الحسنة مع القبائل الموريتانية المجاورة، واتبع سياسة والده في التصدي للنفوذ الفرنسي المتنامي بمدينة سان لويس وغيرها من مناطق ضفة النهر السنغالي اليسرى، إلا أن حكمه للقبيلة لم يدم طويلا حيث قام أخوه "أحمد سالم" بقتله سنة 1871م، فانتقم أخوه "أعل" لمقتل أخيه سنة 1873م وتقلد الحكم وقام بعقد معاهدة مع الفرنسيين سنة 1877م، حيث تعهد بإسعاد البحارة الغرقى في الشواطئ الخاضعة لسلطانه، و وقع في أبريل 1879م معاهدة أخرى بموجبها أصبحت تجارة الصمغ حرة وغير مقصورة على محطة "داجنا" (Dagna)¹، وتم استبدال الرسم المحددة سنويا ب 1200 قطعة من قماش النيله ومع ذلك فان أعل ابن محمد الحبيب كان يسعى لتنظيم قبيلة التراززة من خلال استعادة إقليم أوالو، وفي نفس السنة وقع أمير البراكنة معاهدة مع الحاكم الفرنسي حيث تم بموجبها إلغاء احتكار تجارة الصمغ بمحطات بودور (Podor)² و سلدية وتعميمها على كافة البلاد وتم استبدال الرسوم العرفية القديمة بتعويض قدره 2000 قطعة من قماش النيله، وفي 1880م وقع أمير إدوعيش معاهدة مع الحاكم الفرنسي تقتضي عدم احتكار تجارة الصمغ في محطات نفوذه إلا أنها لم تمتد في كافة البلاد.

تجدر الإشارة إلى أن سلسلة الاغتيالات لا تزال قائمة في قبيلة التراززة، ففي 1886 م اغتيل الأمير أعل ابن محمد الحبيب من طرف ابن أخيه محمد فال بن سيدي، حيث قام بقتله مع زوجته وجميع أولاده ماعدا أحمد سالم، وبعد شهور قليلة قام أعمر سالم الابن الأصغر لمحمد الحبيب،و الذي فر إلى سان لويس أين نجح في جمع مناصرين لأخيه أعل بقتل ابن أخيه محمد فال بن سيدي، فتقلد منصب حكم القبيلة و وقع معاهدة مع الحاكم الفرنسي بالسنغال سنة

¹داجنا Dagna: هي منطقة بالسنغال تابعة تبعد عن سان لويس حوالي 100 كلم. ينظر:

Borius. A, op.cit, p 28

² بودور Podor: من أقدم المناطق السنغالية وهي تقع بمدينة سان لويس. ينظر: Ibid, p32.

1887م ، يتنازل بموجبها عن كل حق له في الضفة اليسرى للنهر، إضافة إلى ضمان حرية وأمن تجارة الصمغ و إسعاف العرقى متمسكا في المقابل برسم 1500 قطعة من قماش النيل. ¹

لم تختلف خاتمة "أعمر سالم" أمير التراززة عن بقية الأمراء الذين توالوا على حكم القبيلة من قبله، فقد قام "أحمد سالم ابن اعل ابن محمد الحبيب" الذي نجح من مذبحه أسرته بمساعدة أقربائه بمهاجمة ومحاربة عمه "أعمر سالم" إلى أن قتله وتقلد منصب حكم القبيلة سنة 1893 م، وبعد ذلك عقد معاهدة مع الحاكم الفرنسي بالسنغال سنة 1895 م من أجل حماية مزارع السود في الضفة اليمنى للنهر، وفي السنة نفسها جدد "سيد أعلي" أمير البراكنة معاهدته مع الفرنسيين وأقام ابنه "أحمد" علاقات حسنة معهم ، وفي المقابل قرر بكار "شيخ" ادوعيش " توقيع معاهدة سلم مع الحاكم الفرنسي. ²

والجدير بالذكر أنه كانت هناك علاقات تجارية بين بعض التجار الفرنسيين والقبائل الموريتانية، ولم تكن لهذه العلاقة صفة رسمية كالاتفاقيات و المعاهدات التي عقدتها السلطات الفرنسية، و إنما كانت تعهدا من التجار بتقديم هدايا سنوية لزعماء القبائل في إطار ما يعرف بأساس التعامل بين الطرفين، حيث سمحت الحكومة للتجار باستمرارية التجارة مع القبائل الموريتانية لكن على مسؤوليتهم الخاصة دون تدخل الحكومة لحمايته. ³

2- كبولاني و الاحتلال الفرنسي في موريتانيا:

تردّد الفرنسيون كثيرا في طريقة جدوى إخضاع موريتانيا لهم ، فحتى عام 1900م كانت الحكومة الفرنسية قد أولت عناية خاصة بدول الساحل مثل تشاد وهي المناطق التي استولت عليها، أما موريتانيا فقد أهملتها ظنا منها أنها إقليم ضحل لا يساوي نفقاتها العسكرية و مضیعة

¹ الرائد جيلبييه، المصدر السابق، ص 83.

² نفسه ، ص 84.

³ Poulet Georges, **op.cit**, p153.

لوقت ليس إلا، لذلك جاء استعمارها متأخرا عن الأقاليم الإفريقية الأخرى ، لكن رغم ذلك فقد وضعت فرنسا على سبيل الاحتياط ثلاث مراكز عسكرية لمراقبة الطرق التجارية المؤدية إلى تكانت، و المركزين الآخرين للسيطرة على البراكنة و التراززة اللتين تعتبران من القبائل الموريتانية الكبرى¹ ، قبل أن تجبرهم الاعتبارات الإستراتيجية على التنافس مع إنجلترا وإسبانيا على إفريقيا، وأصبحت تبحث عن طريقة تربط بها المستعمرتين القديمتين لها (الجزائر والسنغال).²

ويمكن رد بداية احتلال موريتانيا و استعمارها إلى البعثات الكشفية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، بغرض الحصول على المعلومات الضرورية لتمكين المستعمر من استغلال خيرات البلاد. و تعد بعثة كبولاني آخر هذه البعثات و أهمها³ ، و تكمن أهمية رحلاته أنّها نبّهت الحكومة الفرنسية ووزارة المستعمرات لأهمية ضمّ موريتانيا⁴ ، حيث تكللت بمشروع قدمه كبولاني لوزارة المستعمرات وضع فيه الخطوط العريضة لاحتلال موريتانيا، و التي سبق و أن مهد له الطريق خلال مهمته التي قادته إلى منطقة السودان الغربي الفرنسي ، من خلال اتصاله بموريتانيا أول مرة منذ 1898 عند الضفة اليمنى لنهر السنغال⁵ ، استقبله فيها البيضان بحفاوة نظرا لثقافته الإسلامية الواسعة، و كان الهدف الرئيسي من هذه الرحلات هو استقبال زعماء القبائل وإقناعهم بضرورة الانضواء تحت لواء فرنسا، و استطاع حينها إقناعهم من خلال جولاته بالمنطقة، ما مكّنه من تحقيق العديد من النتائج على أرض الواقع أهمها جمع معلومات كافية و متنوعة تتعلق بالناحية

¹ إلهام محمد الذهني، المرجع السابق، ص 195.

² محمد المختار ولد السعد، المرجع السابق، 261.

³ علي سلمان البدوي، المرجع السابق، ص 57.

⁴ إلهام محمد ذهني ، المرجع السابق ، ص ص 194-195.

⁵ محمد السعيد بن همدى، المرجع السابق، ص 20.

الجغرافية و الاثنوغرافية عن موريتانيا ، للبدء في رسم مخطط كبير يضع من خلاله الخطوط العريضة لاحتلال البلاد و لم يبقى له سوى موافقة الحكومة الفرنسية على ذلك¹.

كان كبولاني على دراية بأحوال المسلمين في موريتانيا بحكم إتقانه اللّغة العربية واطّلع على العادات والتقاليد الإسلامية، ويمكننا القول أنّ كبولاني هو أوّل من مهّد للسيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية بفضل تعامله معهم²، بل مهّد أيضا للاحتلال الفرنسي لموريتانيا.³

على هذا الوضع بالغ التعقيد ظهرت شخصية خارقة للعادة، كزافيي كبولاني ذا الأصول الكورسيكية والذي رحل عنها منذ كان في العاشرة من عمره نحو الجزائر يتقن العربية و مداوم على قراءة القرآن وتفسيره كان فيه ما يغري البيضان⁴. فهذا الخبير المميز في شؤون الإسلام يقرأ النصوص العربية، وهذه الصفات رفعت من شأنه عند هذه القبائل و قد اتصل بموريتانيا أول

وكما ذكرنا، كان كبولاني قد قام برحلات إليها سنتي 1898م و1899م حيث تنقل خلالها في موريتانيا، وكما ذكرنا سابقا فقد قام كبولاني منذ 1898م بالقيام بعدة رحلات استكشافية ويمكننا القول أن مهندس هذه الخطة هو كبولاني الذي أقنع الإدارة الفرنسية على احتلال الأراضي الموريتانية.

وتفاوضه مع شيوخ بعض القبائل البيضانية والتي استطاع حينها إقناعهم من خلال جولاته بالمنطقة، ما مكّنه من تحقيق العديد من النتائج على أرض الواقع أهمها جمع معلومات كافية ومتنوعة تتعلق بالناحية الجغرافية والاثنوغرافية عن موريتانيا، وكذا تقديمه لوزارة المستعمرات تقريرا

¹ علي بدوي سلمان ، المرجع السابق ، ص50.

¹ الرائد جليليه ، المصدر السابق، ص 96.

² محمد المختار ولد السعد، المرجع السابق، ص 260.

³ Gnoakane Adama, **La Colonie du Sénégal et les Emirats du Sud-ouest Mauritanien à la fin du 19^{eme} siècle**, Département d'histoire, Université de Nouakchott, p23.

⁴ Geant Désiré Vuillemin, **Coppolani en Mauritanie...**, op.cit, p 291.

يعد كمسودة مشروع فرض الحماية على موريتانيا كما سبق و أن ذكرناه في الفصل الثاني و ما تبعه من جدل وتداعيات. وبعد أخذ ورد تم قبول المشروع من طرف وزارة المستعمرات وبدأ التحضير لتجسيد مشروع كبولاني، خاصة بعد أن حصلت فرنسا بمقتضى الاتفاق البريطاني الفرنسي لعام 1890م على الأراضي الواقعة جنوب المتوسط، وكان معنى هذا الاتفاق أن أراضي موريتانيا اعترفت بها بريطانيا كمناطق نفوذ فرنسية.¹

تمّ تكليف كبولاني الذي كان معروفا بدراساته الإسلامية بالتفاوض مع قبائل البيضان والطوارق والقيام بدراستهم من وجهة النظر السياسية والدينية، وكان هدفه هو مسالمة القبائل والتفاوض معها وإقناعهم بدور فرنسا الإنساني في العالم الإسلامي، والدور الذي تزعم القيام به في أرض البيضان.

وفي سنة 1899م كانت القبائل البيضانية الأساسية التي تقطن مناطق النفوذ السوداني قد أعلنت خضوعها وأصبحت ملزمة بدفع رسوم الانتجاع والعشور، فاستطاعت الدبلوماسية الكبولانية المهيأة والمدعومة بعمليات ضباط من الساحل أن تضع حدًا لهذه الوضعية الصعبة دون مقاومة ولا قتال، ثمّ ذهب كبولاني إلى بلاد الطوارق مصحوبا بمساعدة من "أرنو" (Arnoud) فوصل إلى "تمبكتو" ثمّ زار قبائل الرّحل في إقليم "آزواد".²

بوصول كبولاني إلى السنغال أو إلى فرنسا حسب روايات بعض المؤرّخين، هو الذي نال الاحترام و الاعتراف بخبرته في شؤون البيضان، و قد أكد، فقد عرض مشروع احتلال موريتانيا على الحاكم العام لغرب إفريقيا، لكنّ هذا الأخير عارض المشروع كما عارضه التّجار الفرنسيون

¹ محمد السعيد بن همدي، المرجع السابق، ص20.

² محمد بن عبد الرحمن بن عمار، المرجع السابق، ص 101.

الذين كانوا يفضلون بقاء موريتانيا بعيدة على السّلطة الفرنسية حتى يحتكروا تجارة الصّمغ وكذلك لم تلق الفكرة ترحيبا من وزارة الخارجية الفرنسية لاعتبارات دبلوماسية.¹

2-1- مشروع كبولاني لاحتلال موريتانيا:

يعد مشروع موريتانيا الغربية الحلم الذي شغل مساحة كبيرة في الدبلوماسية الفرنسية، حيث كانت فرنسا الاستعمارية تعمل على تكوين إمبراطورية استعمارية كبرى في شمال و غرب إفريقيا، و لم يتم لها ذلك إلا باحتلال موريتانيا التي تمثل حلقة وصل أساسية بين الطرفين.²

بنهاية مهمة كبولاني في بلاد البيضان و تقريره حول المهمة ، يمكن القول إن شهادة ميلاد موريتانيا هي رسميا تاريخ 27 ديسمبر 1899م، بقرار وزير المستعمرات الذي نظم "باسم موريتانيا الغربية"³ المناطق من الضفة اليمنى لنهر السنغال، والمناطق الواقعة بين غاي و تومبكتو حتى رأس جوبي غربا ، و من التحوم المغربية شمالا حتى الجنوب الجزائري ، وقد أكد وزير المستعمرات على أن هذه المناطق المشكلة لموريتانيا الغربية ستوضع سياسيا تحت سلطة كبولاني⁴، فكما سبق وأن ذكرنا في الفصل الثاني فقد تم تأسيس بعثة كبولاني بنجاح كبير، والذي لم يكتف بالحصول على معلومات قيمة من وجهة النظر الاجتماعية فحسب، ولكنه نجح أيضا في الحصول من القبائل التي كانت حتى الآن متمردة على سلطة فرنسا ، حيث أقنعها على دفع اشتراكات الحرب وجعلها تقبل مجموعة من الرسوم. إن التقرير الرائع جدا الذي أشار فيه السيد كبولاني إلى أسباب مهمته، يحدد بوضوح مدى عدم ملائمة وفعالية الظروف الحالية لسياستنا فيما يتعلق بسكان قبائل المور والطوارق، وهو يبين أن تلك القبائل التي ضعفت وقسمت كما هي، قادرة على تقدير التناقضات

¹ محمد السعيد بن همدي، المرجع السابق، ص 21.

² الهيبة ولد سعد أبيه ، المرجع السابق ، ص 30.

³ Joseph Roger De Benoist, **Eglise et pouvoir colonial au Soudan Française –Administrateurs et missionnaires dans la Boucle du Niger (1885-1945)**, Karthala, Paris,1987, p67.

⁴ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص 2.

المتكررة جدا لموقفنا تجاهها، وسوف يتم الحصول على هذه القبائل للسيطرة الفرنسية في أقرب وقت¹. ويمكن أن تخضع هذه البلدان الشاسعة إلى دراسة الظروف العملية التنظيمية وفق مشروع كبولاني الذي يستند إلى الأسس التالية:

- توحيد البيضان في مجموعة متجانسة توفر سندا للإدارة الاستعمارية الفرنسية.
- تأمين المستعمرات في إفريقيا الشمالية والغربية وتنمية التجارة الفرنسية ومصالحها في المغرب وإتباع سياسة محكمة في الصحراء.²
- تجنب عداء المغرب الذي يدعم سريرا من طرف القوى الأوروبية.
- تنظيم جباية الضرائب في مختلف مناطق البيضان ابتداء من سنة 1903 .
- ترجيح كفة الزوايا على كفة بني حسان نظرا لمكانتهم الدينية والسياسة في المجتمع الموريتاني وهذا بهدف بسط نفوذه على كامل التراب الموريتاني.
- احترام النظام الاجتماعي المحلي السائد في موريتانيا الذي وهذا لتعزيز الخصوم في الأسر الموريتانية من خلال بذر الفتن فيها.
- سياسة فرق تسد وتطبيقها في الأسر المحاربة أو الدينية التي تتنافس على زعامة المجموعة.
- تبني إستراتيجية عسكرية تعتمد على سياسة هادئة أساسها سد المنافذ من خلال حماية السنغال بسلسلة من المراكز، تقام عند تقاطع الطرق الريفية لحراسة المناهل.
- اجتياح موريتانيا من الجنوب بدلا من دخولها من الشمال .

¹ Robert Arnaud , **op.cit** , p37.

² Xavier Coppolani , , **Mauritanie Saharienne...**, p55

• المشروع بين الرفض و القبول:

إلا أن هذا المشروع تبعه جدل كبير ومجموعة من التدايعيات، فرغم أن وزير المستعمرات قد أكد أن الأراضي المؤلفة تحت اسم موريتانيا الغربية ستكون يوما ما تحت سلطة كبولاني بصفته حاكما مقيما، إلا أن الحاكم العام بعد استشارته حول هذا الموضوع رفضه رفضا قويا وعارض فكرة تجسيد المشروع ، وهذا بسبب الضغوطات التي كان يتعرض لها من تجار سان لويس و اكار، حيث اصطدم بمقاومة من طرف التجار في سان لويس ، الذين لا يرون في المشروع من أساسه سوى مغامرة مضرّة للغاية بمصالحهم التجارية، حيث كانوا يفضلونبقاء موريتانيا بعيدة عن السلطة الفرنسية لاعتبارات دبلوماسية¹ ، أما وزير الشؤون الخارجية دلكاسي (Delcassé)² فقد أبدى تحفظات إزاء هذه الفكرة، ذلك أن كلا من إنجلترا و إسبانيا كانت تطالبان بحقوقهما في هذه الأراضي (رأس جوبي و واد الذهب)³ التي لم تحدد بعد، وعلى اثر ذلك قامت الحكومة الفرنسية بمفاوضات مع الإسبان من أجل تحديد مناطق نفوذ كل منهما في أرض موريتانيا، وأثناء ذلك حصل اتفاق بين فرنسا واسبانيا في جويلية 1900م، بتحديد وضبط مناطق نفوذ كل من الدولتين في أرض البيضان، بعد ذلك أصبحت الكتلة الموريتانية ضمن مسؤولية الدولتين اللاتينيتين. وبموجب الاتفاقية الموقعة في 27 ماي 1900 بين الطرفين، تم الاتفاق على:

أن الخط الحدودي مُنحى حول سبخة الجبل التي تركت لفرنسا، ويبقى ملح الجبل الذي يمر بالأقاليم الإسبانية دون الخضوع لرسوم التصدير.

¹ محمد سعيد بن همدى، المرجع السابق، ص 21.

² دلكاسي Delcassé: تيوفيل دلكاسي بيير، ولد في مارس 1852 بفرنسا، سياسي فرنسي وهو أحد مهندسي التقارب بين فرنسا و بريطانيا التي أدت إلى توقيع معاهدة الوفاق، توفي في 21 فيفري 1923 ينظر:

Jean-Philippe Zanco , Dictionnaire des Ministres de la Marine 1689-1958, SPM, Paris, 2011,p325.

³ Xavier Coppolani , Mauritanie Saharienne... , p56.

-يعترف لإسبانيا بحق الصيد في خليج السلوقي **La bais Lévrier**.¹

-الحق في متابعة ومعاينة المهاجرين الذين يبحثون عن ملجأ في الإقليم غير الخاضعة من أقاليم الدولة المجاورة.²

أدرك كبولاني مصالح الدول، الإدارات والتجارة في مستعمرة السنغال فراجع مشروعه الذي أصبح يقتصر على سهل موريتانيا، تكانت و أدرار، وفي الشمال لن يتجاوز خط العرض 21 شمالا أي رأس نوادييو³، فتنقل إلى سان لويس في مارس 1901 لتجسيد فكرته، وعلى اثر ذلك تشكلت لجنة وزارية في 6 جويلية 1901 م من طرف رئيس المجلس ، لإعادة النظر في السياسة الخاصة بأرض موريتانيا وبالتحديد النظر في قضية الجزائر و أفريقيا الغربية الفرنسية، سواء من حيث العلاقة بين المنطقتين أو من منظور الدول الأجنبية المجاورة⁴، ووضع التدابير الترابية، دراسة العلاقات البيئية ووسائل المواصلات، و إعداد برنامج لإعادة تنظيم المناطق المواقع التابعة للنفوذ الفرنسي⁵، فاجتمعت اللجنة لأول مرة في 14 أكتوبر 1901، و كانت تضم وزراء الداخلية والشؤون الخارجية، مفوضي المستعمرات ، الحكام العامين للجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية، رئيس مكتب الجزائر بوزارة الداخلية و الموظف المكلف بتنظيم موريتانيا كبولاني⁶، و مع التقرير التي قدمه هذا الأخير إضافة إلى تقرير مارس 1902م و بإيعاز منه أوصى أن يكون الاحتلال

¹ **La bais Lévrier** :خليج واسع في شمال غرب موريتانيا، بالقرب من الحدود مع الصحراء الغربية ينظر:

Jean-Claude Klitchkoff, **La Mauritanie aujourd'hui**, Éditions du Jaguar, 2e éd, Paris, 2003,p169.

² الرائد جيليه، المصدر السابق، ص 12 .

³ Xavier oppolani, **Mauritanie Saharienne...**, op.cit,p56.

⁴ Sidi Mohamed Ould Mohamed, **L'évolution de la pêche en Mauritanie depuis l'indépendance à nos jours (1960-2009)**, Thèse de Doctorat, Spécialité Histoire Contemporaine, UFR Langues, Arts et Sience Humaines, ULR, Paris, 2010, p14

⁵ محمد بن عبد الرحمن بن عمار ، المرجع السابق، ص 102.

⁶ Georges Coppolani, op.cit, p151.

بالتدرج و أن يكون في نفس الوقت سلميا¹ ، حيث قدمت اللجنة تقريرا في مارس 1902م توضح فيه وبإعاز من كبولاني أن المستوى الثقافي والفكري والأخلاقي للموريتانيين يفوق ما هو عليه في إفريقيا الشمالية إضافة إلى تعلقهم بدينهم وعاداتهم البدائية و وضعهم الاجتماعي الذي يكشف عن حضارة أرفع من حضارة أسلاف الأوروبيين في القرون الوسطى، وعليه أوصت اللجنة بأن يكون الاحتلال سلميا وبالتدرج، ولهذا الغرض أنشئت المصلحة الخاصة بشؤون البيضان (الموريتانيين)، وأسندت مسؤوليتها لكبولاني لدعم عمله الذي بادر بعد ذلك إلى إنشاء مصلحة إعلامية ، وتسارعت الأحداث بتعيينه أمينا عاما للمستعمرات قبل الالتحاق بسان لويس في أكتوبر 1902م بصفته مفوضا عاما على موريتانيا، ومع اكتمال إعداد الآلية القانونية والإدارية ، لاحتلال البلاد أعلن عن أفكاره ، برامجه و وسائله لإنجاح مخططه.²

وهكذا بالاستناد إلى خبراته السابقة، والاعتماد على تراكم جهود الإدارة الاستعمارية السابقة طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انطلق كبولاني في مشروع استعمار موريتانيا، حيث تمكن لأول مرة من تأسيس البنيات التحتية الأولى للوجود الفرنسي على الضفة اليسرى (الموريتانية) من نهر سنغال (صنهاجة)، حيث رسخ وجود فرنسا في إقليم الترازة في سنة 1903م والبراكنة في سنة 1904م، ليتجه بعد ذلك إلى إقليم تكانت في سنة 1905م في طريقه إلى إقليم آدرار. وخلال فترة توغله في اتجاه تكانت اعتمد على دعم وحماس كبيرين من وزارة المستعمرات، والإدارة المركزية لأفريقيا الغربية الفرنسية بقيادة الوالي أرنست روم في السنغال.³

¹ إلهام محمد علي ذهني، المصدر السابق، ص ص 95-106

² محمد سعيد بن همدى، المرجع السابق ، ص 22 .

³ Arnaud Robert Randau , **op .cit**, p43.

وبعد توالي الاختراقات السياسية والميدانية التي حققها في مهمته بأراضي البيضان، فوضه الرئيس والدك روسو بتأسيس كيان جديد في الصحراء الغربية تحت تسمية "موريتانيا"، وقد صدر القرار بذلك في سنة 1904م، مع إعطائه كبولاني نفسه صفة المؤسس والحاكم الإداري العام¹.

وخلال أطوار عملية التأسيس ركز كبولاني اهتمامه على ثلاثة قادة روحيين كبار لهم مكانتهم في إقليم قبائل البيضان، هم الشيخ سيديا بابا²، بما كان له من نفوذ روحي ومعنوي على إمارات الترازو والبراكنة وتكانت، والشريف الشيخ سعد بوه³، الذي ينتشر نفوذه الروحي والمعنوي على المنطقة الممتدة من تكانت إلى سنغال، والشريف الشيخ ماء العينين، وهو الأخ غير الشقيق للشيخ سعد بوه، وكان نفوذه الروحي وللمعنوي ممتداً أيضاً من إقليم آدرار إلى أقصى الشمال من أقاليم قبائل البيضان في الجنوب المغربي، و قد ناهض الشيخ ماء العينين سابقه الآخرين، وكما قال فيدرب بعد ذلك بقرابة خمسين سنة فإن مفتاح فرض السلام في موريتانيا يقع في إقليم آدرار. وقد اختار الشيخ ماء العينين طريق السلاح في المواجهة مع فرنسا، كما اعترف بسيادة ملك المغرب على موريتانيا (وهي دعوى ترددت كثيراً في القرن العشرين).⁴

2-2- بداية تجسيد مشروع الاحتلال:

كانت الفرصة ملائمة للدخول الفرنسي إلى موريتانيا حيث كان الصراع على أشده داخل أسرة إمارة الترازو بين الأمير أحمد سالم بن اعلي و أبناء عمه. و خلال هذه الفترة تعرف كبولاني

¹ الرائد جليليه، المصدر السابق، ص 133.

² الشيخ سيديا: الشيخ سيديا باباه ابن الشيخ سيديا الأبييري ولد سنة 1862 م، ساعد كبولاني في مهمته، توفي سنة 1924م ينظر:

Paul Marty, **Etude sur l'Islam maure- Cheikh Sidiya-**, Ernest Leroux, Paris 1916, p50.

³ الشيخ سعد بوه: هو ابن الشيخ محمد فاضل بن مامينو وأخو الشيخ ماء العينين لأبيه، ولد سنة 1850 م بالحوض، ساهم في إنقاذ بعثة بلانشي سنة 1900 م، توفي سنة 1917 م. ينظر: محمد سعيد بن همدى، المرجع السابق، ص 2.

⁴ الرائد جليليه، المصدر السابق، ص 136.

على بابيه بن الشيخ "سيديا الأبييري" من خلال مراسلاته المتعددة للإدارة الفرنسية بسان لويس، وقد كان هذا الأخير من أعظم الشخصيات الموريتانية مع بداية القرن العشرين لا من حيث المستوى العلمي العالي فقط، بل من حيث وراثته لمكانتي جده الشيخ سيديا الكبير و أبيه الشيخ سيدي محمد الدينية والاجتماعية. وقد كان "بابه بن الشيخ سيديا" قلقا على الأوضاع الأمنية الموريتانية المتردية التي عرفت في نهاية القرن التاسع عشر انتشار الحروب والنهب والانقسامات القبلية الكثيرة. وقد وجد بابيه أن في التحالف مع الفرنسيين و ما يستلزم من أمن سيحلبونه معهم نظرا لقوتهم العسكرية و المادية أولى من ترك البلاد أسيرة النهب والسلب والحروب القبلية.

و قد كانت الطرق الصوفية تعتبر كطريق مهده كبولاني للتوغل في موريتانيا حيث أن هذا الأخير كان قد درس عنها ، و قرر وضع مصلحة خاصة بالشؤون الإسلامية من خلالها يستطيع جمع معلومات حول الطرق الصوفية و الإسلام، و ذلك لتوجيه السياسة الاستعمارية من خلال محاربة أو كسب ود الصوفية¹.

كانت أهداف الفرنسيين وعلى رأسهم كبولاني من خلال هذا الاحتلال، هو تأمين المستعمرات الفرنسية من هجمات البدو البيضان الذين كانوا يتعرضون لها من حين إلى آخر، وتحقيق الأمن في موريتانيا من خلال مهادنة القبائل وذلك حفاظا على التجارة والقوافل التجارية، التي كانت تستغلها فرنسا لإنعاش اقتصادها وكذلك ربط المستعمرات الإفريقية بالمستعمرات الشمالية المتوسطية ، إضافة إلى هدف ديني ألا وهو إيقاف المد الإسلامي الذي استطاع التوغل إلى دواخل إفريقيا².

¹ علي بدوي سلمان، المرجع السابق، ص 48.

² الخليل النحوي، المصدر السابق ، ص 332.

وكان عبور كبولاني لموريتانيا في 14 ديسمبر 1902م حيث لقي بها أمير التراززة أحمد سالم بن اعلي¹. و قد وقع معه اتفاقية مشتركة دخلت بموجبها التراززة تحت الحماية الفرنسية، وأسس مركزا عسكريا عند بئر خروفة في وسط إكيدي بمنطقة التراززة.

و يمكن تقسيم الاحتلال الفرنسي لموريتانيا إلى ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى (1900-1905): مرحلة التغلغل السلمي و السيطرة غير المباشرة.²
- المرحلة الثانية(1905-1914): مرحلة الإخضاع العسكري و إخضاع معظم البلاد لفرنسا.

- المرحلة الثالثة(1914-1934): تم فيها تصفية بقية جيوب المقاومة وتأمين الاحتلال.³

3- فرض الحماية على موريتانيا :

قبل الحديث عن الاحتلال المسلح أو العملي، لابد من الحديث عن شكل آخر من الاحتلال يمكن وصفه بالاحتلال غير المباشر، والذي تجسد أساسا في السياسة المحكمة التي اتبعتها فرنسا في الدمج بين السلطة التقليدية والتبعية الاقتصادية، ومحاولة إضعاف نفوذ الإمارات الموريتانية بفعل التدخل في شؤونها، تمهيدا لفرض الحماية والتبعية السياسية والعسكرية للبلاد لاحقا، الأمر الذي يستدعي المواجهة بين فرنسا ورواسب الإمارات التي انهارت فترتها، بسبب الحروب و الاقتتال الداخلي، و بفعل الضغط المترتب عن السياسة الاستعمارية، وهنا تبدأ المرحلة

¹ Geneviève Désiré Vuillemin, Coppolani en Mauritanie..., op.cit., p 291.

² Moniot Henri - Geneviève Désiré Vuillemin, Contribution à l'Histoire de la Mauritanie 1900-1934, In : Anales Economies-Sociétés-Civilisation, 23^{eme} année , N3, 1968, pp 682-683.

³ إلهام محمد الذهني ، المصدر السابق، ص 197.

النهائية و الفعلية لاحتلال موريتانيا بعد فترات تأزم و انفراج و بعد مئات المعاهدات و الاتفاقيات التي لم تنص فقراتها يوما على الحماية الفرنسية.¹

مع بداية القرن 20م اتفقت فرنسا مع إسبانيا على أن تسيطر الثانية على مناطق الصحراء الغربية بحيث تبسط فرنسا نفوذها على موريتانيا وقام الفرنسيون بعد ذلك سنة 1905م أي بعد احتلالهم لموريتانيا بترسيم الحدود بين الجزائر وموريتانيا ثم بين موريتانيا والصحراء الغربية.²

3-1- التغلغل السلمي الفرنسي في موريتانيا (1900-1905):

حصل كبولاني في 15 ديسمبر 1902 على مباركة لعمله عن طريق فتوى تحبذ الانضمام لفرنسا وهذا في اجتماع ضم الشيخ سيديا³، الشيخ سعد بوه⁴ والمترجم أبو المقداد، أطراف السياسة المحلية دون انخياز لها، حيث استقبلوا الأمير أحمد سالم بن أعل مرتين في دكار وهذا بسبب الهجوم والنهب الذي تعرض له على يد أهل سيدي، وكان هذا في نوفمبر 1901 و فيفري 1902.⁵

¹ مريم أحمد الأمين، النظم السياسية و الادارية و أثرها على التركيبة التقليدية للمجتمع البيطاني 1900-1945م، جامعة نواكشوط، 1989م، ص9.

² جوزيف صقر، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم (القبائل العربية-موريتانيا-جيبوتي-الصومال)، Ed. Creps International، بيروت، 1999، ص 163.

³ الشيخ سيديا: الشيخ سيديا بابو ابن الشيخ سيديا الأبييري ولد سنة 1862 م ، ساعد كبولاني في مهمته ، توفي سنة 1924 م . ينظر:

Paul Marty, Etude sur l'Islam maure- Cheikh Sidiya-, Ernest Leroux, Paris 1916, p50.

⁴ الشيخ سعد بوه :هو ابن الشيخ محمد فاضل بن مامينا و أخو الشيخ ماء العينين لأبيه، ولد سنة 1850 م بالحوض ، ساهم في إنقاذ بعثة بلانشي سنة 1900 ، توفي سنة 1917 . ينظر محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص26 .

⁵ Adama Gnokan , La Colonie de Sénégal et les Emarats du sud-ouest Mauritanien à la fin du XIXe siècle, Revue Masadir, Université de Nouakchott, N° 3, Mauritania, 2002, p26.

ومن ثم بدأ الفرنسيون مسيرتهم داخل موريتانيا بإمارة الترازة مستغلين التنافس الحاصل فيممع بداية القرن 20م، اتفقت فرنسا مع إسبانيا على أن تسيطر الثانية على مناطق الصحراء الغربية في حين تبسط فرنسا نفوذها على موريتانيا وقام الفرنسيون بعد ذلك سنة 1905م أي بعد احتلالهم لموريتانيا بترسيم الحدود بين الجزائر وموريتانيا ثم بين موريتانيا والصحراء الغربية.¹

استغلّ كبولاني الخلافات القائمة بين القبائل فأثارها إلى أن طلبت إحدى القبائل الحماية الفرنسية خوفا من خصومها، فأسرع كبولاني واحتلّ منطقة الترازة عام 1903م والبراكنة عام 1904م، وأتبعها بمنطقة تكانت عام 1905م، وأخذت فرنسا تتصرف فيها وتتدخل في مناطقها.²

• احتلال الترازة 1903م:

تزامن الاحتلال الفرنسي للترازة مع الأزمات الداخلية التي كانت تعيشها هذه الإمارة والمتمثلة في الصراعات بين أمرائها و تنازعهم على السلطة، في وقت تولى "أحمد سالم ولد اعلي" الملقب بـ "بياده" مقاليد السلطة في الإمارة (1891-1905)، حيث تعقدت أمورها بعد قتل عمه "عمر سالم ولد محمد الحبيب"³ الذي حكم الإمارة قبل أربع سنوات⁴، و كان قد دعمه خلالها و أقنعه بأهمية تصفية أبناء سيدي خصومه السياسين و ذلك بهدف الاستقرار و إقرار الأمن في الإمارة، وهذا ما مكن أحمد سالم عند وصوله للسلطة من الانفراد بالمجد و النفوذ وذلك قبل أن يناصب أبناء محمد فال (سيد أحمد ولد الديد) العدا، و قد بلغ الصراع أشده سنة

¹ جيليه، المصدر السابق، ص 98.

² محمود شاكرا، المرجع السابق، ص 61.

³ علي بدوي سلمان، المرجع السابق، ص 61.

⁴ المختار ولد محمد، الطرق الصوفية ومواقفها من الاستعمار الفرنسي في موريتانيا، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2010/2011م، ص 93.

1902م¹ وهي السنة نفسها التي تم فيها إرسال بعثة برئاسة الرائد دي لابلان (De Laplane) بغية تقصي الحقائق في هذه القبيلة ، و بمجرد وصولها منطقة طويت الماء تمكنت البعثة من فض النزاع الداخلي الحاصل بها من خلال جر سيدي إلى إعلان خضوعه في الوقت الذي كانت قد عينت أحمد سالم على رأس الإمارة، لكن هذه المصالحة لم تدم طويلا فقد وجدت فرنسا ضالتها في تواصل النزاع بين الرجلين، حيث وجد كبولاني هذه الفرصة ملائمة لتدخل فرنسا في البلاد بواسطة تطبيق مشروعه على أرض الواقع، و على أثر ذلك أصبح لفرنسا الحق في تعيين أمراء وتعيين مقيم فرنسي في المحضر الأميري².

لقد استغل الفرنسيون وعلى رأسهم كبولاني التنافس دون إظهار انخياز أو ترجيح لأي طرف من أطراف السياسة المحلية في التراززة الذي يمثل البوابة الجنوبية للبلد، فقد استقبلوا مرتين في دكار من طرف الأمير "أحمد سالم" على التوالي في نوفمبر 1901 و فبراير 1902م، حين تعرض للهجوم على يد أهل سيدي، و استقبلوا كذلك من طرف الخصم الرئيسي للأمير وهو "محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب" في ديسمبر 1902، إلا أن كبولاني وعد في المرة الثالثة بمساندة "أحمد سالم بن اعلي" شريطة أن يضع الأمير التراززة تحت الحماية الفرنسية، وهكذا سوف تلغى كل المعاهدات السابقة³.

تمّ تنظيم رتل عسكري في مارس 1902م تحت قيادة الرائد De Laplane وسمّي هذا الرتل بـ"رتل مراقبة التراززة" وهو مؤلف من فرقة من الرماة وكتيبتين من الفرسان وكان هذا الرائد مكلفا بإعادة تنصيب الأمير "أحمد سالم" أميرا على البلاد، وهذا الأخير كان على خلاف مع شخص آخر اسمه "سيدي" الذي هرب نحو البراكنة فقرّر "أحمد سالم" الهجوم وملاقاة "سيدي" وحدث قتال عنيف، في هذا الوقت تدخل كبولاني ليتصرّف سلميا ففكرته أنه يتقدم بنفسه على

¹ محمد الراضي ولد صدفن ، المرجع السابق ، ص74.

² Adama Gnokan , op.cit , p26.

³ محمد سعيد بن همدي، المرجع السابق، ص26 .

أنه مدافع عن المظلومين مما مكّنه من الحصول على ولاء الكثير من قبائل الزوايا و الذي صاحبهم خصوصا الشيخ "سعد بوه" و الشيخ "سيديا" الذين أحاطهما بكثير من الاعتبار و اعتبرهما أصدقاء مخلصين.¹

واستغلّ بلباقة التنافس الذي يقسم القبائل وقام بوساطة بين المترشّحين لإمارة الترارة "أحمد سالم" و "سيدي ولد أحمد فال"، و استطاع أن يجعل "أحمد سالم" أن يتنازل عن صلاحيته ويقبل الحماية الفرنسية، وبعد وصوله إلى منطقة "دكانه" في 12 ديسمبر 1902م بدأ كبولاني مفاوضات مع أحمد سالم على قبول إخضاع الأقاليم التززية للحماية الفرنسية، و بعدها غادر "دكانه" مع مسؤول شؤون السكان المحليين و الترجمان "بو المقداد"، و توجه نحو منطقة "سهوت الماء" نقطة مرور القوافل و ذلك حتى يأتي الوجهاء من كل منطقة لإعلان رضوخهم للسلطة الفرنسية بحضرة الشيخين "بوه" و "سيديا".²

استطاع كبولاني إقناع أحمد سالم الذي تنازل عن العرش للسلطات السنغالية المكلفة بإقامة العدل في دولته كما عقد كبولاني في 07 جانفي 1903 اتفاقية مع الطرف المنشق سيدي والذي تخلى بموجبها عن مقاومة الفرنسيين³، كما أعلنت القبائل الزاوية و الحسانية التي تضررت من الأزمة عن خضوعها للاستعمار في الأيام الأولى من شهر جانفي 1903، كما عقد كبولاني في نفس الفترة (فبراير 1903) اتفاقية ثانية مفادها دخول أولاد أحمد بندمان تحت لواء الاستعمار الفرنسي وفي المقابل عدم تدخل كبولاني في العادات و التقاليد و خصوصا عدم المساس بالجانب الديني وترك الاختيار لأحمد بندمان من يوليه لخلافة الإمارة وفق العادات الأسرية⁴. و قد نصت هذه الاتفاقية على: - قبول أولاد أحمد بن دمان الواقع الفرنسي.

¹ الرائد جيليه، المصدر السابق، ص 131.

² المصدر نفسه، ص 133.

³ نفسه، ص 132.

⁴ المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص 94.

- الامتثال للحكومة الفرنسية.

- عدم مقاومة الحكومة الفرنسية، و في المقابل يحترم كبولاني الدين الإسلامي و العادات

والتقاليد المعمول بها و قبول اختيار أولاد دامان إدارة شؤون القبيلة وفق التقاليد الأمير.¹

وبهذه الاتفاقية تم وضع إمارة الترازة تحت تصرف الحكومة الفرنسية بشكل نهائي، ويفسر

سبب نجاح كبولاني في هذه المهمة هو اعتماده على الشخصيات الدينية التي تؤثر بخطبها على

الناس في المنطقة². و في السنة نفسها عُيّن كبولاني حاكما عامًا على الترازة.³

بالخضوع السلمي لسكان الترازة تمت إقامة مركز إداري في اصويت الماء ، إلا أن الأمن

بالمنطقة لم يستتب بصفة نهائية، فقامت عدة حركات مناوئة ضد المستعمر الفرنسي حيث أنه

بداية من 13 يونيو 1903م قامت تمردات تزعمها أنصار سيد ولد محمد فال من أولاد أحمد بن

دامان و صاحبها في الأمن و النهب ضد القبائل المنضوية تحت السيطرة الفرنسية في كل من

مركز "أفروقة" و "أصويت الماء" ، لكن سرعان ما تمكن المستعمر فيما بعد من إخضاع كل القوى

السياسية للترازة تحت حمايته.⁴ و تأتي هذه الفوضى على إثر صدور مرسوم من الوالي العام لغرب

إفريقيا الصادر بتاريخ 12/05/1903م ، و الذي ينص على إحلال الرسوم الاستعمارية محل

الضرائب التقليدية، وهذا الإجراء يهدف أساسا للقضاء على الاعتبارات التقليدية المتمثلة في

الضرائب المذكورة.⁵

¹ Abdallah Ould Khalifa , **op.cit**, p 15.

² ليوبولد الثاني Leopold 2 : ملك بلجيكا 1865-1909 أنشأ دولة الكونغو في أفريقيا عام ، أنظر: منجد اللغة والإعلام ، المرجع السابق، ص 506.

³ فيصل محمد موسى، المصدر السابق، ص 131-136.

⁴ Abdallah Ould Khalifa , **op.cit**, p15.

⁵ المختار ولد محمد، المرجع السابق ، ص95.

• احتلال البراكنة 1904م:

بعد انضواء الترازرة تحت الحماية الفرنسية ، تابع كبولاني سياسته التوسعية و بدأ في احتلال الأقاليم الموريتانية جيا فجيا أي أن أنظاره ستتجه نحو البراكنة ثم تكانت فأدرار ، حيث تجمعت فرقة لكبولاني تتكون من الفرسان و القناصة الذين جلبهم من السنغال و المدفعية¹.

لم يمنع خضوع قبيلة الترازرة للحماية الفرنسية كلا من قبيلة أولاد عبدالله و إدوعيش التابعتان إلى كل من البراكنة و تكانت، من مواصلة عدائهما للوجود الفرنسي حيث كانت هذه القبائل تقوم بعمليات نهب و سطو على القبائل الموالية للفرنسيين و تنظم العمليات المعادية للوجود الفرنسي، وذلك على كامل امتداد منطقة النهر، و تجدر الإشارة إلى أن اتفاقية الحماية الفرنسية على الترازرة قد وضعت إمارة البراكنة تحت الحماية الفرنسية أثناء الاجتماع الذي ضم وجهاء البراكنة و كبولاني سنة، حيث أعلن أميرها خضوعه للسلطة الفرنسية 1902.²

وازدادت قوة المعارضة إثر تحالف أحمد بن سيدي اعل أمير البراكنة و بكار ولد اسويد أحمد أمير تكانت، وإثر إعلان المصالحة بين سيدي ولد محمد فال و أحمد سالم الثاني، الذي تخلى عن تحالفه مع الفرنسيين بعد أن سلبوه ثقتهم علاوة على تشجيع حلف (بكار ولد اسويد أحمد) لهذه المصالحة³، وهذا ما دفع وزير المستعمرات "غاستون دومارغ" (Gaston Doumergue) لإعطاء الضوء الأخضر لكبولاني لدراسة الطريقة التي تمكن من احتلال البراكنة وتكانت. لأن ازدياد عمليات النهب و السلب للقبائل الموالية للفرنسيين و تضرر هذه القبائل تثبت عدم وفاء فرنسا بوعدها المتمثل في إحلال السلام و الأمن في المنطقة.⁴

¹ فيصل محمد موسى ، المرجع السابق، ص 134. ينظر أيضا الرائد جيليه، المصدر السابق، ص 142.

² Arnaud Robert Randau, *op.cit*, 1949, p43.

³ محمد الراضي ولد صدفن ، المرجع السابق ، ص 76.

⁴ المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص 96.

بدأت المرحلة الثانية من الاحتلال الفرنسي للبراكنة بشكل رسمي منذ 21 مارس 1903 بعد أن عاد كبولاني من السنغال وذاك عبر تأسيس مراكز للتموين والدعم اللوجستي في منطقة "بوكي" القريبة¹، وهي نفس السنة التي تجمعت فيها بعثة كبولاني في "بوكي" حيث وضعت الفرق التي تصاحب البعثة وتسهر على حمايتها تحت قيادة نقيب الخيالة شوفو (Chauveaux) وتشمل ثلاث كتائب من الفرسان:

- مفرزة من الحرس الحدودي بقيادة الملازم أربوغاست (Arbogast).
- قسم المدفعية الجبلية بقيادة الملازم كوباي (Coupay).
- حرس قومي على الخيل مساعد شؤون السكان المحليين.²

كما أن هذه السنة تميزت بحدث آخر، وهو الملتقى الذي جمع كبولاني و أمير البراكنة أحمدو ولد سيد اعل في بودور أي في 19 ماي 1903م، كما التقى برؤساء بعض أفخاذ الأمير مثل أولاد نغماش و أولاد عايد و أولاد اعل، و قد أعلن هؤلاء على غرار رؤساء الترازرة عن خضوعهم لفرنسا بوضع دولتهم تحت الحماية الفرنسية، و هذا ما يؤكد إعلان الأمير نفسه عن خضوعه للفرنسيين كما يشير بول مارتن إلى أن خضوع الأمير يعود إلى الضغوط التي مارسها عليها كبولاني.³ و قد تجلّى ذلك لاحقاً في انتشار الفوضى في الترازرة حيث عاد الأمين عن قراره، وأعلن الاستقلالية من جديد عن النفوذ الفرنسي، و قد ظهر خلال هذه الفترة تيار معارض للسيطرة الفرنسية علي البراكنة ومن أعلام هذا التيار الفقيه "محمد عبد الجليل بن الشيخ المصطفى" الذي دعا إلى الجهاد بعد أن أقنع أمير البراكنة أحمد بن سيد اعل بالهجرة⁴، حيث مارس هذا الفقيه مقاومة صامتة في مخيمه من خلال مقاطعة الفرنسيين و اعتزالهم، ما أثار غضب

¹Geneviève Désiré Vuillemin, Coppolani en Mauritanie..., op.cit ,p312.

² محمد الراضي ولد صدفن، المرجع السابق، ص77.

³ المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص97.

⁴ الخليل النحوي، المصدر السابق، ص333.

كبولاني الذي كتب إليه رسالة يقول فيها: " عندما أعلنت لكم قبل خمسة أشهر نيابة عن الحكومة الفرنسية من أجل سلامة الجميع، و أمن التجارة أننا سنتولى الإدارة الفعلية لبلاد البيضان، التي كلفنا العلي القدير بحمايتها من أي هجوم وخاصة النهابين ذوا النوايا السيئة ، رأيت فيكم رجال خير حيث جعلتني صفاتكم كرجال دين وآداب وآمل أن أكون غير مخطئ في الاختيار، وكنت مقتنعا أن ولائكم سيكون خالصا وأن حرصكم على العيش في أمن و سلام مشرفين ومحترمين كان كذلك". ويضيف قائلا: "لقد كنتم الدليل والسند لإدوعيش و ذوي النوايا السيئة والعدوانية أجهاننا، وآمل أن يكون كل هذا غير صحيح رغم أن امتناعكم عن الجيء و تحية الحاكم العام يعتبر دليلا على ذلك لا يقبل الشك".¹

و في ديسمبر 1904م رحل كبولاني باتجاه البراكنة حيث استقر في مدينة " آلاك " المجاورة² و في هذه الأثناء لم يقبل أمير البراكنة "أحمد ولد سيدي اعل" تقدم الفرنسيين ، فأخذ مع أمير تكانت "بكار شيخ إدوعيش" الذي أرسل رسلا إلى كامل تراب البيضان، يحثهم على الجهاد والدفاع عن تراجم من الغزو الفرنسي وقد نجح في كسب بعض زوايا المنطقة لقضيته بالذات في صفوف قبيلة أبجدية³، حيث هاجم بعثة فرنسية ثم انسحب ثم بعد ذلك. و على وجه الإنتقام قام التقيب شوفو(Chauveaux) بمباغطة حي الأمير أحمد وهاجمه ثم باغت حي إدوعيش كذلك ، ثم قام إدوعيش بهجوم على مركز تجاري فرنسي لكن الفرنسيين بقيادة الجنرال "أربوكست" و"أرنو" استطاعوا صد الهجوم و انسحب البيضان تاركين وراءهم عدد من الجثث، وبذلك لوحق إدوعيش من طرف الفرنسيين وطرده من المنطقة وسهلت مفاوضات الخضوع مع البراكنة.⁴

¹ المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص98.

² علي سلمان البدوي ، المصدر السابق، ص 64.

³ الخليل النحوي، المرجع السابق ، ص334.

⁴ Xavier coppolanie , Mauritanie Saharienne..., op.cit , p117.

ورغم هذه الجهود كلها المبذولة من طرف أحمد ولد سيد اعل أمير البراكنة و بكار ولد اسويد أحمد أمير تكانت، لصد هذا المستعمر، إلا أن مجهوداتهم باءت بالفشل حيث كان النصر النهائي للفرنسيين في كثير من المواقع الحربية مثل واقعة شمال بوكي و واقعة شكار، و أخيرا واقعة مبول التي قادها الأمير بكار ولد اسويد أحمد بنفسه في 17 فيفري 1904 م.¹

أصبحت البراكنة تحت سيطرة الفرنسيين و ذلك بعدما تحولت إلى مسرح للفوضى و فقداها للكثير من أبطالها، ومن هنا بدأت طموحات كبولاني و أصبحت قاعدة لاحتلال تكانت و أدرار فيما بعد.

تمكّن الفرنسيون خلال الفترة الممتدة من 1900م إلى 1912م من إخضاع أمراء موريتانيا لسيطرتهم ولم يبق إلا بعض جيوب المقاومة التي قضى عليها في منتصف الثلاثينيات.²

ظلّ حكم فرنسا لموريتانيا يعتمد على أساس أنّها جزء من السنغال، وكان ذلك واضحا من خلال المرسوم الجمهوري الفرنسي الصادر عام 1904م بإلحاق موريتانيا برمتها كمنطقة تابعة للسنغال وذلك بعد سنة واحدة فقط على فرض الحماية الفرنسية عليها، وقد عُيّن كبولاني Coppolani حاكما لها ولُقّب بمفوض حاكم إفريقيا الغربية الفرنسية العام لموريتانيا³، ورغم أنّه صدر مرسوم 1944م يجعل موريتانيا مستعمرة فرنسية إلا أنّها ظلّت تابعة للسنغال حتى عام 1958م.⁴

ألحقت فرنسا موريتانيا بالسنغال من الناحية الإدارية بعد أن قسّمت البلاد إلى 10 دوائر يوجد في كلّ دائرة مدير فرنسي يعاونه 03 أشخاص، وقد خطّط الإستعمار لمحاربة الإسلام

¹ محمد الراضي ولد صدفن، المرجع السابق، ص 78.

² الرائد جيليه ، المصدر السابق ، ص 142.

³ Frébourg Cécile, *op.cit*, p624.

⁴ الفوزان بن عبدالرحمن الفوزان، المرجع السابق ، ص 548.

بأتباعه وسائل وأساليب عديدة منها: سياسة التّفريق بين المسلمين البيض والزّنج ومخاربة اللّغة العربية ونشر اللّغة والثّقافة الفرنسيّة وإهمال التّعليم والصّحّة ومحاولة نشر المسكرات وإفقار الشّعب وإذلاله.¹

3-2- مرحلة الإخضاع العسكري 1905-1914:

• احتلال تكانت:

بعد إخضاع كل من التراززة والبراكنة سلميا بدأ كبولاني التفكير في التوجه نحو الوسط وبالضبط لإخضاع إمارتي تكانت و أدرار للسيطرة الفرنسية ، وكانت منطقة الوسط تعتبر هي أكبر منطقة تحوي المتمردين على سلطات الاحتلال الفرنسي و يوجد بها أكثر عدد ممكن من جيوب المقاومة المسلحة آنذاك، كان لابد من احتلال هذه المنطقة و كسر شوكة المقاومة بها وبهذا الخصوص كتب كريستيان ليغرات (Cristian Laigret) يقول: " لقد كان كبولاني يرى أنه لتحقيق مشاريعه، ينبغي عليه أن يواصل نفوذه السلمي بطريقة تضمن استقرارا شاملا بالنسبة لإمارتي التراززة والبراكنة، وينظر إلى تكانت بأنها تمثل نقطة مفتاح التوسع الفرنسي كما يعتبرها مركزا للتموين و النفوذ في حالة عدم مراقبته لا مجال لأي استقرار للضفة اليمنى لنهر السنغال".²

و يبدو أن تمرد الكثير من القبائل و الأفخاذ من النفوذ المتنامي للسلطة إدوعيش في تكانت و تخاذل بعض القبائل عن الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي أثناء حملة أحمدو ولد سيدي أعلي أمير البراكنة، التي كانت تستهدف تحطيم مركز "آلاك" و إخفاق هذه المهمة التي باءت بالفشل، وما انجر عن ذلك من انشقاقات داخلية في صفوف القبائل، و التي مثلت الدافع الكبير وراء التفكير في السيطرة على منطقة تكانت سنة 1904م ، وكان مركز مال الآن يعتبر من بين المراكز المهمة لتسهيل هذه العملية إذ كان نقطة الانطلاق إلى تكانت ، الأمر الذي جعل قبيلة إدوعيش وقتها

¹ إسماعيل أحمد ياغي و محمود شاكر، المرجع السابق ، ص170.

² Cristian Laigret, Naissance d'une Nation : La Mauritanie, Imp.Nationale, Nouakchott, 1969, p37 .

تشطاط غضبا، وكانت القبائل التي أعلنت مسبقا انضواءها تحت لواء المستعمر تتعرض لعمليات نهب وسطو ومضايقات وهذا ما جعلها تبدي استعدادها للعمل مع قوات كبولاني.¹

وهنا سوف يتغير التوغل من طابعه السلمي إلى الطابع العسكري، فجهز حملة عسكرية كبيرة وكان الغرض من هذا التوسع هو السيطرة على أعالي نهر السنغال والهضاب من حوله²، ومن هنا بدأ التفكير في السيطرة على المنطقة منذ أوائل سنة 1904م، وصدر مرسوم 28 أكتوبر 1904م الذي يقرر أن موريتانيا هي منطقة مدنية وتعيين كبولاني مفوضا عاما للحكومة الفرنسية بها، و هذا التعيين دفع كبولاني لمواصلة السير نحو هدفه، وقد نجحت حملة تكانت في القضاء على قوات "إدوعيش" و تفريقها كما تمكنت من القضاء على أميرها بكار ولد اسويد أحمد الذي رفض الاستسلام و ذلك بتاريخ 1 أبريل 1905م، وكان من نتائج هذه الهزيمة النكراء ضد الاحتلال تأسيس هذا الأخير لمركز "تجكجة" الإداري³، ولم يقدر لكبولاني البقاء طويلا بعد موت بكار حيث قتل هو الآخر على يد المجاهد سيدي ولد مولاي الزين 12 ماي 1905م.⁴

وحسب الرواية الفرنسية الرسمية أنه وفيما كان كزافييه كبولاني يعد العدة لحملة على إقليم أدرار، تعرض للاغتيال في يوم 12 مايو 1905، ببلدة تجكجة بموريتانيا و يرجع سبب مقتله أن بعض القوى الأجنبية وبعض تجار سان لويس (السنغال) كانوا منخرطين في عمليات تهريب

¹ علي سلمان البدوي، المصدر السابق، ص65.

² Robert Arnaud Randau, *op.cit*, p48.

³ شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق ، تاريخ أفريقيا الحديث و المعاصر ، دار الثقافة ، ط 1 ، الدوحة 1987 ، ص 21.

ينظر أيضا: علي سلمان البدوي، المرجع السابق، ص64.

⁴ المختار ولد محمد، المرجع السابق، ص102.

للسلاح غير الشرعية. هذا إضافة إلى ضلوعهم في تجارة الرقيق، ولذلك كانت تلك الأطراف ضد فرض الاستقرار والتهدئة في هذه المنطقة.¹

انتشر خبر مقتل كبولاني بسرعة في موريتانيا كاملة، حيث ترتبت عليه مباشرة نتائج خطيرة، فكل القبائل التي كانت قد دخلت في محادثات معه من أجل إعلان الخضوع للسلطة الفرنسية بفضل مهاراته، استعادت حريتها في التصرف وهناك قبائل أو فصائل سبق و أن أعلنت خضوعها تمرت بعد ذلك ، كما اعتبر كل من أمير أدرار و مرابط السمارة "ماء العينين" الذي حرض على قتل كبولاني هذا الحدث نجاحا مهما فأصبحت ثقتهم و تصميمهم على مواجهتنا بالمقاومة أكثر حيوية و أشد دعما.²

و خلف بعد ذلك كبولاني الرائد "مونتاني" (Montané) وقد زاد من المقاومة حماسا وقوة خصوصا على يد أمير أدرار ولد عيد والشيخ ماء العينين، وقد زادت شعبية هذا الأخير في أوساط القبائل الموريتانية، وفي ظل هذه الظروف الحرجة بالنسبة للفرنسيين فقد أخذوا الحيطة والحذر وحصنوا مراكزهم الدفاعية وذلك لحماية المناطق المحتلة و إخضاع المزيد من المناطق الموريتانية.³

و خلال سنة 1906م و رغم مقتل "كبولاني" منظر الحملة العسكرية على موريتانيا، سيتواصل الإخضاع العسكري لباقي للمناطق الموريتانية، فأقامت فرنسا مركز "أكجوجت" للربط

¹ La presse , **Colonies Troublées- Assassina de M . Coppolani au Sénégal**, (12^{eme} Année) Nouvelle S -N° 4745,Paris, samedi le 27 Mai 1905,p01.

² الرائد جيليه، المصدر السابق ، ص 158.

³ نفسه ، ص 159.

بين شمال أدرار والإمارات الجنوبية وذلك بأمر من الحاكم العم لإفريقيا الغربية الفرنسي وليام بونتي¹ (WILIAM Ponty).²

4- مقتل كبولاني :

بعد 29 يوما من قتله لفارس المقاومة الشهيد بكار ولد أسويد أحمد، أبطال المقاومة يأخذون بالثأر ويقتلون كبولاني في تجكجة، لم تمر فترة طويلة على استشهاد بكار حتى لقي كبولاني مصرعه على يد سيدي ولد الزين أحد مريدي الطريقة الغطفية³، و ذلك مساء الجمعة بتاريخ يوم 12 ماي 1905م، الذي قيل في بعض الروايات أنه رأى في منامه أنه قتل ثعبانا أسودا فأوله بأنه سيقتل "كبولاني"، فقام من عنده و هو مصمم على قتل كبولاني وأعد لذلك خطة محكمة تميزت بالسرية والجرأة، فانطلق سيدي بن مولاي الزين و رافقه عشرون رجلا مسلحا وكانت أسلحتهم من نوع قديم، و بعد وصولهم تمكنوا من دخول المعسكر و القضاء على كبولاني و ذلك بعد أن وجههم أحد الأعيان عن شكل المعسكر من الداخل.⁴

¹ وليام بونتي: كان الحاكم العام الفرنسي في السودان الغربي سنة 1893م و قام بسياسة التهدة و نبذ الفتن التي سنتهجها فرنسا في المنطقة و تمكن من دخول مدينة "تمبكتو" في نفس العام لكنه تخلى عنها بعدما توجه لمساعدة زميله الجنرال "جوفر" من الكمين الذي نصبه له الطوارق و أبادوا جميع أفراد فرقته، توفي سنة 1915م بعد معاناة كبيرة مع المرض. ينظر:

Acile Conklin, A Mission to civilize-The Republican Idea of Impire in France and West Africa 1895-1930 -, Stanford University Press, U.S.A, 1997, p107.

² Mauritanie Rapport d'Ensemble Année 1906-1908, Saint louis, Imp du Gouvernement , 1908,pp 05-07 .

³ الطريقة الغطفية: هي طريقة شاذلية أول مشايخها محمد الأغطف بن حمى الله ولد سالم الداودي الجعفري وعنه أخذها الشيخ المختار بن الطالب أعمر البصادي وتلقاها الشيخ سيد احمد بن عمار البصادي ابن عمه ولقبه الشيخ الغطف فنسبت له الطريقة ، كانت مؤسسة أهلية محكمة التنظيم جمعت بين التربية الزهدية الشعبية والنظام الإنتاجي والتجاري المحكم إلى جانب الدو السياسي و الاجتماعي. ينظر سيدي محمد ولد حديد: مقتل منظر الحملة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا

كزافي كبولاني (القصة الكاملة)، منشورات اتحاد الكتاب والأدباء الموريتانيين، موريتانيا، 2011 ، ص.07

⁴ نقيب ولد سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 08. ينظر أيضا:

Joseph Roger De Benoist , La place de la Mauritanie dans les institution de l'AOE, op.cit,p166.

❖ حسب الرواية الموريتانية:

وقد تواترت الروايات الشفوية من الثقات علي أنه قبل مجيء كبولاني إلي تكانت عاش الناس أزمة خوف من الحضور النصراني في بلاد المسلمين وحدث أن الشريف سيدي بن مولاي الزين رأى في المنام أنه قتل ثعبانا أسود الرأس ، فأوله بقتل الطاغية كبولاني . و كان للشريف شيخ هو محمد محمود، والد الشيخ القزواني توجه إليه وقص عليه الرؤيا ، وقال له ما معناه أنه سيقتل كبولاني ، فقال له محمد محمود: سأعينك بهذا السيف وأعطاه سيفاً كان عنده. فقام من عنده وهو مصمم علي قتل كبولاني وأعد لذلك خطة محكمة تميزت بالسرية و الجرأة .من واد محيرات بدأ سيدي بن مولاي الزين في إعداد و جمع عناصر خطته الجريئة، عليه أن يقود مجموعته عبر ممر غير سالك، يمتد لأكثر من ثلاثمائة و عشرين كيلومترا في ظرف قياسي. فأنطلق سيدي بن مولاي الزين من "الزرقة" في قلب آدرار، بين "شنقيط" و "أوجفت" ، و توجه إلي تحكجة قبل تاريخ العملية بثلاثة أسابيع و ذلك يوم 6 ماي 1905 وفي طريقه جند مجموعة من أفراد قبيلة إديشلي جلهم من (أهل تناكي) وأستطاع تعبئتهم بمهارة، نظرا لمكانته و وضعه الإجتماعي فرافقه عشرون رجلا مسلحا ، وكانت أسلحتهم من نوع قديم و رديء (أكشام) أما هو فكان لديه سيف أعطاه له الشيخ محمد محمود شيخ طائفة الغطف و هي طريقة صوفية . و تتكون الجماعة بالإضافة إلي قائدها سيدي من إبنه عبد الرحمن الملقب اللل والعربي بن زيدان، محمد السالك بن السالك الملقب الجاش، والسالك بن الدده و ول يما وسيد أحمد واحمد إبن عميره، و أسويدات بن أبياه ومحمد المختار بن سيدي بن ببيط الملقب أندمان وسيد احمد بن بن ويس، والكوري بن الشويخ، أحمد بن أعلي، و أحمد بن هنون، و محمد بن الصفرة، وأحمد بن لميلح ، و أحمد بن ميلود بن لفرك. و بعد إجتيازهم "الخط" الذي يفصل بين آدرار و تكانت في العاشر من ماي 1905م، أي بعد أربعة أيام من المسير حيث قطعوا أكثر من 150 كم ، ألتحق بهم أفراد

مجموعة الاستطلاع كل من: أحمد سالم بن آرکان وموسي بن بوييط و محمد بن عميرة وعبد الرحمن بن العبد و محمد بن بوييط وهؤلاء الخمسة كانوا مطاردين من قبل كبولاني.¹

وفي موضع "كيلمسي"² قرب لحويطات و الذي لا يبعد عن المعسكر إلا بحوالي 29 كم إتقوا بسيدي بن أحمد بن بوييط الذي أفرج عنه كبولاني بعد أن كان سجيناً في المعسكر، و طلبوا منه أن يرافقهم فأطلعهم على أن حالته الصحية لا تسمح له بذلك، وانه معروف من قبل الفرنسيين وساكني المعسكر.³ ولكنه وصف لهم الشكل الداخلي للمعسكر والتحركات العادية لأعضاء البعثة حسب أوقات النهار والليل و هو ما ساعدهم في إعداد المخطط و تنفيذه بدقة.⁴

كان من المستحيل تكتيكياً اقتحام الثكنة نهاراً فقد كان عدد الجنود كبيراً و هو ما أكدده لاحقاً الضابط فيرجينان، الذي تساءل في مذكراته قائلاً: «... كيف تمكن 20 فرداً من مهاجمة قلعة محصنة، تتشكل من 500 فرداً مسلحين تسليحاً جيداً، و لديهم مؤن كافية من الذخيرة...» ، و ما منع أيضاً سيدي مولاي الزين من الهجوم نهاراً هو إجراءات الأمان التي اتخذها كبولاني مؤخرًا ، حيث عمد إلى قطع الأشجار و النخيل المحيط بالثكنة و الذي يشكل ستراً لأي عملية تسلل محتملة.⁵

استقر رأي المجاهدين على الهجوم ليلاً ، مساء يوم 12 ماي 1905م عند صلاة العشاء و التسلل مع مع الرعاة الذين يجلبون الحليب ليلاً إلى القلعة، حيث دأب كبولاني على إرغام أهل

¹ أخيار بن الشيخ مامين، الشيخ ماء العينين - علماء و أمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي، ج2، مؤسسة أمر بيه ربه لإحياء التراث، المغرب، 2001م، ص216 .

² كلمسي: هضبة تحوي كهفاً ، تقع على بعد 20 كم إلى الشمال الغربي من مدينة تجكجة. ينظر: نقيب ولد سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 15.

³ محمد سعيد ولد هدي، ، في مقابلة مع مجلة التعليم، عدد27، سنة 1996، ص144.

⁴ نقيب ولد سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 19.

⁵ Commandant Frèrejean, Mauritanie 1903-1911 – Mémoire de randonnées de guerre au pays des bedanes, présenté par: Geneviève Désiré-Vuillemin, Ed Karthala ,Paris,1995,p306 .

تتحكجة علة جمع مواشيهم كل ليلة، عند الغروب أمام مدخل الثكنة، ليأخذ أفراد الحامية حاجياتهم من الحليب¹. بعد هذا اللقاء، توقف الشريف صحبة رفقته واخبرهم بالخطة التي سيتبعونها في القضاء على كبولاني، وطلب منهم أن لا يصدر أي تصرف من أحدهم حتي يسمعوا منه التكبير بعد أن يدخل إلى المعسكر²، وقال لهم أن اجتماعهم في هذا المكان سيجمعونه أيضا في ظلال الجنة، و أن إشارة أمر الانسحاب أن من يقتل كبولاني يصيح بأعلى صوته " مات كبولاني"³. فعاهدوه على إتباعه حتي النهاية ولما وصلوا بالقرب من تحكجة التقوا بمولي سبق أن خدم في معسكر كبولاني، فأخبرهم بحال المعسكر و بموقع الجنود وحالة الحرس وأعطاهم صورة عن الحائط الذي بداخله الثكنة وأفادهم بأن الحائط مربع الشكل وله باب شمالي، وآخر شرقي، وعند الباب الشمالي معظم الجنود ولآخر عنده قلة من الحرس. انقسمت الجماعة إلي فرقتين: فرقة معها الشريف سيدي، دخلت من الباب الشمالي وما إن ولج الشريف باب المعسكر حتى رفع صوته بالتكبير وأنقض على أحد الضباط بالسيف فشح رأسه، فأطلق الضابط الرصاص من مسدسه على الشريف فسقط شهيدا، فلما رأى أحمد بن هنون ما جرى لسيدي وثب نحوه فأصابته رصاصة سقط جوارها شهيدا، ثم جاء الكوري بن شويخ فأصابته أخرى فاستشهد⁴.

أما كبولاني فقد اقترب منه كل من سيدي أحمد بن عميره، واحمود بن اعلي الذي أطلق الرصاص على كبولاني على بعد عشر خطوات فقط، فأصابه إصابة قاتلة في البطن و مزقت أحشائه و اخترقت ظهره⁵، فصعد سيدي أحمد بن عميره على الحائط وصاح بأعلى صوته:

¹ Geneviève Désiré Vuillemin ,**Coppolani en Mauritanie ...**,op.cit,p329.

² Commandant Frèrejean , **op.cit**,p288 .

³ نقيب ولد سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 21.

⁴ المرجع نفسه، ص 27.

⁵ أخيار بن الشيخ مامينا، المصدر السابق، ص 222. نقلا عن :

Arnaud Robert, **op.cit** ,p222 .

كبولاني مات، عندئذ انسحبت الجماعة في اتجاه النخيل واتبعهم الجنود بوابل من الرصاص فأصابوا أحمد بن لميلح فسقط جريحاً ثم لحقوا به فأجهز عليه النقيب افيريجان.¹

❖ **حسب الرواية الفرنسية:** أما الرواية الفرنسية عن مقتل كبولاني فقد جاءت على لسان كل من "افيريجان" و"أرنو"، وهما شاهدا عيان، وهذا ملخص كلامهما، يقول فريرجان:

● **رواية افيريجان عن مقتل كبولاني، فيقول:** نهض كبولاني عن الطاولة حيث كان جالسا مع زملائه، لابسا ثوبا أبيض من رأسه إلى قدميه وذهب ليضع مرفقيه على جدار الحائط، إلى اليسار من باب الدخول، أمام مقر إقامته لينظر إلى القرية، كان الوقت التاسعة وخمس وعشرين دقيقة، أمام الباب يقف الحارس الذي عليه مراقبة النخيل المتناثر بين مكانه والقرية، فرأى ككل يوم عبدي ولد امبارك وسيدي ولد الزين يتقدمان وكانا يحملان اللبن لكبولاني، فنادى الحارس خادم كبولاني لأخذ اللبن². وبعد ذلك بقليل، الحارس نفسه رأى عددا من الرجال المسلحين يبرزون من النخيل، يركضون بسرعة نحو باب المعسكر وآخرين يركضون نحو مطبخ كبولاني، فأنذروهم ولما لم يردوا عليه أطلق الحارس النار، وانسحب نحو جدار الحائط الذي تسلقه بعض الرجال الذين وصلوا إلى مطبخ كبولاني، حيث أطلقوا نيرانهم على الطباخ وأخطؤوه، والذي جرد أحدهم سلاحه ثم قتله.³

أما كبولاني الذي كان مستندا إلى جدار الحائط مرتديا ثيابا بيضاء يتأمل القرية الكائنة أمامه ويستنشق الهواء، لكن نفسيته كانت مشتتة بين الإحباط والأمل⁴، والذي أنهى حوارا للتو أخبروه فيه عن قرار رفض وزير المستعمرات لأي مغامرة على أدرار⁵، فقد نادى خادمه بصوت

¹ سعد خليل ، تكوين موريتانيا الحديثة ، ج2، أطروحة لنيل درجة الماجستير، القاهرة، 1977م، ص 298.

²George Coppolani , op.cit,p187.

³ Commandant Frèrejean , op.cit,p285.

⁴ أخيار بن الشيخ مامينا ، المصدر السابق، ص221.

⁵ محمد السعيد بن همدي، المرجع السابق، ص134.

مرتفع: "ديالو"¹ اثني بمسدسي" وبعد ذلك، وقد نفذ صبره في انتظار سلاحه، اتجه إلى إقامته، في هذه اللحظة وعلى أقل من عشر خطوات تلقى طلقة نارية من مهاجمين خارجين من ممر المدخل، أصابته بجروح ليختفي في غرفته²، وتسارع المهاجمون نحو الإقامة حيث تبع بعضهم كبولاني وأطلقوا النار على الغرفة التي دخل إليها، ابتداء من هذه اللحظة بدأ تراشق النيران في كل مكان تقريبا وارتفع الصراخ وطلقات البنادق من كل جانب في المعسكر. جزء من المهاجمين تسلقوا جدار الحائط وفاجئوا مجموعة حرس كبولاني من السودانيين من فرقة "إتيفيان" و هم في أول نومهم، حيث ارتقوا إلى الورا في فوضى وارتباك وتراجعوا حتى الزاوية الشمالية للمعسكر. هنا أرغمهم الرقيب "مريه" المكلف المحاسب على المواجهة وتمكن من دفعهم إلى الأمام. وكان هذا العمل البطولي، محرضا لحرس كبولاني على دفع البيضان إلى الورا، وفي نفس الوقت أرسلوا وابلا من الرصاص داخل المعسكر، وخاصة في ظهور الرماة المهاجمين من كل جهة دون استثناء.³

أما المجموعة الأخرى فقد انقضت على المدخل الكبير وهم يصيحون الله أكبر واندفعوا في الممر، يطلقون بعض الرصاص في المقر الذي فيه الطبيب، ولحسن الحظ لم يتحرك. وتوجهوا إلى غرفة "كلنبالي" هذا الأخير الذي بشجاعة ارتقى وسطهم ذاهبا لإنذار كبولاني في إقامته، ولكن البيضان الذين كانوا في حالة اندفاع لدرجة كبيرة، لم يستطيعوا تصويب بنادقهم نحو "كلنبالي"، واستحال عليهم كذلك إخراج خناجرهم لظعنه، و بعد أن تخلص منهم باللكمات، أطلق ساقيه للعدو وسط وابل من الرصاص يطلقه عليه البيضان والرماة الذين كانوا يردون بدورهم نحو مقر الملازم شيري إلى اليسار قليلا من الإقامة، في هذه اللحظة تلقى كبولاني الضربة القاضية.

عندما كان بعض البيضان يتبعون كبولاني في الإقامة كان أكبر عدد من المهاجمين يواجه الرماة الذين فتحوا النار. وعناصر المجموعة الأولى بعد أن أطلقوا النار في الإقامة تراموا مارين خلف

¹ ديالو: الطباخ الشخصي لكزافيي كبولاني. ينظر: نقيب ولد سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 27.

²George Coppolani, *op.cit*, p187.

³Commandant Frèrejean, *op.cit*, p 285.

الإقامة إلى باطن الكثيب منحدرين نحو المعسكر ما بين الإقامة وخيمة الترجمان ابن المقداد، هنا كنت أنام هذه الليلة كالعادة.¹

وفي مغبأ الملازم شيري قام المهاجمون الذين أطلقوا النار على مقر الإقامة، حيث كنت أتجول، بإطلاق النار أيضا على الرماة، وبعد ذلك احتل بعضهم مدخل الممر، و التقوا بأولئك الذين هربوا أمام مجموعة "إتيفان"، وانضم الجميع مزدحمين للخروج فانتهز الملازم "شيري" فرصة هذه الفوضى وأخذ أربعة أو خمسة من الرماة وحرية وأجهز على هذه الشرذمة التي تم الضغط عليها أيضا من الملازم "إتيفان" والجميع يسبح في دماء الجرحى.

بعض من هؤلاء المحاصرين تمكن من الهرب، ومنذ ذلك الحين أصبح باب المدخل مفتوحا وتوقفت المعركة داخل المعسكر. عند الطلقات الأولى يذكر الملازم "اتيفان" أنه ركض نحو جنوده السنغاليين ومسدسه بيده ، و أوقف الرقيب "مريه" تراجع الجنود حيث وثب إلى الأمام لدفع جنوده نحو الهجوم، في هذه اللحظة تلقى الملازم، "اتيفان" ضربة على رأسه بسيف شيطان كبير، على رأسه شاشية، هو بطبيعة الحال قائد البيضان المهاجمين. وبطلقة مسدس صرع "اتيفان" مهاجمه وأجهز عليه بطلقة أخرى ثم بنفس سيفه غرزه بالأرض.²

• أما رواية أرنو عن مقتل كبولاني، فيقول:

قبل الهجوم، كان كبولاني متمددا على كرسي كبير، مستغرقا في تفكير عميق وخاطب النقيب جرار قائلا: "كم هو مزعج عدم استمرارنا في الزحف على آدرار" ، بعدها وقف كبولاني وقال: يا جرار أنا ذاهب لأنام، ولكن بدلا من أن يدخل إلى خيمته التي ينام فيها ذهب ليستنشق الهواء النقي، واستند إلى الحائط الذي هو إلى اليسار عن باب المعسكر قرب المطبخ.³

¹ Commandant Frèrejean, **op.cit**, p286.

² La Dépêche Coloniale illustre ,Rand.R: **La Mort de Coppolani**, (6^{eme} Année) N° 03, Paris, 15 février 1906, p32.

³ Arnaud Robert, **op.cit** ,P 222 .

في هذه اللحظة فوجئ بحركة غير عادية في الخارج وصاح: "دالو مسدسي" انطلقت عدة عيارات ناري، حيث خمسة أو ستة مسلحين من المور ببنادق ذات طلقتين يداهمون الممر المغطى غير المحروس، والذين يعتبر المدخل الرئيسي للمعسكر زهاء خمسة عشر وثبوا من فوق السور الصغير الشمالي الذي على امتداده ينام جنود الملازم "إتيفيان" (ETIEVANT). كما تمت مفاجأة صنبا، طباخ كوبولاني، بتدخل أحد المور وسدد نحوه وصاح الله أكبر ووثب نحوه وانطلقت الرصاصة ولم تصبه، فنزع الطباخ السلاح من يد مهاجمه و قتله.¹

في تلك اللحظة وجدت صديقي القديم قد أصيب بجرح قاتل على عتبة غرفته، وجدت كبولاني مستندا إلى إطار الباب². ويصف هنا كل من كلومباني من خلال رسالة أرسلها إلى زوجة كبولاني وشقيقه اللحظات الأخيرة قبل موته بقوله: « وصلت أنا و الضابط شيري إليه في البداية وحاولنا رفعه إلى سريره، ثم لحق بنا البقية حيث حاول الطبيب تقديم الإسعافات، لكن جروحه كانت مميتة»، و أضاف قائلا: «...سألني هل كولمباني هنا؟ قلت نعم. ثم سألني هل أصيب أحد من الأوربيين و في هذه اللحظة فقد حياته³. و كانت الساعة حوالي التاسعة و النصف، أي نصف ساعة بعد بداية الهجوم⁴. كما ذكر أيضا ما قاله روبرت أرنو في كتابه، عن نظراته إلى هذا الأخير لحظة موته و هو يقول له بصوت ضعيف ولكنه هادئ: «أرنو أنا ميت، لقد قتلتني البؤساء»⁵. لاحظت عندها أن الدماء تسيل بغزارة على ملبسه البيضاء. توجهت للبحث عن طبيب البعثة، ثم رافقته إلى غرفته عند حراسة المدخل القريبة من غرفة "كلبان"، حيث تم تضميده ولم تتغلب على الجراح الكثيرة بسبب العديد من الرصاص. عدنا به إلى غرفة الأكل حيث تم تمديد

¹ George Coppolani ,op.cit,p187.

²Arnaud Robert, op.cit ,P222 .

³ George Coppolani ,op.cit,p188.

⁴ La presse , Colonies Troublées- Assassina de M . Coppolani au Sénégal, (12^{eme} Année) Nouvelle S -N° 4745,Paris, samedi le 27 Mai 1905,P01.

⁵ George Coppolani ,op.cit,p188.

كبولاني على الحصار الذي كان يغطي طاولة كبيرة، لم يفقد وعيه، وما زال صابرا وصامتا نزعنا عنه ملابسه بمقص، وتركناه عاريا و الدم يسيل بغزارة من جرحيه، أحدهما أسفل ثديه الأيسر والآخر في وسط جوفه، وقد لاحظنا عندما حاولنا رفعه قليلا بقعة من الدم تحته، فأخبرني الطبيب أن اختراق الرصاص الذي أصابه في الجوف قد مزق ظهره . إنه قد أطلق عليه الرصاص عن قرب "يقول أرنو: كان أحد المهاجمين يبصر المفوض كبولاني وأطلق النار عليه عن كثب ، ولما أحس كبولاني أنه أصيب عاد أدراجه في الممر الضيق بين محل الإقامة وخيمة البواب، واستطاع أن يصل إلى غرفة الأكل التي تعرضت لكثير من الرصاص. ¹ ظهر أحد المور وقد وخطه الشيب فجأة أمام الملازم "أتيغان" وقد حمل بيديه كليهما سيفاً يريد ضرب رأس الضابط وبدفعة من الملازم استطاع أن يجندل المهاجم أرضاً ونزع السيف منه وغرز السيف في بطنه، وبعد هذا بقليل فر المهاجمون.¹

أسفر هذا الهجوم عن سقوط أربعة شهداء في ساحة المعركة هم: الشريف سيدي بن مولاي الزين، وأحمد بن هنون، والكوري بن شويخ، وأحمد بن لميلح وجرح سبعة من بينهم: السالك بن الدد، وأحمود بن أعليه، وأحمد بن عميره بن أباه الذي أمسكه الجنود بعد يومين، ولم يغنم المهاجدون سوى بنقديّة واحدة ذات طلقات بعيدة وكانت من نصيب السالك بن الدد.² وكانت الخسائر الفرنسية بالإضافة إلى كبولاني هي قتيلين و أحد عشر جريحاً.³

رفض النقيب "افيرجان" أن يدفن الشهداء، ولم يكتف بهذا فقط بل أقدم على عمل إجرامي وهمجي، يتعارض مع أبسط القيم والأخلاق، ذلك أنه جعل الشهداء جميعاً في حفرة وأضرم عليهم النار، الأمر الذي أوجب غضب المسلمين، وأثار حفيظة محمد المختار بن الحامد

¹ Arnaud Robert, *op.cit* ,P223.

² سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق ، ص 29.

³ La presse , Colonies Troublées, *op.cit* ,P01.

(واحد من كبار أبطال المقاومة كاتب الفرنسيين في البداية ثم أنقلب عليهم أثناء معركة النيملان المشهورة) الذي كان حاضرا تلك الليلة.¹

تم تشكيل محكمة عسكرية صورية بمبادرة من النقيب فريجان لمحاكمة أحمد بن أباه الذي عثر عليه جريحا، وتشكلت هيئة المحكمة على النحو التالي: الرئيس النقيب أفريجان، الأعضاء النقيب "جيرار"، "أرنو" وهو إداري مساعد، والملازم "ديلافو"، والملازم "شري" مقرر وابن المقداد مترجم.

اجتمعت المحكمة على الساعة الرابعة مساء في مقر إقامة كبولاني، لم تستغرق المحاكمة سوى وقت قصير حكم على أحمد بن أباه بالقتل شنقا، وبعد صدور الحكم عليه، أخبره الترجمان ولد ابن المقداد بأنه سيقتل، فرد علي بكل هدوء: الله أكبر، ولم يزد وكان المتهم قد أصيب بجرح بالغ ومع ذلك لم يكثر وقت المحاكمة بالأسئلة التي كان يوجهها إليه رئيس المحكمة.²

في اليوم الموالي للهجوم قام النقيب أفريجان باعتقال حوالي أربعين رجلا من إدوعللي، بتهمة الضلوع في مقتل كبولاني، وحدثني الحضرمي بن خطري أن من بين المعتقلين: حمود بن أحمد البشير وسيدي محمد بن محمد بن سيدي عبد الله، وسيدي أحمد باب بن جدو، ومحمد الأمين بن عبد القادر، وسيدي بن الزين وعبدي بن امبارك، وظلوا في السجن حتى عثر على الجريح أحمد بن أباه وأعلن عن لا علاقة لأهل تحكجة بهذا الهجوم، فتم الإفراج عنهم. تعرض بعض المعتقلين للضرب أثناء الاعتقال، خاصة من كان منهم وثيق الصلة بكبولاني فقد ضرب حتى سلخ في ثيابه.³

¹ أخيار بن محمد مامينا، المصدر السابق، ص 218.

² محمد سعيد بن همدى، المرجع السابق، 135.

³ Commandant Frèrejean, **op.cit**, p 298.

موت كبولاني، أصيبت سلطات الاحتلال بصدمة معنوية كبيرة لها تبعاتها السياسية والعسكرية ومني مخطط كبولاني بالإخفاق، مما جعل بعض الموظفين الفرنسيين والتجار في سان لويس يطالبون بمراجعة للسياسة التي اتبعها كبولاني، في بلاد البيضان، والتي رأوا فيها إضرارا بمصالحهم، وألحوا على إعادة السلم مع التراززة والبراكنة، وإلغاء سياسة الاحتلال السلمي التي ليست في الحقيقة سوى غزو مسلح لصحاري خالية.

وقد علق العقيد "مونتاني كاب دي بوسك" علي مقتل كبولاني في محاضرة ألقاها في ندوة دراسية بالجزائر: «وبالفعل فإن المشكلة الأساسية التي واجهناها إلي حد الآن ظلت دائما منبعثة من الخارج، وتكشف باستمرار عن دور شخصي أساسي للشيخ ماء العينين فمن ما لا شك فيه أن اغتيال كبولاني في مايو 1905 تم بإيعاز منه ويختم العقيد مونتاني محاضرتة قائلا:» في نهاية 1906 لم يكن احتلال تكانت من لدن القبائل المتمردة في آدرار إلا بفعل تدبير الشيخ ماء العينين ونتيجة للدسائس التي كان يحيكها في فاس ومراكش وعليه فان مسؤولياته عن العمليات الهجومية التي شنها المتمردون مؤخرا غدت أمرا جليا»¹

يلق جليليه على موت كبولاني وما خلفته من نتائج خطيرة على السياسة الفرنسية في البلاد قائلا: «انتشر خبر مقتل كبولاني بسرعة في موريتانيا كاملة، حيث ترتبت عليه مباشرة النتائج الخطيرة.. فكل القبائل التي كانت قد دخلت في محادثات من أجل إعلان الخضوع بفضل مهاراته في المعلومات استعادت فورا حريتها في التصرف، وهناك قبائل أو فصائل سبق أن أعلنت خضوعها ذهبت متمردة، وأمير آدرار وكذلك مرابط السمارة ماء العينين والذي حرض على قتل كبولاني يعتبران هذا الحدث نجاحا مهما فأصبحت ثقته وتصميمهم على مواجهتنا بالمقاومة أكثر حيوية وأشد دعما» ثم يصف جليليه أوضاع البلد ويعترف بإزدياد وتيرة هجمات المقاومة وقوة تنظيمها ... ويقول «إن الرجل الذي سيكون أخطر عدو لنا في موريتانيا هو شيخ السمارة،

¹ نقلا عن : الرائد جليليه، المصدر السابق ، ص 157 .

فقد برز جليا للعيان بعد مقتل كبولاني فإنه هو الذي من زاويته ينظم المقاومة ضدنا، فقد كتب إلي كل مشايخ موريتانيا يستحثهم علي حمل السلاح، لمقاومة تقدمنا وطردها إلي الجنوب و أرسل مبعوثين يجوبون مخيمات تكانت وأرقبية والحوض، وحتى المناطق الخاضعة لنا من موريتانيا السفلي داعيا إلي الجهاد وعدم تقديم السلاح والذخيرة وبدعم سلطان المغرب. وقد وجد نداءه صدى إيجابيا في آدرار القريب منه وكان الأمير الشاب ولد عيدة الذي تربى في زاويته مستجيبا له كل الاستجابة.... ولم يقتصر عماه إلي الجانب المعنوي بل أمد أعدنا بالسلاح المتطور والذخيرة»¹.

وفي سنة 1905 بعد موت كبولاني أحال العقيد " مونتاني كاب دي بوسك " الذي خلف كبولاني في مهمته نسخة من رسالة ضبطت عند أحد عناصر الشيخ ماء لعينين، وقد وجهها الشيخ إلي ولد عيدة، وأهل أسويد أحمد، و أهل سيدي محمود، ومشظوف إلي الحاكم العام الفرنسي في السنغال مع التعليق التالي: «الشيخ ماء العينين العدو اللدود لتوسعنا في آدرار، يستغل تأثيره القوي علي طائفة العظف التي أستطاع أن يحركها لشن حملة عنيفة ضد سلفي المأسوف عليه التي آلت إلي اغتيال ممثل فرنسا في تجكجة»².

وذكر سعد خليل: "أن الشيخ ماء العينين حاول أن يمنع بأي ثمن وصول كوبولاني إلي آدرار فإقليم آدرار يعتبر مفتاح موريتانيا، ومن يسيطر عليه يمكنه أن يتقدم شمالا نحو مراكش، أو غربا نحو الساقية الحمراء، ولذلك توسط للمصالحة بين قبيلة الرقيبات وقبيلة أولاد غيلان حتى يقفوا ضد الفرنسيين، كما ذهب نجله الشيخ حسنا ليحتمع بقبيلة إدوعيش في تكانت ولينبئهم بقرب وجود قوات من مراكش".³

¹ الرائد جليليه، المصدر السابق، ص 159.

² سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 31.

³ نقلا عن: سعد خليل، المرجع السابق، ص 301.

لقد مات كبولاني وهو على ذراعي صديقه الوفي روبرت راندو، الذي حارب معه سوياً ضد الممارسات الاسترقاقية في السودان الفرنسي. ويوجد قبر كبولاني حتى الآن في تحكجة. وقد استمر الشيخ ماء العينين في تعبئة رجال دين آخرين، بدافع من وعود ملك المغرب. وفي سنة 1908 تولى العقيد "جورو" قيادة القوات العسكرية في أراضي الإقليم الموريتاني، المتأسس سنة 1904. وكانت تلك هي نهاية أطروحة كبولاني.¹

5- السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا بعد كبولاني:

و حفاظا على ما تحقق كسبه عن طريق سياسة كبولاني خلال الفترة الماضية و في ظل هذه التحديات القائمة ، تم إنشاء الكثير من المراكز المهمة للدفاع عن المناطق التي بسطت عليها اليد من قبل المستعمر، و لصد الجماعات التي تقوم بعمليات السلب والنهب ضد القبائل التي انضوت تحت لواء المستعمر الفرنسي، و من هنا تم إخضاع ولاية "انشيري" و "العصابة" و في هذه الأثناء استقرت سرية من المدفيعين السنغاليين في "أمبود" وتم أنشأ بعد ذلك مركزا للتموين في "أكجوجت". أنشئت هذه المراكز من أجل قطع الطريق على السالكين لهذا الطريق الرابط بين شمال أدرار والقبائل الموريتانية الأخرى في الجنوب، وبعد ذلك خضعت لعصابة مباشرة وأسست فيها مركزا آخر حمل نفس المهمة.

إلا أن الرأس المدبر للاستعمار قتل قبل إكمال مهمته ليتواصل بعد ذلك المشروع و إن اختلف في الطابع من دبلوماسي إلى عسكري و بأوامر و تعليمات مباشرة من الوالي العام لإفريقيا الغربية "ويليام بونتي"² الذي حدد بقوله أن: " القبائل البيضانية تنتقل في مقاومتها بين ثلاث مناطق وهي:(النهر-تكانت-أدرار) و تنتقل هذه القبائل بين هذه المناطق باستمرار ويكفي

¹ Frébourg Cécile, Coppolani revisité...,op.cit,p625.

² علي سلمان البدوي، المرجع السابق، ص66.

أن تصبح سيدا على هذه المناطق باعتبارها مراكز تمويل حتى تنفرد بالسيطرة على القبائل المشار إليها، إنا قد حصلنا على النهر و تكانت و يبقى لنا أن نضمن سلطتنا على أدرار.¹

5-1- احتلال أدرار:

استطاع القائد "مونتاني" الذي خلف كبولاني من تحقيق الهدوء داخل المستعمرات الفرنسية بعد احتلال تكانت² و لو بنسبة قليلة لكن ليس لوقت طويل، حيث انفجرت نار الثورة في "أدرار" التي التف حول زعيمها "ولد عيد" و "الشيخ ماء العينين" ، في الوقت الذي أعلن فيه هذا الأخير الجهاد لإيقاف التوسع الفرنسي العديد من المقاومين الذين استوقدت فيهم نار الحماس وخصوصا بعد مقتل كبولاني، حيث دعا "ولد عيد" إلى الجهاد لوقف الزحف الفرنسي.³

وقد كان غزو أدرار في بداية الأمر سلميا و دبلوماسيا حيث استفاد "مونتاني" من ود الموالين للنظام الاستعماري ، بينما مهد للجنرال "غورو"⁴ و الذي سيحل محله و يسيطر على مدينة "أطار" عاصمة إقليم "أدرار" سنة 1909م و التي جعلها كبداية لحملة العسكرية ضد هذا الإقليم، وقد استفاد الجنرال "غورو" من التجربة السابقة لكبولاني و ذلك بالإطلاع على تضاريس موريتانيا وبنيتها الاجتماعية⁵، حيث أعرب عن نواياه الطيبة و احترامه للدين الإسلامي و بذلك توافدت إليه القبائل طلبا للسلم و الأمان، و في نفس الوقت فقد كثف المقاومون الموريتانيون من عملياتهم العسكرية ضد الفرنسيين، و في هذا السياق توجهت حملة فرنسية بقيادة الضابط "ريو" فاستولى على منطقة "اكجوجت" ثم أخذ طريقه نحو "أدرار"

¹ Mamadou Amadou-Ba , L'Adrar dans l'Anarchie , Bulltin de renseignement coloniaux, n2, Paris,p29.

² Commandant Frèrejean : op.cit, p364.

³ Ibrahima Abou Sall , op.cit, p373.

⁴ غورو **Gouraud** : هنري أوجين غورو جوزيف (1867-1946) الجنرال الفرنسي في مستعمرات السودان الفرنسي ، المفوض السامي للحكومة الفرنسية في المشرق العربي من 1919 إلى 1923 والحاكم العسكري لباريس في الفترة من 1923 إلى 1937. ينظر:

Robert Loulan , Le général Gouraud –Chef et Soldat illustre-, Dimanche illustre, N° 789,Paris, 10 avril 1938, p05.

⁵ Bernus Edmond et autres , op.cit, p24.

لاحتلالها، لكن ما إن وصل إلى منطقة "أكراوت" حتى لقي مقاومة عنيفة من الثوار المتربصين هناك و جرت بينهما معركة رهيبة كانت أولى المعارك التي تقع في منطقة "أدرار" و على اثر ذلك تمكنوا من قتل الضابط ريبو (Ribot) قائد الحملة كما استشهد منهم ثلاثة مقاتلين ثم اتجه البقية نحو اكجوجت وحرروها من الحامية الفرنسية الموجودة هناك، و وصلوا مطاردة الفرنسيين.¹

و قد أظهر خلالها الثوار شجاعة منقطعة النظير تمكنوا من خلالها من قتل الضابط "ريبو" قائد الحملة كما استشهد منهم ثلاثة مقاتلين ثم اتجه البقية نحو "اكجوجت" و حرروها من الحامية الفرنسية الموجودة هناك، و وصلوا مطاردة الفرنسيين ، و إثر ذلك انسحب مع تبقى في الحامية وخلال سنتي 1906-1908م كان الفرنسيون يريدون إخضاع أدرار بشتى الطرق السانحة لذلك، ولما رأى المقاومون الموريتانيون ذلك تيقنوا أنهم يجب عليهم القضاء على هذه الحملة أو على الأقل القيام بشلها، فدارت بينهما معركة في مكان يسمى "واحة المنيان" وقد خسرت فيها فرنسا خسارة فادحة جدا وقتل قائد الحملة "مانجين" كما أخذ الثوار المقاومين الأسلحة والجمال.² وبهذه العمليات أثبت المقاومون لفرنسا أن أدرار لا تال شامخة وواقفة في وجههم رغم فقدانها مصدر السلاح من المغرب ، و لكن في هذه الأثناء تمكن الفرنسيون من إعداد حملة كبيرة تتكون من 1000 جندي من بينهم 700 من الرماة 240 جمل و من الفرسان 30 من أصحاب المدافع الثقيلة 30 و 150-200 من الجنديين الموريتانيين وكان القائد "غورو" يرى أن هذه القوات التي لديه تستطيع القضاء على الثوار، وقد انقسمت هذه الحملة إلى فرقتين بقيادة "غورو"

¹ Paul Marty, Les Tribues de la Haute Mauritanie, Paris,1915,p45.

² Le commandant Frèrejean Vuillemin G, Un Pionnier de Mauritanie. In : Revue d'histoire des colonies , T 36,n125,Premier trimestre1949,pp 1-23.

الأولى ذلك باتجاه "تجكجة" و الثانية بقيادة الرائد "أفيريجان"¹ التي إنطلقت من التراززة لتلتقي مع فرقة "غورو" على مشارف "أطار"² عاصمة أدرار .

وقد دارت معارك طاحنة بين الجانبين كانت نتائجها سقوط العديد من القتلى و الجرحى من الطرفين و لكن الفرنسيين استطاعوا دخول "أطار" سنة 1909 م ، كما طلب أهلها الأمان نظير دفع 15 طن من التمر، لكن المقاومين تحينوا الفرصة و أغاروا على الحملة الفرنسية و تمكنوا من قتل عدد من الجنود و الرماة السنغاليين، و برهنوا على أن المقاومة مازالت متواصلة رغم فقدانها لقاعدتها الأساسية في أطار، لكن الضعف بدأ يدب فيها و ذلك لحدثة و تطور الأسلحة الفرنسية مقابل أسلحتهم .

5-2- احتلال تشيشت:

واصل الفرنسيون زحفهم نحو دواخل موريتانيا ، حيث قاموا بحملات أخرى بعدما تمكنوا من السيطرة على أدرار بغية إخضاع ما تبقى من الأراضي الموريتانية ، حيث صدر قرار القيام بحملة عسكرية سنة 1911 م وهذا لقيام بعلميتين متزامنتين في آن واحد، حيث تقوم الفرق الموريتانية باستطلاع تشيشت في، ومن جهة أخرى تقوم فرق تمبكتو باستطلاع منطقة ولاته ولاته.³

وبالفعل تمكنت فرقة تمبكتو من الدخول إلى ولاته تحت قيادة العقيد "روي" (Roulet)، في حين أن الفرق الموريتانية التي تشكلت في تجكجة تحت قيادة "باتي" (Paty)، تمكنت هي الأخرى من تطبيق الحوض لتصبح هذه المناطق تحت السيطرة الفرنسية ، حيث بعد سيطرة

¹ لويس فريريجان: (1869-1917) أحد الضباط في الجيش الفرنسي كان من قادة الحملة على موريتانيا في مطلع القرن العشرين و استطاع تجنيد العديد من أفراد القبائل و أخضعهم لأوامره و يمكن تشبيهه بلورنس العرب في شبه الجزيرة العربية فيما يخص تأقلمه مع البيئة البدوية و التعامل مع سكانها . ينظر علي سلمان البدوي ، المرجع السابق ، ص68.

² أطار: مدينة موريتاني يقال أنها بنيت لأول مرة غربي البطحاء في أواخر القرن التاسع هجري، و هي الآن عاصمة إقليم أدرار. ينظر: نفسه، ص68.

³ Etienne Richet , La Mauritanie, Emile larose libraire editeur, Paris ,1920,pp 217-230.

الفرنسيين على أدرار قاموا بحملات أخرى لإخضاع ما تبقى من الأراضي الموريتانية ، و أصبحت هذه الأخيرة تحت السيطرة الفرنسية مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914.¹

3-5- السياسة الفرنسية في موريتانيا:

بلغت مساحات المستعمرات الفرنسية في إفريقيا ضعف مساحة المستعمرات البريطانية، فتبلغ مساحة إفريقيا الغربية الفرنسية حوالي 1850000 ميل وتغطي إفريقيا الاستوائية الفرنسية حوالي مليون ميل مربع آخر، و امتدت المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا من داكار غربا حتى بحيرة تشاد شرقا، ومن الصحراء شمالا حتى خليج غينيا جنوبا طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من 2000 ميل و من الشمال للجنوب حوالي 1500 ميل ، و رغم امتداد المستعمرات الفرنسية في هذه المسافة الشاسعة من غرب إفريقيا ، إلى أن فرنسا أرادت رغم اتساع هذه المساحة إذ تصبغ المنطقة بالصبغة الفرنسية² ، وبذلك فرضت فرنسا على المنطقة ما عرف سياسة الفرنسة أو الاندماج (assimilation) ، والتي كان معناها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية وفرض الثقافة والتقاليد والنظم الفرنسية وتسريب الثقافة الفرنسية للأفارقة والارتباط تاريخيا و اجتماعيا وسياسيا للأمم الكبرى فرنسا³، لذا اعتقد الفرنسيون أن أعظم منحة يقدمونها للأفارقة في المستعمرات هي ثقافتهم و لغتهم و نظمهم و مبادئهم و قدمهم، وهذا الاعتقاد ينبع من النهضة التاريخية التي انتابت فرنسا عقب الثورة الفرنسية ، فبعد الثورة وجد الحكام الجدد أن المستعمرات في ذلك الوقت تخضع لعمليات دمج كاملة في النظم و الإدارة و القانون، فارتبط هذا الواقع العملي في أذهانهم بالأساس الفلسفي للثورة، إن هذا الإيمان الفلسفي العميق الذي انتاب الساسة الفرنسيين بعد الثورة أصبح أداة للتوسع الاستعماري و غزو أراضي إفريقيا، و التبرير الذي يقدمه الساسة الفرنسيون أنه يجب على أهل المستعمرات معرفة مآثر و محاسن النظم الفرنسية، وأن

¹ Ibrahima Abou sall, op.cit, p376.

² صلاح صبري ، إفريقيا وراء الصحراء ، القاهرة 1960، ص 176.

³ شوقي الجمل ، المرجع السابق، ص 527

كل تقدم و رقي يصيبهم لن يأتي إلا عن طريق الثقافة و اللغة الفرنسية ، و لذلك عندما استكملت فرنسا توسعها في غرب إفريقيا عملت على إدماج الأقاليم إدماجاً كاملاً مع فرنسا وربطها في وحدة سياسية واقتصادية و اجتماعية و ثقافية واحدة، و كذلك حاربت فرنسا الثقافات الإفريقية و ظهرت في المنطقة "النصرة الفرنسية" ونشرت فرنسا بين الأفارقة بأن ثقافتها أسمى الثقافات و أفضلها، و أن مهمتهم التي خلقوا من أجلها هي حمل هذه الثقافة إلى العالم، ولكن في الواقع هذا الرأي يتنافى مع الحقيقة ففرنسا لم تعمل على إحلال السلام و إنما فرضت سيطرتها بالقوة على شعوب المنطقة¹، و ترتب على سياسة الفرنسية ظهور قانون الأنديجينا INDIGENAT وكان الهدف من هذا القانون هو تطبيق سياسة الفرنسية على جميع الأفارقة بمختلف مستوياتهم و مكانتهم الاجتماعية أي فرنسة جماعية، و بمقتضى هذا القانون أصبح القواد الفرنسيون هم أصحاب السلطة المطلقة ولم يكن من حق الأفارقة الاعتراض.²

ولكن رغم جهود فرنسا لم تنجح المحاولة في فرض سياسة الفرنسية على جميع الأفارقة، وقد نادى بعض الكتاب الفرنسيين بضرورة إتباع سياسة جديدة في المستعمرات، و في مقدمة هؤلاء "جول هارموند" الذي دعا إلى ما عرف بسياسة المشاركة وتعبير "جول فيري" أحد أعلام هذا الاتجاه وهو يرى انه يجب إعادة تنظيم العلاقة بين فرنسا والمستعمرات في أشكال إدارية، تقوم على المنطقة الاقتصادية وهذا استلزم تغيير الأساس الإداري و التنظيمي الذي نمت و توسعت في جوه سياسة الفرنسية.³

وحتى يتمكن المستعمر أحكام قبضته على المنطقة وعلى سكانها في موريتانيا، عين على رأس كل قبيلة رجل يدافع عن مصالح الاستعمار هذا بالإضافة إلى استعماله لبعض الأشخاص من

¹ زاهر رياض، المرجع السابق، ص 121

² الهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 217.

³ شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 526

ضعيفي الضمائر عرفوا محليا باسم " كميات " لاضطهادها لمواطنين، وانتزاع ممتلكاتها هذا بالإضافة إلى حمايتهم العسكرية للفرنسيين و قد كان المستعمر يحاول من وراء هذه السياسة الخبيثة .

و القائمة على الأعمال الوحشية المتمثلة في اغتصاب المحاصيل الزراعية و الماشية و لإبل يهدف إلى دفع السكان إلى الدخول في أحضانه، فيزداد أعداد أتباعه الشيء الذي يساعده في الأعمال الحربية، وقد مر تنظيم الحياة السياسية بعد دخول الاستعمار بأربع مراحل عرفت لها جل المستعمرات الفرنسية في ذلك العهد وهي: ¹

- سياسة الأجناس
- سياسة الإدماج
- سياسة الإشراف
- الاتحاد الفرنسي

والمعروف أن النفوذ الاستعماري الزاحف قد افسد المجتمع الإفريقي بصفة عامة والمجتمع الموريتاني بصفة خاصة، وقضي على عوامل الازدهار فيه و حاول أن يغير صورة التاريخ و الحاضر القوي و يقضي على آثاره الحية، و ذلك كمحاولة لتصوير الوجود الاستعماري بأنه كان عاملا من عوامل التنوير والثقافة والنهضة، والحق أن المستعمرين ادخلوا نظمهم السياسية و قواهم العسكرية ومنظمتهم التبشيرية إلى إفريقيا، وقضوا على السلطات الإسلامية ووضعوها تحت الوصاية وفرضوا العزلة على هذه البلاد وقطعوا صلاتها بالعالم الخارجي، ونهبوا ثروتها واستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة الإسلامية حربا غير متكافئة، وفرضوا لغاتهم وأنشئوا المدارس التي تثبت ثقافتهم وأفكارهم وخاض الإسلام في إفريقيا معركة حياة أو موت، وهي حركة يرى الدكتور حسن محمود أنها لم يؤرخ لها بعد تاريخيا شافيا، وبالجملة فإن الاستعمار قاوم الإسلام والثقافة العربية والتاريخ واللغة العربية

¹ علي بدوي علي سلمان ، المرجع السابق ، ص 76

جميعا خلال أكثر من قرن كامل، في نفس الوقت الذي شق الإسلام طريقه و توسع حتى أحاط بالقارة إحاطة شاملة وفرض نفوذه الفكري و الثقافي و الاجتماعي تقدمي واضح الأثر¹ .

خضعت موريتانيا للاحتلال الفرنسي في مختلف جوانب الحياة السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعاشت البلاد طيلة الحقبة الاستعمارية في تخلف حضاري شامل بمخالف مناحي الحياة .

قامت فرنسا بضم موريتانيا عنوة في المجموعة الإفريقية الخاضعة لنفوذها والتي عرفت باسم " إفريقيا الغربية الفرنسية" AOF والتي كان مقرها مدينة سان لويس السنغالية ، و بعد فرض الحماية عام 1903 أقامت نظاما إداريا يستجيب لمصالحها الاستعمارية² ، حيث أسندت إدارة المحمية إلى مندوب عام يساعده اثنا عشر فردا من الأهالي و خلال الفترة ما بين سنتي 1903 و1920 اتبعت ما سمي "نظام الإقليم المدني" وبموجب ذلك النظام قسمت البلاد إلى دوائر وكان يدير الإقليم مفوض عام، ثم انتقلت إلى نظام المستعمرة خلال الفترة ما بين 1920م و1946م حيث استبدل منصب المندوب العام بـ"والي" موريتانيا كما أصبحت البلاد متقنة ماليا و إداريا عن السنغال.

¹ أنور الجندي، العالم الإسلامي و الاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتب اللبناني، ط2، 1983، ص- ص 152-158.

² بمقتضى مرسوم 1904 أعيد للسودان الفرنسي (مالي) حدوده القديمة و أصبح من جديد مستعمرة قائمة بذاتها كما أصبحت موريتانيا أراضي مدنية و دخلت ضمن نطاق الاتحاد الفرنسي ذلك لان الفرنسيين نظروا إلى موريتانيا حلقة وصل بين إفريقيا والجزائر و ازدادت أهميتها بعد الاتفاق مع اسبانيا على تخطيط حدود مناطق نفوذها ومع ذلك ظل الفرنسيون مترددون في إلحاقها بأي المستعمرات المجاورة وان كانت الدلائل تشير إلى أنها تنضم إلى مجموعة غرب إفريقيا و ظلت موريتانيا تدار من سان لويس عام 1958 وهو تاريخ بناء نواكشوط وبانضمام موريتانيا أصبح اتحاد AOF يتكون من السنغال وغينيا الفرنسية وساحل العاج، داهومي، أعالي السنغال والنيجر وموريتانيا. للمزيد ينظر: الهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 209.

وزاد عدد دوائرها إلى 06 دوائر، و بموجب دستور أول أكتوبر 1946 أصبحت موريتانيا احد أقاليم ما وراء البحار ويرأسه وال فرنسي يمثله أحد الموريتانيين في الجمعية الوطنية الفرنسية ANF، فيما بقي الجهاز الإداري مكونا من الفرنسيين الذين يمتلكون خبرة ومعرفة بشؤون البلاد والشعب، واستمرت الحالة السياسية والإدارية على تلك الصورة حتى عام 1958م حيث كان عام التحول في المجال الاقتصادي. أولت السلطات الفرنسية اهتماما خاصا لتشجيع الرأسمال الفرنسي لاستغلال الثروة الحيوانية ومناجم الملح، إلا أن نشاط الشركات الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية حيث تم اكتشاف الحديد و النحاس و غيرهما.¹

في هذا الجانب تعرض الموريتانيون لأشكال مختلفة من عمليات الإفكار والتجوع تحت ضغط الضرائب،² المتعددة الأشكال وعلى العموم بقي النشاط الرعوي والزراعي البدائي هو السائد فيما تصاعد النشاط التعديبي لخدمة الرأسمال والشركات الفرنسية بعيدا عن مصالح الوطنية الموريتانية.

وفي المجال الاجتماعي و على الرغم من عدم الاهتمام بأشكال التحضر و التمدن، فقد عملت السلطات الفرنسية على تشجيع النزاعات القبلية وإثارة الحساسيات العرقية والدينية والاجتماعية وحاولت الإجهاز على القيم الدينية والحلقية، بتشجيع كل ما يتعلق بقضايا الخمر والمخدرات وغيرهما في محاولة لتفكيك المجتمع وإضعافه الدائم و إبقاء السيطرة الاستعمارية عليه.³

وفي المجال الثقافي الذي يوليه الاستعمار الفرنسي أهمية بالغة تدخل في حياته المستقبلية فان أول ما عملت به السلطات الاستعمارية هو عزلة الموريتانيين عن المحيط العربي، فعمدت إلى فرض القيود المشددة على قوافل الحج، و حظرت استيراد و تداول الصحف و المطبوعات العربية، كما

¹ محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 73.

² الريبة الشخصية : الضريبة الخاصة بالمواشي، ضريب الزكاة الضريبة المضافة لضريبة الزكاة، ضريبة المراعي، ضريبة المهنة، ضريبة العمل الاجباري . ينظر: محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 88 .

³ محمود شاكر، موريتانيا بلاد شنقيط، مكتبة الفتح، دمشق، 1965، ص 48

حاربت اللغة العربية و مؤسساتها الدينية و الثقافية¹، و فرضت اللغة الفرنسية و ثقافتها عن طريق المدارس التي أنشأتها في مختلف أنحاء البلاد ، وعلى الرغم من ذلك تمسك الموريتانيون بلغتهم و ثقافتهم العربية الإسلامية، و لعبت المحظرة (الكتاب) دورا هاما في هذا المجال حيث حافظ خريجو المدارس الفرنسية على لغتهم و دينهم وراحوا يعملون لصالح بلدهم فيم بعد²، و هكذا تعرض الشعب العربي في موريتانيا على شتى صفوف القمع و السلب و الإفكار، و محاولة تدمير النسق المجتمعي و طمس معالم الشخصية الوطنية، و اجتثاث مقومات الشعب و تغريبه عن مرجعياته و آلياته التاريخية سعيا منه إلى إفراغ البلاد من سكانها و طمس حقيقتها، ليسهل عليه بعد ذلك الاستيلاء عليها و ابتلائها إلى الأبد، فكان رد الفعل على صدمة الاحتلال بالكفاح المسلح وعلى السياسة الفرنسية في مختلف المجالات بتنظيم حركة وطنية سياسية، عملت ضمن إمكانياتها و الظروف المحيطة بها على تحقيق الاستقلال الوطني.³

● السياسة الإدارية:

تبنت فرنسا سياسة الحكم المباشر في مستعمراتها، إلا أن هذا الأسلوب تغير في موريتانيا الذي أسس الإدارة غير المباشرة في بداية الأمر ، وهذا ارجع إلى كبولاني عن طريق رؤساء القبائل الكبرى كالترازة والبراكنة وغيرها من القبائل الموريتانية، ذلك أنهم يلغ نظام القبيلة بل قام بتثبيت أمراء لم يكونوا موجودين من قبل وبالتالي حرص على إشراك زعماء القبائل في إدارة البلاد، إلا أن الملاحظ في المعاهدة التي عقدت عام 1903 م مع الترازة و البراكنة كانت تخلع السلطة الفعلية للأمراء، حيث نصت على أن تقوم السلطات الفرنسية بتحصيل الضرائب و تعيين القضاة وتقديم مخصصات ثابتة للأمراء مما تحصله من الضرائب⁴.

¹ محمد علي داهش، المرجع السابق ، ص74

² الخليل النحوي ، المرجع السابق ، ص ص 53-54

³ السيد ولد اباه ، موريتانيا - الثقافة - الدولة و المجتمع، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1995، ص -167

⁴ Guernier Eugène , op.cit, p101.

تولى مونتاني (Montané) إدارة موريتانيا بعد مقتل كبولاني (Coppolani)، حيث تفتن إلى خطأ اتخاذ مواقع دفاعية ثابتة، فعول على الاستفادة من أسلوب المقاومة الموريتانية في القتال واقتبس منها ما يمكن أن يطلق عليه نظام الدفاع الإيجابي الذي يعتمد على خفة الحركة وسرعة الاختفاء، ومن أهم ما قام به الفرنسيون في تلك الفترة تقسيم نفوذهم إلى دوائر ومقاطعات، وتبع هذا التقسيم التوزيع القبلي بدقة تامة حتى بقيت هذه الحدود الإدارية دون تغير يذكر على مدى نصف قرن طول فترة الاستعمار الفرنسي للبلاد¹، و بعد استيلاء باتي (Paty) على تكانت وأدرار²، وضع سياسة جديدة تقوم على أساس تقسيم البلاد إلى منطقتين، الأولى في الجنوب غرب نهر السنغال و تدار بصورة مباشرة، و الثانية في الشمال و تدار بواسطة الرؤساء التقليديين على أن يزود بجيش خليط من البدو و الزوج السنغاليين، وذلك حتى لا تحتاج فرنسا إلى إقامة مراكز عسكرية كثيرة في الشمال، و الواقع أن فرنسا لم تستطع أن تتخلص من الشيوخ المحليين و اكتفت بتجريدتهم من سلطاتهم، ذلك أن وجودهم يساعد على تجنب الاتصال المباشر بين السكان و الحكام العسكريين و بالتالي أصبح أولئك الشيوخ أو الأمراء بمثابة رؤساء إداريين مسئولين أمام الإدارة الفرنسية.³

تجدر الإشارة إلى أن فرنسا بعد ضمها لموريتانيا عنوة في المجموعة الإفريقية الخاضعة لنفوذها والتي عرفت باسم إفريقيا الغربية الفرنسية (A.O.F) أين كانت تدار من سان لويس أقامت نظاما إداريا يستجيب لمصالحها الاستعمارية⁴، حيث أسندت إدارة المحمية، إلى مندوب عام يساعده اثنا عشر فردا من الأهالي وخلال الفترة الممتدة من 1904 - 1920 اتبعت ما يسمى بنظام الإقليم المدني، وبموجب ذلك النظام قسمت البلاد إلى دوائر، يدير الإقليم مفوضا عاما، وفي

¹ Colonel Montané Cadabosco, **La question de la Mauritanie**,

Renseignements coloniaux, N°5, Paris, 1909, pp93-99.

² - علي سلمان علي بدوي، المرجع السابق، ص. 187.

³ Commandant Frèrejean, **op.cit**, p365 .

⁴ - علي سلمان علي بدوي، المرجع السابق، ص 187.

أوت 1936 أعيد تنظيم المؤسسات الإدارية بالنسبة للعرب الرحل وشعوب القارة السوداء ، ثم انتقلت إلى نظام المستعمرة خلال الفترة 1920 - 1946¹ ، حيث استبدل منصب المندوب العام بوالي موريتانيا كما أصبحت البلاد مستقلة ماليا و إداريا عن السنغال، و زاد عدد دوائرها إلى ست دوائر، وبموجب دستور أكتوبر 1946م أصبحت موريتانيا أحد أقاليم ما وراء البحار و يرأسها والي فرنسي، يمثله أحد الموريتانيين في الجمعية الوطنية الفرنسية ، فيما بقي الجهاز الإداري مكونا من الفرنسيين الذين يمتلكون خبرة ومعرفة بشؤون البلاد والشعب.²

• السياسة الاقتصادية الفرنسية في موريتانيا:

بعدها تمكنت السلطات الفرنسية من فرض الأمن و السيطرة على جميع هذه المناطق سنة 1934، بدأ اهتمامها يتجه إلى الناحية الاقتصادية و منذ سنة 1934 اكتشف خام الحديد لأول مرة في منطقة الزويرات، و في سنة 1937 أعلنت فرنسا أن الواردات الموريتانية زادت من 19.795 فرنك سنة 1934 إلى 699.479 فرنك سنة 1935 ثم إلى 1.723.353 مليون فرنك سنة 1938 هذا في الوقت الذي كانت فيه الصادرات قاصرة على السمك المجفف والملح و صار على الإدارة الفرنسية في موريتانيا أن تداوم العمل على النهوض بالأقاليم والتخفيف من معاناة الموريتانيين الذين أرهقتهم هذه الإدارة باسم السلام و الأمن و المساواة، ولكن لم يمضي سوى بعض سنوات بعد استكمال السيطرة على موريتانيا حتى بدأت مرحلة جديدة من تطور المستعمرات الفرنسية اقترنت بالحرب العالمية الثانية و هي الاتجاه نحو الحكم الذاتي³.

أولت السلطات الفرنسية اهتماما خاصا لتشجيع الرأسمال الفرنسي وذلك باستغلال الثروة الحيوانية ومناجم الملح، إلا أن نشاط الشركات الفرنسية بدأ بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تم

¹ - مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دار أسامة، عمان، الأردن، 2004، ص 260 .

² - الرائد جيليه ، المصدر السابق، ص 1 .

³ - علي سلمان علي بدوي، المرجع السابق، ص 199

اكتشاف الحديد والنحاس وغيرها، وفي هذا الجانب تعرض الموريتانيون لأشكال مختلفة من عمليات الإفقار والتجويع تحت ضغط الضرائب، المتعددة الأشكال، حيث كانت هذه الأخيرة تثقل كاهل السكان فعلى رأس كل مقاطعة حاكم فرنسي يدفع إليه كل شهر بالإبل للركوب والنوق للحليب كما يدفع إليه بعدد من الناس يشتغلون للبناء و الخدمة المنزلية¹.

خلقت السياسة الجبائية الاستعمارية ظروفًا مواتية لقيام روابط اجتماعية واقتصادية جديدة مبنية على النقد بدل المقايضة بحكم الحاجة الماسة إلى هذا الأخير الذي أصبح ضرورة لا غنى عنها، و هو ما فرض على سكان البلاد الدخول في علاقات تجارية مع مستعمرات الغرب الإفريقي خاصة مع السنغال المجاورة، بالإضافة إلى أسلوب التعامل بالنقد كان هناك التعامل بالدين الذي حقق أرباحًا مضاعفة، من أجل ذلك كانت هناك مقاومة اقتصادية ترفض التعامل التجاري مع الفرنسيين.

تجدر الإشارة إلى أن ميزانية المستعمرة كانت تشتمل على مجموع المداخيل والمصروفات خلال السنة و لم تفتننا الدخول المتأتية من الضرائب المباشرة وغير المباشرة ترتفع على طول الفترة الاستعمارية، مع هذه الزيادة في الضرائب فإنها كانت أقل المصروفات حتى الثلاثينيات لك بسبب التكاليف الباهظة المتعلقة بالفرق العسكرية و قلة الضرائب المتأتية من النشاطات التجارية من ناحية أخرى، و لهذه الأسباب كانت الميزانية في عجز مستمر حيث لم تعطي من الاحتياجات ولذلك كان يتم تدعيمها من طرف الميزانية العامة لغرب إفريقيا.²

¹ - Francis De chassey, Mauritanie 1900- 1975, L'Harmattan, Paris, 1984, pp71-72.

² محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص292.

الخلاصة

في ختام دراستي لموضوع: " الدور الاستعماري ل كزافيي كبولاني في الجزائر وموريتانيا" استخلصت من هذه الدراسة التي تناولنا فيها سيرة مهندس الاستعمار الفرنسي في موريتانيا ودوره الاستعماري انطلاقا من دراسته و تكوينه في الجزائر وصولا إلى هندسته للسياسة التوسعية الفرنسية في موريتانيا ثم وفاته ما يلي:

✓ ولد كزافيي كبولاني 36 سنة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر بجزيرة كورسيكا و بالتحديد في قرية مارينانا ، في عائلة أمية فقيرة لم يسبق لأحد من أفرادها الالتحاق بمقاعد الدراسة. كزافيي هو الإبن الخامس و الأصغر ل جورج كبولاني و سارا لوسيانني .

✓ اعتبر الاستعمار الفرنسي الجزائر منذ احتلالها جزءا لا يتجزأ من فرنسا لذلك اتبعت العديد من السياسات لتحقيق هذه الغاية أهمها السياسة الاستيطانية وما يتبعها من قوانين لخدمة هذه السياسة (المكاتب العربية، مصادرة الأراضي ...).

✓ اعتمدت فرنسا في سياستها الاستيطانية في الجزائر تهجير الفئات الفقيرة والمحرومة بالإضافة إلى المعارضين و الطبقة الغير مرغوب فيها من مجرمين مسبوقين

✓ اعتمد الاستعمار الفرنسي في سيطرته على الجزائر سياسات مختلفة من بينها ظاهرة الاستشراق من خلال دراسة المجتمع الجزائري واختراقه عن طريق العديد من المستشرقين الفرنسيين من بينهم كزافيي كبولاني.

✓ كانت كورسيكا مسقط رأس كبولاني جزيرة نائية ومحرومة تفتقر إلى أدنى ظروف العيش، لذلك اشتهر سكانها بالهجرة إلى الجزائر بحثا عن حياة أفضل في ظل ما توفره السلطات الاستعمارية الفرنسية للمعمرين.

✓ مثلت الجزائر بالنسبة للمعمرين الأوروبيين بلاد الأحلام التي توفر كل فرص النجاح بفضل ما توفره من امتيازات في جميع الميادين للمستوطنين.

✓ قضى الطفل كزافيي عشر سنوات بمسقط رأسه قبل أن تلتحق عائلته بالجزائر بحثا عن فرص العمل و بالتحديد بمنطقة سيدي مروان بقسنطينة، أين استقر العديد من أفراد عائلته من قبل .

✓ تأقلم الطفل كزافبي مع المجتمع الجزائري بسرعة، حيث وجد ظروفًا اجتماعية أحسن من موطنه الأصلي، ما جعله يبدأ احتكاكه بالمجتمع الجزائري ويتأثر باللغة العربية و الدين الإسلامي ، خاصة بعد التحاقه بالمدرسة العادية بقسنطينة، ثم مدرسة تكوين المعلمين التي تخرج منها سنة 1986م.

✓ بعد تخرجه واصل دراسته بكلية الحقوق بالجزائر، وفي نفس الوقت شغل كزافبي عدة وظائف صغيرة، ليتمكن في سنة 1989م بدخول الإدارة الفرنسية والتدرج في المناصب ، بداية من خلال عمله بالبلدية المختلطة لوادي شارف وتبدأ علاقته واهتمامه بدراسة الطرق الصوفية والمجتمع الإسلامي .

✓ بدأ الشاب كبولاني في إطار تدريبه بالمكاتب العربية في إعداد تقرير عن دور رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية في زعامة المقاومات الشعبية وشحن المجتمع الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، ثم أصدر دراسة عن الطريقة الصوفية العمارية السائدة في منطقة سيدي مروان في سنة 1893م، لتتحول فيما بعد لكتاب مهم بالتعاون مع رئيسه في العمل أوكتاف ديونت (Octave Depont) كتاب بعنوان: Les confréries religieuses musulmanes

، لتفتح أمامه أبواب النجاح و الترقيات في الإدارة الفرنسية.

✓ بعد هذا النجاح عين كبولاني سنة 1896م بوزارة المستعمرات الفرنسية كمستشار مهمم بشؤون المسلمين ، استدعي من طرف وزارة المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا الفرنسية، ليحوض في تجسيد أفكاره من خلال أولى تجاربه خارج المجال الجزائري كمستشرق فرنسي خبير في شؤون المجتمعات الإسلامية ، في مهمة إخضاع السكان المسلمين في المستعمرة الفرنسية بالسودان الغربي (مالي).

الخاتمة

✓ أمضى كبولاني رفقة بعثته أكثر من سنة بين الفترة 1898-1899م متنقلا بين قبائل المنطقة، لم يكتفي كبولاني بالمهمة المحددة له فقط ، فقد تمكن بفضل تحذته باللغة العربية و درايته بالدين الإسلامي بالاحتكاك بشيوخ قبائل البيضان المحاذية للمستعمرة الفرنسية ، وإعداد دراسة كاملة عن المنطقة.

✓ بعد عودته من مهمته بنجاح، قدم كبولاني "مشروعه لفرض السلم بمنطقة البيضان" لوزارة المستعمرات الفرنسية، يبرز فيه أهمية المنطقة اقتصاديا وكذلك كهزمة وصل بين المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الشمالية (الجزائر) و نظيرتها في إفريقيا الغربية (السودان الغربي - مالي)، كما يبرز فيه رؤيته في سهولة و قابلية إخضاعها بالطرق السلمية.

✓ ناضل كبولاني من أجل تجسيد مشروعه من خلال إقناع الحكومة الفرنسية التي كانت تواجه العديد من الصعوبات، أهمها معارضة التجار الفرنسيين والمنافسة الإسبانية في المنطقة. بعد تسوية النزاعات مع القوى الأوربية المنافسة جاء القبول للمشروع، وبدأ كبولاني في تجسيد حلمه من خلال سياسته التوسعية السلمية التي نجحت في إخضاع العديد من القبائل البيضانية في المنطقة الجنوبية.

✓ تقدم كبولاني في سياسته التوسعية من إقليم إلى آخر وتمكن من إقامة مستعمرة فرنسية في أرض البيضان عرفت تحت اسم: "موريتانيا الغربية" ويصبح أول حاكم فرنسي عليها.

✓ خلال مهمته في إخضاع منطقة الترازو و بالتحديد بمنطقة تجكجة تعرض كبولاني للاغتيال في يوم 12 ماي 1905، بعد معركة مع مجاهدين من القبائل البيضانية المعارضة، وتنتهي مغامرته التوسعية الاستعمارية في موريتانيا قبل تحقيق حلمه .

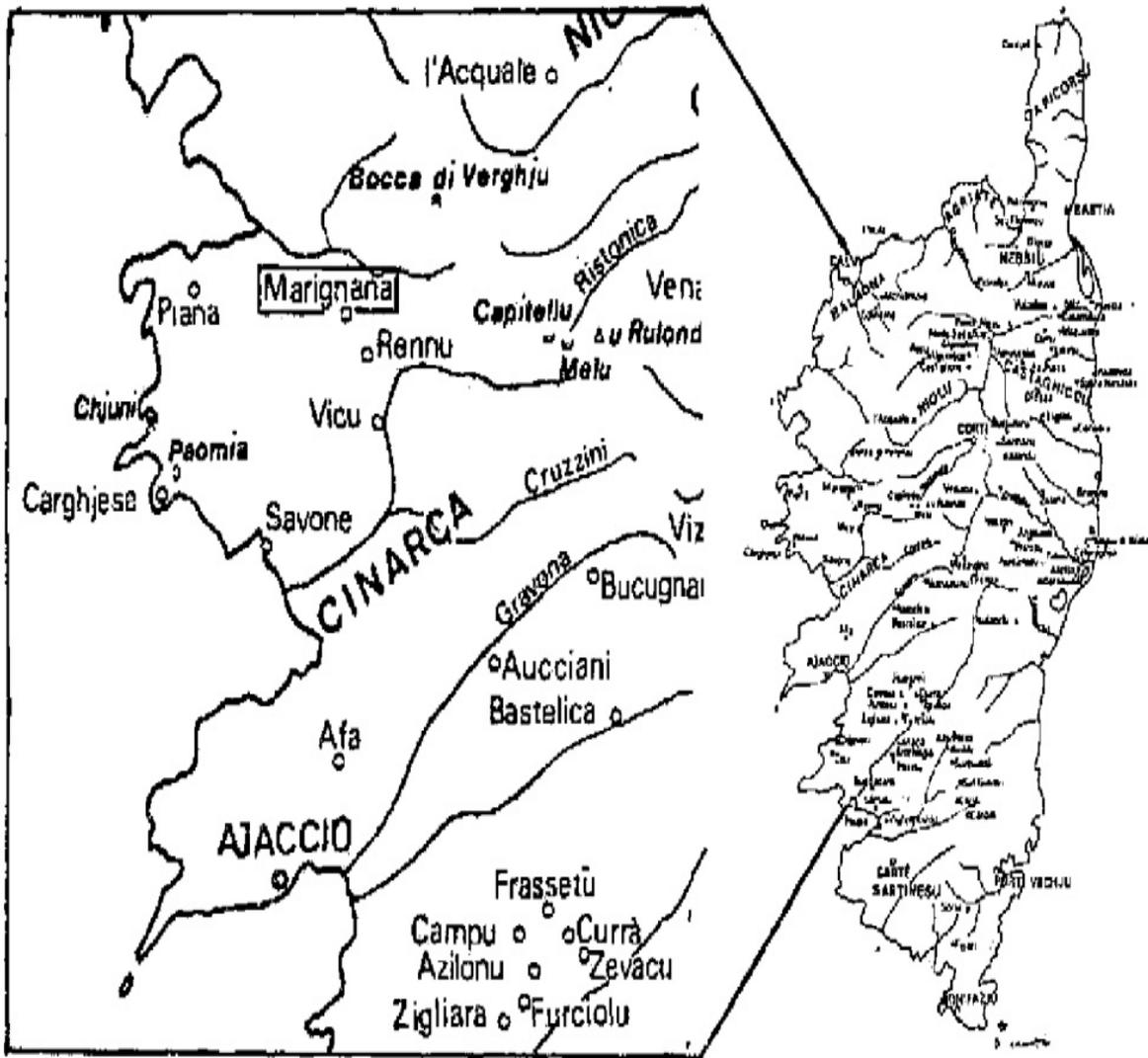
✓ لم يتوقف التوسع الفرنسي بموريتانيا بموت كبولاني، بل تواصل لكن بسياسة الإخضاع العسكري و بشراسة أكبر ، لتفرض السلطات الاستعمارية الفرنسية السيطرة على كامل الأراضي الموريتانية.

الخاتمة

✓ يبقى كبولاني هو مهندس الاحتلال الفرنسي لموريتانيا و هو أول من مهّد للسيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية بفضل حنكته في التعامل معهم ، مسجلا اسمه من بين أهم الشخصيات في تاريخ فرنسا الاستعمارية.

❖ في الختام نتمنى أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا الذي يبقى مجالاً خصبا للبحث حول كل ما يتعلق بحياة كزافيي كبولاني هذا المستشرق الفرنسي الذي قدم الكثير للاستعمار الفرنسي في الجزائر وخاصة في موريتانيا، آمليين أن نكون قد أنجزنا بذلك خطوة نحو مشاريع بحث مستقبلية في هذا المجال .

الملاحق



Situation de Marignana dans l'ouest de la Corse
Maison ancestrale des Coppolani

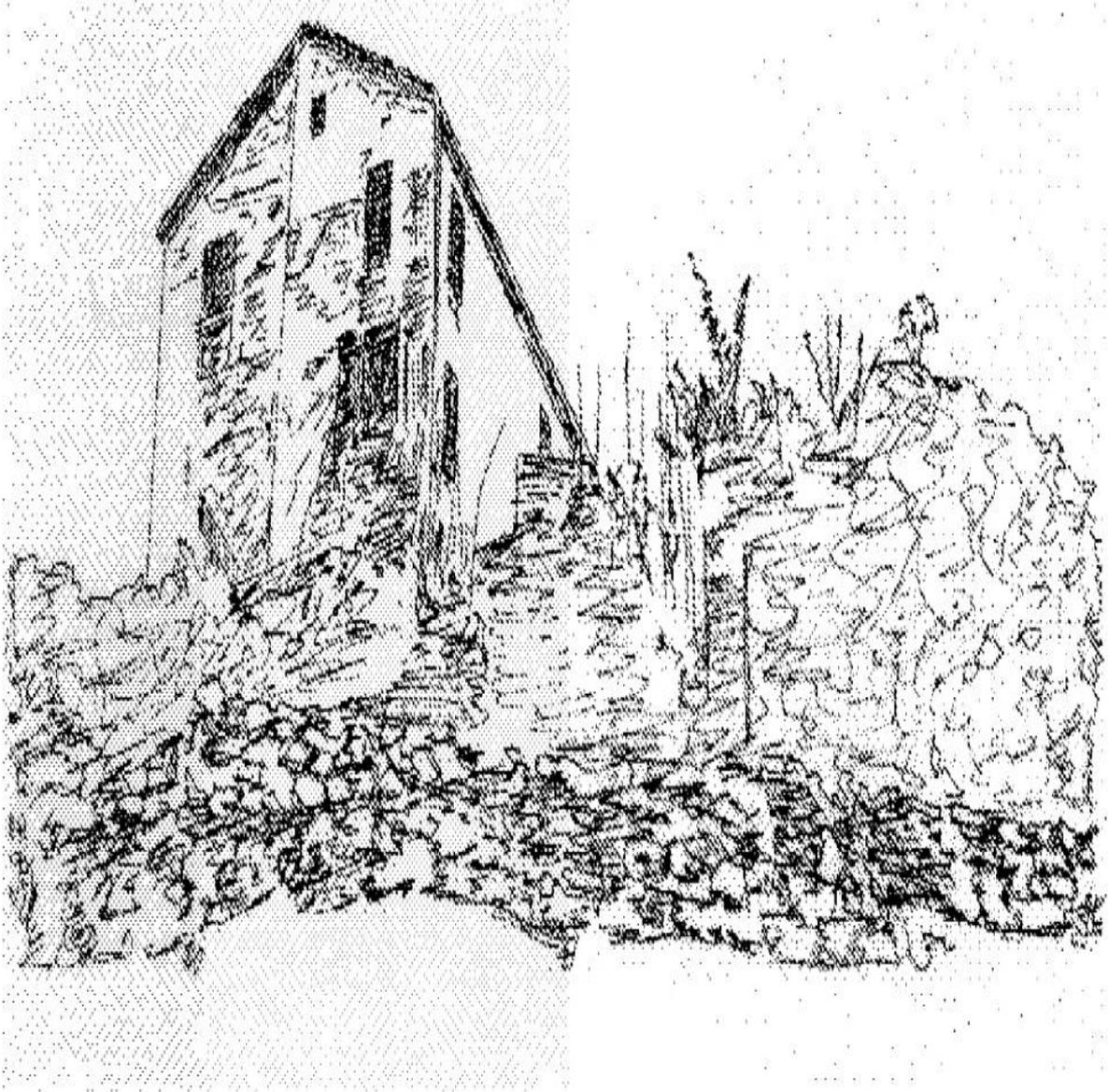
خريطة توضح موقع مدينة مارينيانا بـ جزيرة كورسيكا.¹

¹George coppolani ,op.cit, p23



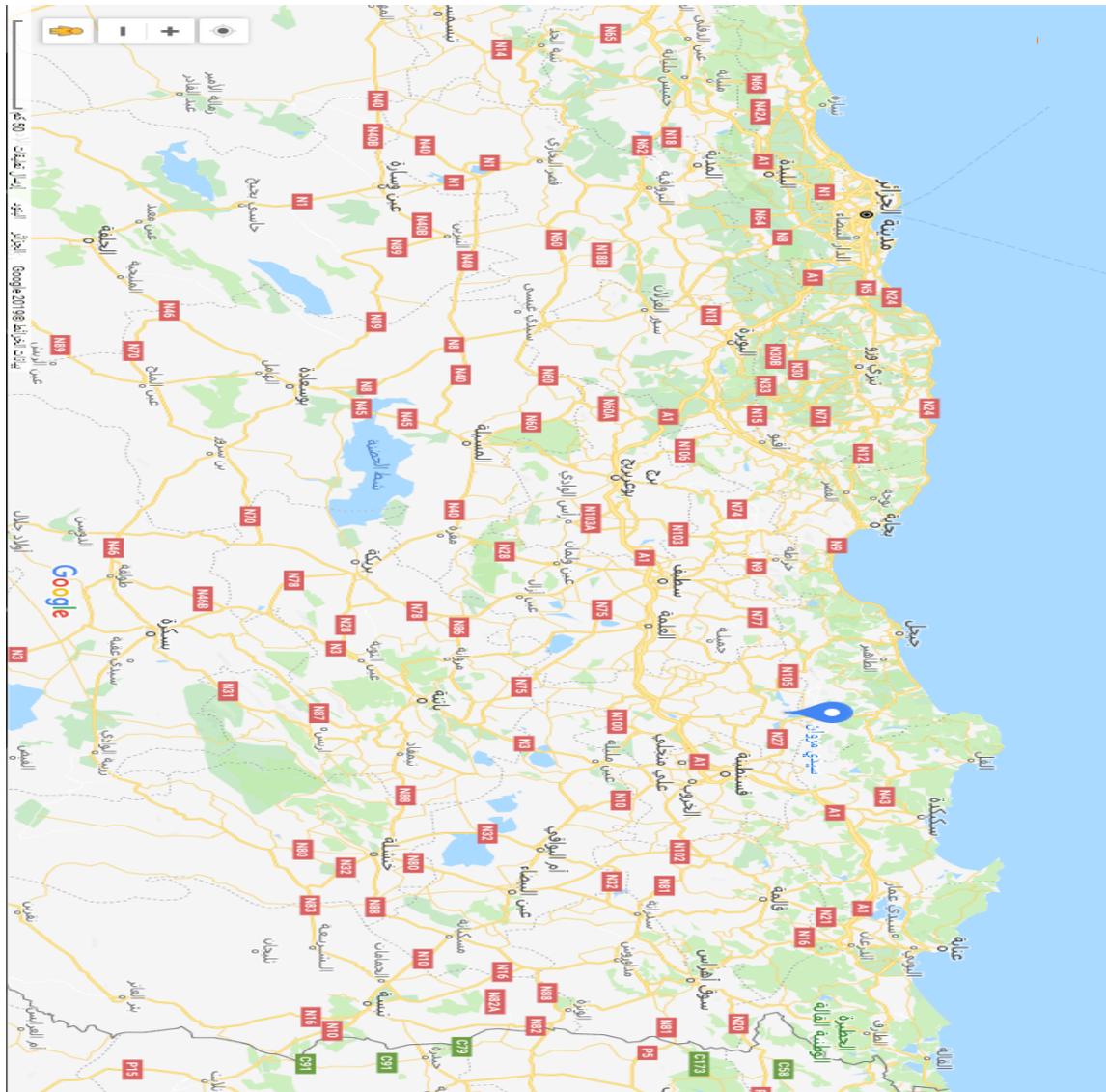
منظر عام لمدينة مارينيانا مسقط كبولاني¹.

¹George coppolani ,**op.cit**, p23



بيت عائلة كبولاني الذي ولد به كزافيي (حسب رسم الكاتب).¹

¹George coppolani ,op.cit, p24.



موقع سيدي مروان بإقليم قسنطينة¹

¹<http://www.google.com/maps>.



صورة كزافيي كوبولاني (Xavier Coppolani) مدير الحماية الفرنسية على

موريتانيا.¹

¹George coppolani , op.cit, p07



الشيخ سعد بوه محاط بـ أولاده في مكتب السيد كبولاني بـ مدينة سان لويس.¹

¹Ould Khalifa Abdallah , **op.cit**, p20.



من اليسار إلى اليمين: سيديا ولد سليمان - الشيخ سيديا - سيداتي مرابط منطقة الحوض - الشيخ سعد بوه وولديه.¹

¹La Dépêche Coloniale , La Mauritanie Saharienne ..., op.cit, p256

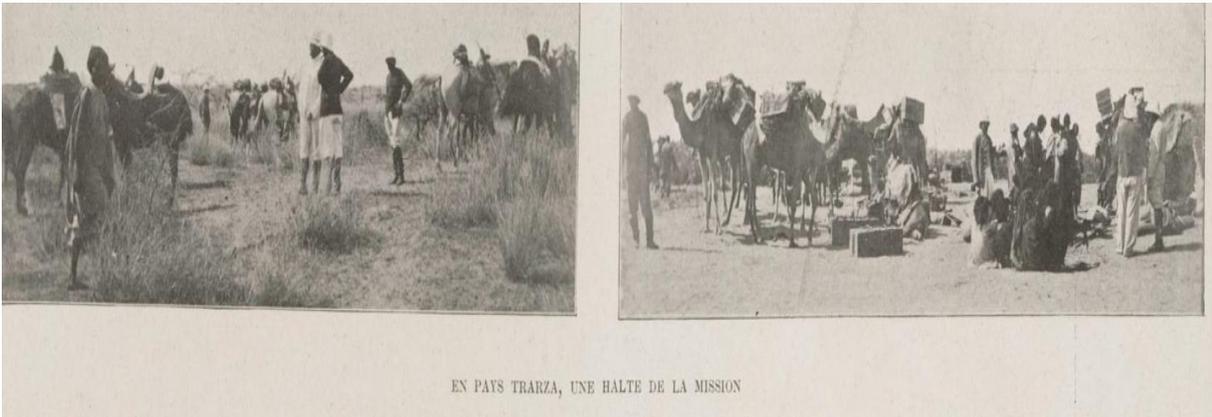


شيخ قبيلة أولاد الناصر و حوله مجموعة من أفراد القبيلة.¹

¹La Dépêche Coloniale , La Mauritanie Saharienne ..., op.cit, p256



"حسان" دليل السيد كبولاني في مهمته بمنطقة الترارزة.¹



توقف قافلة كبولاني في الترارزة لأخذ قسط من الراحة.²

¹ La Dépêche Coloniale , Mission Coppolanie en pays Trarza..., op.cit, p262

² Ibid , p264

سير احمد و...
 مكتوب من طرف...
 معلم الفنا...
 كاتب...
 ختم

اشهد...
 ان...
 في...
 في...
 في...

معاهدة الحماية الفرنسية على قبيلة الترازة 1903 باللغة العربية.¹

¹La Dépêche Coloniale , op.cit, p256

Convention entre Capitulans et les chefs tribaux 17 janvier 1903.
Texte français

Les nommés Sidi Ahmed (Ould Bou-Karj Sidi, de la tribu des Ould Ahmed Ben Daman :

El Moctar (Ould M'Bareck, chef des Ould Damanat Bou-Karj (Ould Birahim Fall) de la tribu des Ould Ahmed Ben Daman :

Khouzoum, leur conseillers et Oumar Ould M'Elha Ould Elhoumouda (de la tribu des Ould Ahmed Ben Daman) agissant au nom de leurs assemblées respectives soumettent toutes leurs affaires au Représentant du Gouvernement français et à ses rapporteurs à lui pour assurer la paix et le développement économique du pays.

Fait en présence des notables (ou capitulaires) des tribus tribales (français)

SIDIA BIRI NIKHASSIM O BEDI SIDIA.

Je certifie que Dieu est unique et que Mahomet (que le salut soit sur lui) est son envoyé. Je certifie en outre, que les personnes nommées dans le texte ci-dessus ont signé et apposé le dit texte en ma présence.

Said Bouh, fils de Sou Cheikh, M'Elhoumouda Ladjel, et Chahyham d'origine.

Sous-d.N. le 7 janvier 1903.

Pour traduction authentique

Français

Bou-El-Mingoud.

Signé : CAPPONNIER, SYRIGNA, BOU-EL-MINGOUD,
FRANÇOIS, MARIÉ, ANGE, A. FLEURY,
L. AUBERT, A. CHALLET.

L'EMIRAT DES HEMZAS

معاهدة الحماية على قبيلة الترازة 1903 باللغة الفرنسية¹

¹ محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 204

سيد أحمد و ببكر المختار أخيار هم وأعمار، متكلمون بأنهم جاعلون أمرهم بيد نائب الدولة الفرنسية في كلما في صلاح الأرض و عافيتها وكلما فيه زيادة منافعها بكلما فعله النائب المذكور على الوجه المذكور فهو ماض عندهم مقبول.

فعلا لنفر الخمسة الواضعون أسماءهم بأيديهم أعلاه ذلك بحضرة كاتب هذه الأسطر سيدي بن محمد بن سيدي.

للتوقيع.

سيدي بن محمد كبولاني

أشهد لله بالوحدانية و لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأشهد على كتب هؤلاء القوم

المذكورين لأسمائهم و امضائهم ما طلب منهم، و السلام كتبه للشاهد عليه سعدبوه بن شيخه

الشيخ محمد الفاضل القلقمي نسبا.

ترجمة معاهدة الحماية على قبيلة الترازة 1903 باللغة العربية¹

¹ محمدعلي داهش، المرجع السابق، ص20

Les Nommes Sidi Ahmed Ould Bobakar Sire (De La Tribu Des Oulad – Ahmed Ben Daman)

El Moctar Ould M'bareck (Chef Des Oulad Daman) Boubakar Khayroum Leur Conseiller
Et Omar Ould Moctar Ould Houmaida (DelaTribu Des Oulad Ahmad Ben Daman)

Agissant Au

Nom De Leurs Assemblees Respectives Soumettent Toutes Leurs Affaires Au representant
du

Government Francais Et S,en rapportent A Lui Pour Assurer La Paix Et Le De
veloppement

Economique Dupays.

Fait En Prescence Des Soussignes (En Caracteres. Arabes Et Caracteres Francais)

Sidia Ben Mohamed Ben Sidia

Je Ceriifie Que dieu Est Unique Et Que Mohamed (Que Le Salut Soit Sur Lui) Est Son
Envoye Je Certifie En Outre Que Les Personnes Mentionnees Dans Le Texte Ci – Dessus
Ont

Signe et Approuve Le Dit Texte En Ma presence.

Saad Bouh Fils De So Cheikh, Mohamed Fadel El Chalghami D'origine.

Souet – El – Malk 7 Janveir 1903

Pour Traduction Conforme:

L,interprete:

Bou – El Mogdad.

Signe Coppelani, Sadorge, Bou – El Mogdad.

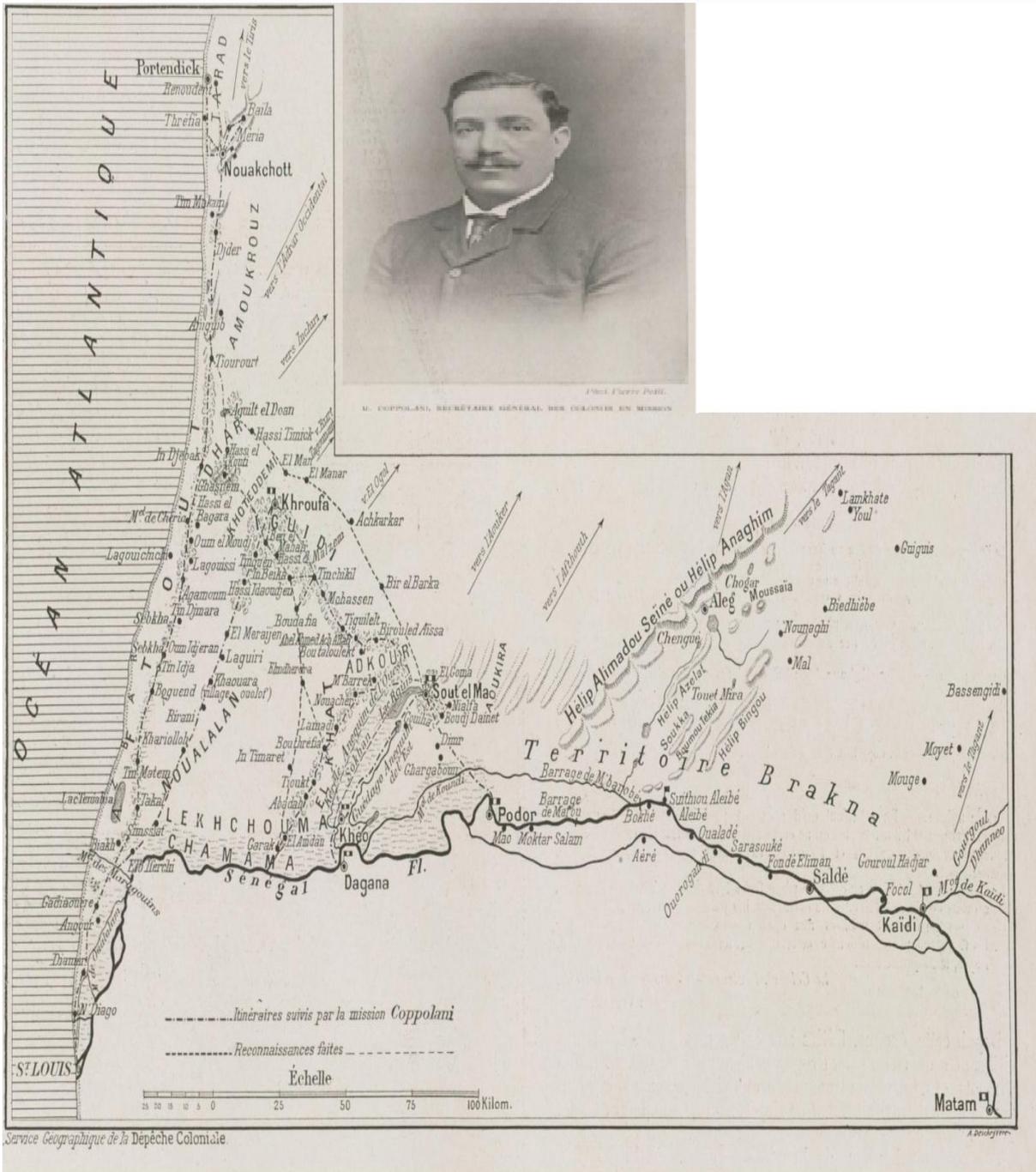
Feuillu, Michel , Angely, A Fleuny

E Aubert – A Ciccoil.

L'emirat Des Trarzas

ترجمة معاهدة الحماية الفرنسية على قبيلة الترازة 1903 باللغة الفرنسية¹

¹ محمد علي داهش، المرجع السابق، ص302



خريطة توضح مهمة كوبولاني في منطقة التارزة ببلاد البيضان¹

¹La Dépêche Coloniale , Mission Coppolanie en pays Trarza..., op.cit, p257



1 خريطة توضح مهمة كبولاني في بلاد البيضان.

1 La Dépêche Coloniale, Mission Coppolanie en pays Trarza..., op.cit, pp258-259

M
636

Coursier la Courant

X. COPPOLANI

304

RAPPORT D'ENSEMBLE



SUR

MA MISSION AU SOUDAN FRANÇAIS

(1^{re} PARTIE : CHEZ LES MAURES)

PARIS

IMPRIMERIE F. LEVÉ

17, RUE CASSETTE, 17

1899

103
538

.../يتبع

RAPPORT D'ENSEMBLE
SUR
MA MISSION AU SOUDAN FRANÇAIS

A Monsieur le Général de Trentinian, Lieutenant-Gouverneur.

MON GÉNÉRAL,

Avant de vous soumettre un exposé général des résultats politiques et scientifiques obtenus par la mission que vous avez bien voulu me confier au Soudan français et, plus particulièrement, dans les régions frontières du Sahel et de Tombouctou, veuillez me permettre de vous exprimer ma plus vive gratitude pour le concours dévoué que MM. les officiers appelés à seconder mes efforts m'ont prêté en toutes circonstances.



Je vous signalerai notamment : M. le capitaine Frottier, commandant l'escadron des gardes-frontières, pour l'empressement qu'il a mis à me fournir le personnel et les montures nécessaires ; M. le capitaine Chenard, commandant le cercle de Goumbou, pour le tact et l'énergie dont il a fait preuve à l'égard des Medjdhouf ; M. le chef de bataillon Daval, commandant la région nord ; M. le lieutenant Bresson, détaché au poste de Bamba, ainsi que MM. les commandants des divers cercles situés sur la ligne de ravitaillement et les officiers chargés de la flottille. Tous ont fait leur possible pour faciliter ma tâche, et quelques-uns sont venus à moi dans des circonstances difficiles. Je leur en suis profondément reconnaissant.

J'appelle, d'une manière toute spéciale, votre bienveillante attention sur M. le lieutenant Picard, en résidence à Goumbou. Ce jeune officier, animé des meilleures intentions, m'a escorté dans les régions insoumises du Sahel et m'a donné de réels témoignages de dévouement. Je serais heureux de lui voir obtenir la récompense due à son mérite et aux services qu'il a rendus.

Je voudrais pouvoir vous exprimer le même désir en ce qui concerne M. le lieutenant de Gail. Lui aussi m'a escorté dans des contrées encore inexplorées

— 2 —

et habitées par des populations insoumises. Malheureusement, chargé lui-même d'une mission délicate et tenu à des réserves par des instructions rigoureuses, il n'a pu me suivre avec la rapidité indispensable dans ces sortes de reconnaissances.

Je reviendrai, néanmoins, sur son intéressante mission en vous signalant l'utilité et l'opportunité de la formation d'une compagnie de méharistes.

Qu'il me soit également permis, mon Général, de ne point oublier M. Arnaud, l'ami dévoué, qui n'a pas craint d'endurer les plus grandes fatigues et d'affronter les dangers d'une route difficile et peu sûre, pour avoir la satisfaction de me suivre chez les Keltanssar de l'Est et à Araouan. J'ai le ferme espoir qu'il ne négligera rien pour être agréable au Gouvernement du Soudan et se montrer digne de votre sollicitude.

Cet agréable devoir rempli, vous m'excuserez de ne point vous énumérer les dangers auxquels mes compagnons et moi avons pu être exposés au cours de nos pérégrinations à travers les immensités mi-sahariennes du Sahel, du Nord-Est de Tombouctou et dans l'Azaouad.

En essayant de prendre contact avec les chefs des tribus maures et touareg, dans des contrées lointaines et inconnues, je n'ignorais rien des difficultés à surmonter, mais je savais aussi qu'en faisant abnégation de soi-même, pour n'entrevoir que la réussite de l'œuvre de pacification et de conquête morale entreprise, l'accomplissement de ma tâche devait être chose facile.

J'oublie donc volontiers les manifestations, un moment hostiles, qui m'ont accueilli au campement des Oulad-Nacer et à Araouan, les captifs armés par les Ahel Souaïd et que des amis honnêtes et dévoués écartaient de mon chemin, pour ne me souvenir que des témoignages de sympathie et de confiance qui m'ont été donnés par la population saine du pays et, surtout, par les chefs des tribus considérées comme irréductibles.

Laissez-moi aussi m'abstenir de vous faire, dans ce rapport général, une description scientifique des régions parcourues, pour aborder immédiatement l'objet essentiel de ma mission :

Étude de l'Islamisme au Soudan français et ses conséquences au point de vue politico-religieux.

Relations amicales et soumission pacifique des tribus maures et touareg, en vue de la prise de possession des régions situées au Nord du Sahel et de Tombouctou, de faciliter les communications politiques et commerciales entre l'Algérie et le Soudan, l'extension de l'influence française dans notre hinterland africain, etc., etc.

— 3 —

Je vous exposerai les grandes lignes des efforts tentés dans cet ordre d'idées et les résultats obtenus, en divisant mon rapport en trois parties, savoir :

- 1° *Ma mission chez les Maures;*
- 2° *Ma mission chez les Touareg;*
- 3° *Études sociales et religieuses au Soudan français.*

1° MISSION CHEZ LES MAURES

Pour avoir une idée exacte des peuplades errantes et sans cohésion connues sous le nom de Baïdan (*les blancs*), par opposition aux populations noires du Soudan et du Sénégal, il faudrait remonter à leur berceau, et les suivre, à travers les siècles, jusqu'aux confins du Maroc et des steppes sahariennes où elles sont allées se réfugier. Il serait utile de faire revivre, un instant, leurs ancêtres, de parcourir avec eux les vieilles colonies romaines de l'Afrique septentrionale, voire l'Étrurie antique.

En les suivant dans leur évolution, il serait indispensable d'enregistrer leurs transformations sociales et religieuses, au fur et à mesure qu'ils subissent les invasions arabes, qu'ils marchent à la conquête de l'Espagne et du sud de la France, pour revenir ensuite dans leur pays d'origine et y être en partie chassés au profit d'autres autochtones sensiblement transformés, mais encore aujourd'hui soumis aux mêmes lois sociales et religieuses.

Nous trouverions ainsi leur origine dans la Mauritaine Césarienne et la Mauritanie Tingitane, quelques-unes de leurs coutumes dans la vieille Étrurie.

Nous comprendrions comment les Maures ont perdu le souvenir de leur race, avec les Almoravides et les Almohades, pour n'invoquer que l'époque glorieuse de leur apogée.

Ce ne sont pas des musulmans traditionnistes, mais des *mouminin*, c'est-à-dire des unitaires ou des descendants de cette phalange d'hommes illustres dans les annales du Nord de l'Afrique qui, sous les ordres du fameux Abd-el-Moumen, implantèrent à jamais dans le Nord-Ouest africain et leur prestige et leurs doctrines.

Nous ne serions point étonnés de constater chez eux des mœurs et des coutumes analogues à celles de leurs aïeux d'Andalousie et de la vieille Gaule.

Dans leurs grandes vicissitudes, les Maures de Cordoue et de Poitiers se retrouvent encore à travers les âges....., les aborigènes des vieilles provinces romaines, devenus les compagnons d'Abd-el-Moumen et de ses khalifats, n'ont rien perdu de leur caractère fier et indépendant.

Il semble que la destinée des peuples les ait séparés du monde civilisé pour

leur permettre de conserver — tel un dépôt sacré — les vestiges de leur grandeur d'autrefois et une organisation sociale comparable, à certains égards, à celle de notre moyen-âge.

Certes, tout est placé sous l'égide mahométane; la légende islamique a tout voilé. Demandez à ces pasteurs l'origine de leurs ancêtres: ils vous renverront aux annales musulmanes, et chacun trouvera dans l'arbre généalogique de sa famille le nom d'un compagnon ou d'un descendant des nombreux khalifats du Prophète.

C'est ainsi que la noblesse est représentée par les *hassaniâ*, c'est-à-dire les descendants du célèbre conquérant Hassan; le clergé par les « *maîtres du Livre* » ou interprètes fidèles du Coran, source de toute science et unique loi à laquelle rien ne résiste.

Mais si on examine les prérogatives de chacune de ces castes, leur histoire ne laisse plus de doute:

Les *hassaniâ* sont les maîtres du pays, chargés de la sécurité de leurs partisans; ce sont des guerriers, avec leurs tributaires et leurs captifs, semblables aux nobles d'épée du moyen-âge, avec leurs vassaux, leurs serfs et leurs vilains. Un *hassaniâ* se distingue par son adresse dans le maniement des armes, sa souplesse dans ses mouvements hippiques, son endurance à la fatigue, sa connaissance du pays, l'amour de son coursier, sa bravoure et l'intelligence qu'il déploie à surprendre l'ennemi. Ce sont de véritables barons féodaux... des chevaliers historiques, fiers de leur monture, imposants dans leur tenue, curieux par leur démarche et leur chevelure.

Un guerrier n'est ni commerçant ni industriel, il ne sait ni lire ni écrire. C'est le maître du fusil, le représentant de la force, et, par suite, le défenseur du pays. C'est un noble, dans toute l'acceptation du mot. Heureux sont ceux qui peuvent le devenir!...

La connaissance du Coran est réservée au clergé, représenté par de véritables tribus de lettrés. Eux aussi, ont des tributaires et des captifs; ils sont indépendants des *hassaniâ*, ne prennent jamais part à la guerre, rendent la justice, sont les médiateurs de la paix. Leur chapelet remplace le fusil.

Et au-dessus de chacune de ces deux classes privilégiées est placé le *cheikh*, véritable seigneur, chargé de conduire au combat ceux qui font partie de la première, le maître omnipotent et omniscient de ceux qui appartiennent à la seconde. Il y en a un à la tête de chaque tribu. Une assemblée de notables, ou *djemâ*, lui inspire ses actes et contrôle ses actions. Ses droits sont héréditaires.

Ajoutons à ces classes aux privilèges distincts celle des industriels et des commerçants proprement dits, sans oublier le *meddah* ou troubadour légendaire, ni des coutumes et des mœurs du VI^e siècle, et nous revivrons, par la pensée, à l'époque de la Féodalité.

Hâtons-nous de dire que cette existence nomade, ces usages et cette organisation sociale offrent une frappante analogie avec les mœurs de l'Arabe païen.

irréparable que de vouloir leur appliquer le même régime administratif et se bercer d'illusions que de ne point tenir compte de leurs croyances et de leur religion.

Je ne saurais donc trop insister, mon Général, me faisant ainsi l'interprète des populations qui sont venues à nous, pour que le pays qui nous occupe soit constitué en *protectorat* dans le plus bref délai possible.

C'est le seul régime qui peut, pour le moment, consolider nos intérêts politiques et économiques dans ces contrées, affermir la sécurité au Sénégal et au Soudan, nous permettre de donner au Maroc ses limites naturelles et répondre aux désirs des Maures qui en font leur domaine.

Tout en nous inspirant de la politique avisée et libérale, basée sur les traditions de civilisation que la France essaye de faire triompher dans le continent africain, de la Méditerranée au Soudan et de l'Atlantique au Tchad, nous ne devons pas perdre de vue la devise qu'il convient d'adopter toutes les fois qu'il s'agit d'opérer dans les pays musulmans et surtout dans notre hinterland africain :

« S'avancer régulièrement et de proche en proche; s'affermir avant de s'étendre; « ne se point charger de trop d'affaires; dissimuler quelque temps et se déclarer à « propos. »

Le moment est opportun. J'ose espérer, mon Général, que le Gouvernement, éclairé par vos soins, le saisira avec empressement.

Je ne puis dans ce rapport, sans doute destiné à la publicité, faire ressortir tous les avantages de politique générale et d'ordre économique que la France aurait, à prendre sous sa protection officielle cette partie de l'Empire africain. Je le ferai, si on le juge utile, dans des notes spéciales et confidentielles.

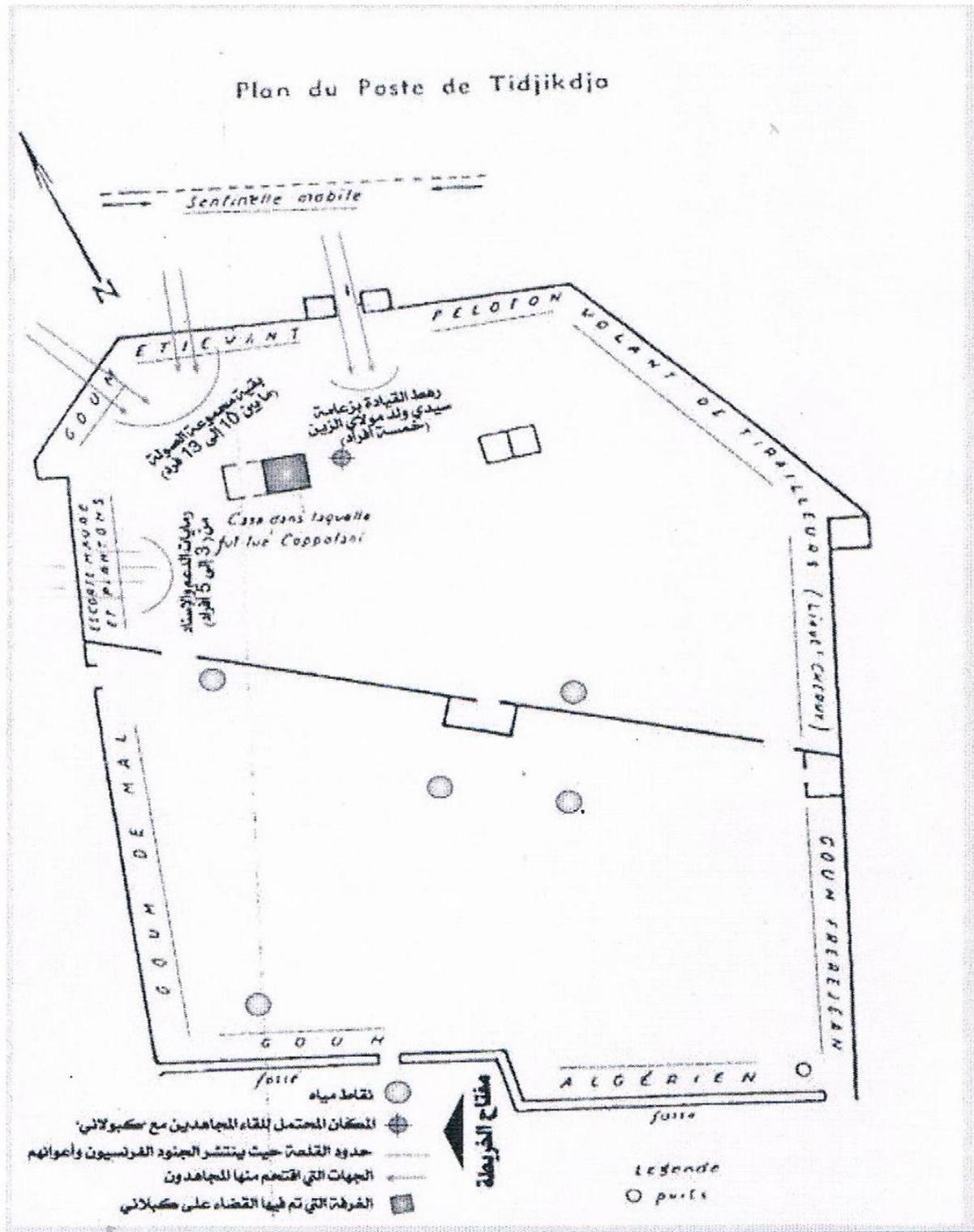
Ils sont d'ailleurs évidents pour tout le monde et je n'insisterai pas.

Qu'il me suffise de rappeler que les carrières de sel d'Idjil et de Taoudenni alimentent toute la partie occidentale et centrale de l'Afrique, que les gommes provenant du Hodh et du Tagant ont fait la richesse des commerçants de Saint-Louis, que l'autruche y féconde et la plume y est abondante.

Les revenus provenant d'un régime douanier établi à la suite d'une organisation appropriée aux mœurs et aux coutumes des populations suffiront amplement à assurer les services du protectorat et à y maintenir la sécurité.

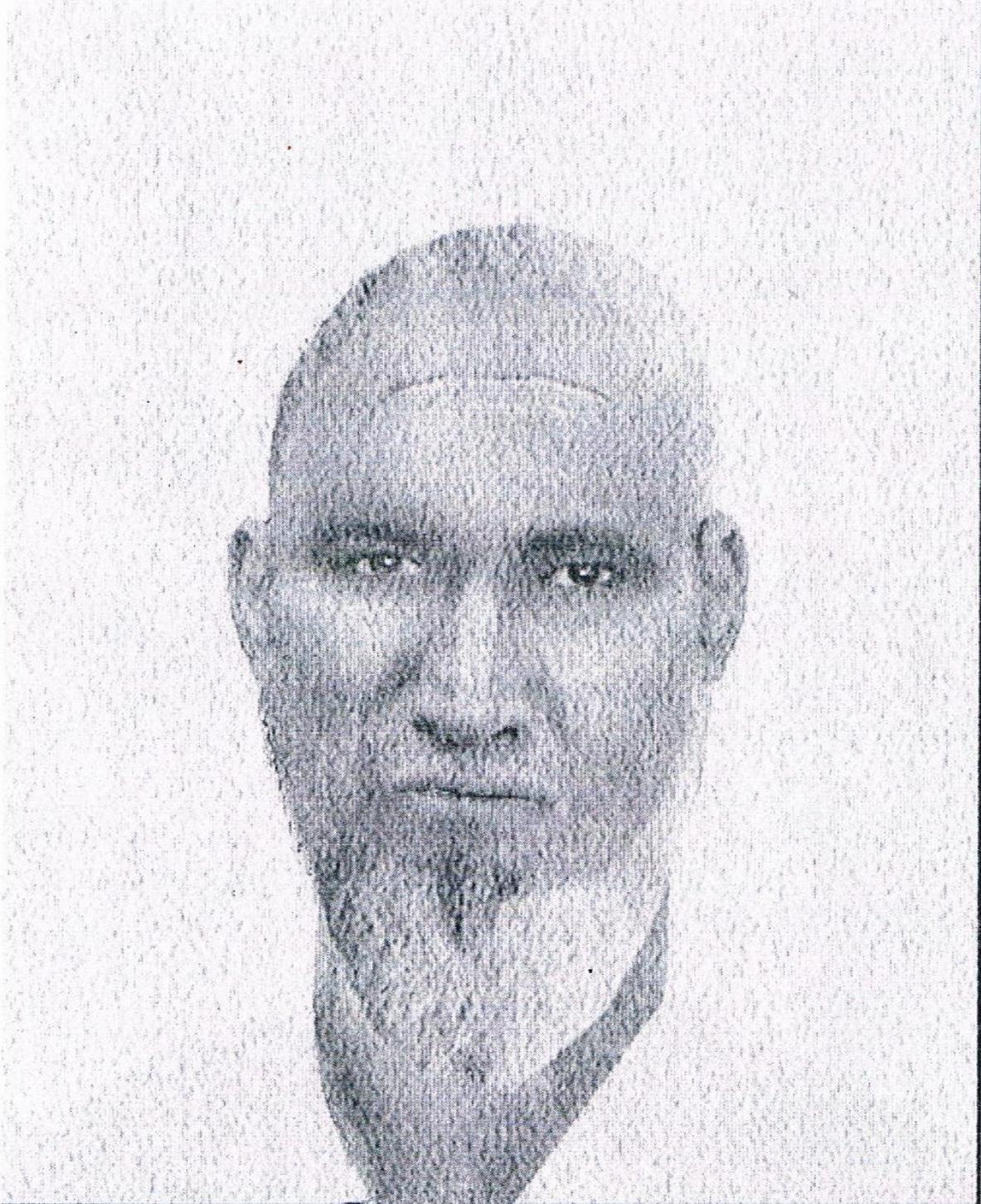
Le budget de l'État n'aura aucune dépense à engager et, tout en augmentant le domaine national, nous aurons ainsi accompli un grand acte d'humanité.





مخطط الهجوم على حصن تجكجة كما رسمه الرائد افيريجان.¹

¹Commandant Efrerjean , Rapport d'un Randonnés de Guerre... , op.cit, p358.



صورة متخيلة للشهيد سيدي ولد مولاي الزين الذي اغتال كبولاني.¹

¹ نقيب سيدي محمد ولد حديد، المرجع السابق، ص 06.

12^e Année. — Nouvelle série, N° 4745
EMILE DE GIRARDIN
FONDATEUR
ABONNEMENTS: 5 fr.
Paris et Départements: 5 fr. 10
Etranger: 5 fr. 20

Le Numéro: 5 Centimes



GAMBI 27 Mai 1905
LEON BAILBY
DIRECTEUR
LES ANNONCES ET RECLAMES SONT PRIÉES
AUX BUREAUX DE LA 'PROSPERITE'
et chez M. Ch. Lagrange, Court et Co.
Administration: 12, rue du Croissant (2^e)
Téléphone: 3 bis N° 101.09-102.02-103.07

L'INTERPELLATION. — LA GUERRE. — LES TROUBLES COLONIAUX

Dernière Heure

LES ESCADRES ENNEMIES

Il est, dans le monde, un événement qui a été l'objet de tous les regards. C'est la sortie de la flotte allemande de la Baltique.

LES RENFORTS RUSSES

On mande de Saint-Petersbourg: Une dépêche de Kharbin annonce que le généralissime Liao-tchao a reçu de nouveaux renforts composés de vingt-cinq régiments d'infanterie, de quatre régiments de cavalerie, de deux régiments d'artillerie, de deux régiments de sapeurs, de deux régiments de troupes appartenant aux 4^e et 5^e corps.

LA FLOTTE ESPAGNOLE

On mande d'Alger: Hier, à 10 heures, le croiseur espagnol 'Alfonso XIII' est entré dans le port d'Alger.

UN ATTENTAT AU MAROC

On mande de Tanger: Un indigène vient de tirer un coup de revolver sur M. Wille, consul d'Autriche.

N. D'AUDIFFRET-PASQUIER

On mande de Paris: M. D'Audiffret-Pasquier, député de la Seine, a été élu sénateur.

LE BÉNÉDICTIN DU GAULOIS

A l'heure où nous mettons sous presse, le Gauleois a publié un article sur le généralissime Liao-tchao.

Tout à la joie

Ah! tout est fier d'être Français, quand on regarde les colonnes de journaux où s'évalent, en ce moment, tant de préparatifs de fête! Ce ne sont que fêtes, ce ne sont que fêtes, à Paris, visite du roi d'Espagne à Berlin, mariage du kronprinz, avec la grande-duchesse Cécile, etc. etc. etc. C'est question que de la joie, et que nous sommes revenus aux jours heureux de l'ère d'or.

LES BOURGES DES VALEURS

Le ministre des Finances a annoncé qu'il y aura une augmentation de la production industrielle.

LES RUSSES EN MONGOLIE

On mande de Pékin: Les Russes ont été reçus à Pékin par le président de la République.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES COLONIES TROUBLES

On mande de Brazzaville: Les troubles continuent en Afrique.

LA VIE PARLEMENTAIRE

LA CHAMBRE

Séance d'interpellation

L'INCIDENT DES ZONES

Chambre d'interpellation: L'incident des zones a été discuté en séance.

LEON BAILBY

M. Léon Bailby a été élu député.

LA COMMISSION DES MŒURS

La commission des mœurs a été constituée.

M. COMBES

M. Combes a été élu député.

AUSENAT

LA SÉANCE. — LE REPOS HÉBDOMADAIRE

La séance a été interrompue pour le repos hebdomadaire.

CONTRE LES ANARCHISTES

SURVEILLANCE ET ARRESTATIONS

Des mesures de surveillance ont été prises contre les anarchistes.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES RUSSES EN MONGOLIE

On mande de Pékin: Les Russes ont été reçus à Pékin par le président de la République.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES COLONIES TROUBLES

On mande de Brazzaville: Les troubles continuent en Afrique.

LES TROUBLES COLONIAUX

LA CHAMBRE

Séance d'interpellation

L'INCIDENT DES ZONES

Chambre d'interpellation: L'incident des zones a été discuté en séance.

LEON BAILBY

M. Léon Bailby a été élu député.

LA COMMISSION DES MŒURS

La commission des mœurs a été constituée.

M. COMBES

M. Combes a été élu député.

AUSENAT

LA SÉANCE. — LE REPOS HÉBDOMADAIRE

La séance a été interrompue pour le repos hebdomadaire.

CONTRE LES ANARCHISTES

SURVEILLANCE ET ARRESTATIONS

Des mesures de surveillance ont été prises contre les anarchistes.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES RUSSES EN MONGOLIE

On mande de Pékin: Les Russes ont été reçus à Pékin par le président de la République.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES COLONIES TROUBLES

On mande de Brazzaville: Les troubles continuent en Afrique.

LES TROUBLES COLONIAUX

LA CHAMBRE

Séance d'interpellation

L'INCIDENT DES ZONES

Chambre d'interpellation: L'incident des zones a été discuté en séance.

LEON BAILBY

M. Léon Bailby a été élu député.

LA COMMISSION DES MŒURS

La commission des mœurs a été constituée.

M. COMBES

M. Combes a été élu député.

AUSENAT

LA SÉANCE. — LE REPOS HÉBDOMADAIRE

La séance a été interrompue pour le repos hebdomadaire.

CONTRE LES ANARCHISTES

SURVEILLANCE ET ARRESTATIONS

Des mesures de surveillance ont été prises contre les anarchistes.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES RUSSES EN MONGOLIE

On mande de Pékin: Les Russes ont été reçus à Pékin par le président de la République.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES COLONIES TROUBLES

On mande de Brazzaville: Les troubles continuent en Afrique.

LES TROUBLES COLONIAUX

LA CHAMBRE

Séance d'interpellation

L'INCIDENT DES ZONES

Chambre d'interpellation: L'incident des zones a été discuté en séance.

LEON BAILBY

M. Léon Bailby a été élu député.

LA COMMISSION DES MŒURS

La commission des mœurs a été constituée.

M. COMBES

M. Combes a été élu député.

AUSENAT

LA SÉANCE. — LE REPOS HÉBDOMADAIRE

La séance a été interrompue pour le repos hebdomadaire.

CONTRE LES ANARCHISTES

SURVEILLANCE ET ARRESTATIONS

Des mesures de surveillance ont été prises contre les anarchistes.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES RUSSES EN MONGOLIE

On mande de Pékin: Les Russes ont été reçus à Pékin par le président de la République.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES COLONIES TROUBLES

On mande de Brazzaville: Les troubles continuent en Afrique.

LES TROUBLES COLONIAUX

LA CHAMBRE

Séance d'interpellation

L'INCIDENT DES ZONES

Chambre d'interpellation: L'incident des zones a été discuté en séance.

LEON BAILBY

M. Léon Bailby a été élu député.

LA COMMISSION DES MŒURS

La commission des mœurs a été constituée.

M. COMBES

M. Combes a été élu député.

AUSENAT

LA SÉANCE. — LE REPOS HÉBDOMADAIRE

La séance a été interrompue pour le repos hebdomadaire.

CONTRE LES ANARCHISTES

SURVEILLANCE ET ARRESTATIONS

Des mesures de surveillance ont été prises contre les anarchistes.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES RUSSES EN MONGOLIE

On mande de Pékin: Les Russes ont été reçus à Pékin par le président de la République.

LES ANARCHISTES

On annonce que sept anarchistes ont été arrêtés à Paris.

LES COLONIES TROUBLES

On mande de Brazzaville: Les troubles continuent en Afrique.

Acte de Décès

L'an mil neuf cent cinq, et le douze Mai, à dix heures et demie du soir, est décédé à Edjikitja, au campement de Edjikitja, au campement de Edjikitja, Mauritanie Saharienne, Campement français, occupé par la Mission Lagout-Adran, Monsieur Coppelani, Italien, secrétaire général des Colonies, commis du Gouvernement Général en Mauritanie, âgé de trente neuf ans, fils de Dominique Coppelani et sa Yacinthe Sacconi né à Marignana (Corse) le pour février mil huit cent quarant deux marié le neuf octobre mil neuf cent deux

âgé de domicile à Paris, rue Léon Liguist, onze. Le décès a été constaté par le Capitaine hors-cadre Treujean Louis Benoit Joseph, de l'Infanterie Coloniale, faisant fonctions de maire de l'état-civil, en présence du docteur Jean Lambours-Moufflet, médecin-major des Troupes Coloniales, et de M. Robert Arnand, administrateur adjoint de commune mixte hors-cadre.



[Handwritten signatures and notes]
 Le premier de la Mission Lagout-Adran, présents le douze Mai mil neuf cent cinq au campement de Edjikitja, constaté l'acte susdit certain et véritable.
 Uffant, Capitaine du Génie h.c. p... de l'Etat-major de la mission de Lagout-Adran.
 J. Etienne, adjoint des aff. indig. de l'Etat-major de la mission de Lagout-Adran.
 17out...

1. شهادة وفاة كزافيي كبولاني

1George coppolani ,op.cit, p23



عملية دفن كزافيي كبولاني.¹

¹La Dépêche Coloniale , L'œuvre de la France... , op.cit, p36.

البيبيوغرافيا

البيبلوغرافيا

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-الأرشيف و الوثائق :

1-1أرشيف ما وراء البحار أكس- أون- بروفنس:

-Centre des Archives Nationales d'outre-mer a Aix-en-Provence
(A .N.O.M):

1- A.N.O.M ,dossier «personnel» Xavier Coppolani : Archives du ministère des Colonies, EE 852, Archives du Gouvernement général de l'Algérie, 19 H 105, Archives du département d'Alger, C 6053.

2- Archives Nationales d'Outre-Mer, Commune mixte de Remchi
Département d'Oran, arrondissement de Tlemcen, FR ANOM
92503/ 1 à 8. Référence Internet, ark:/61561/rv477qlr.

2-1الوثائق :

1- Coppolani Xavier ,Rapport d'ensemble de ma mission au
Sudan Français(1^{ere} Partie chez les Maures), Imprimerie F.Levé,
Paris,1899.

2- Mauritanie Rapport d'Ensemble Année 1906-1908, Saint
louis, Imprimerie du Gouvernement ,1908.

2- المصادر:

1-2 باللغة العربية:

- 1 - البرتلي الولاتي أبي عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1981.
- 2-البكري أبو عبيد، المسالك والممالك (المغرب في ذكر افريقية و المغرب)، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- 3- جيليه ، التوغل في موريتانيا اكتشافات...استكشافات...غزو ،تر:محمدن ولد حمينا، ط1 دار الضياء، الكويت، 2009.
- 4-الحميري محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تر: إحسان عباس ، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975 .
- 5- دوفورغاستون ، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17-1920 ،تح: محمد المختار ولد محمد ولد بيه، ط1، مكتبة القرنين للنشر و التوزيع،نواكشط ،موريتانيا،2012.
- 6- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تر: عمر عبد السلام التدمري ، ج24 ، ط1، دار الكتاب العربي،بيروت- لبنان،1992.
- 7- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ،مج6، ط2 ، طبعة الكويت، الكويت، دت.

8- القلقشندی أبي العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ،
تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1982 .

9- النحوي خليل، بلاد شنقيط المنارة و الرباط - عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي
والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

2-2 باللغة الفرنسية:

1- Arnaud Robert, Un Corse d Algerie chez les Hommes Bleus,
Xavier Coppolani - Le pacificateur -,Imbert ,Alger,1939.

2- Baptiste Leonard-Jar Jean ,Voyage au Sénégal, Vol 01,
Imprimeur Libraire, Paris, 1802.

3- Beslier.G.G, Le Sénégal - L'Antiquité, Les arabes et les
empires noirs, La colonisation européenne du XVIe au XVIIe,
L'ère négrière, La France colonisatrice au Sénégal,L'oeuvre des
missions, Formation de l'Afrique Occidentale Française-, Payot,
Paris, 1935.

4- Borius .A, Les Maladies deSénégal-topographie, climatologie
et pathologie de la partie de la cote occidentale d'Afrique
comprise entre le cap Blanc et le cap Sierra-Leone, Libraire J.-
B. Bailliere et Fils, Paris, 1882.

5- Commandant Frèrejean ,Mauritanie 1903-1911 –Mémoire de
randonnées de guerre au pays des bedanes,présenté
par:Geneviève Désiré-Vuillemin, Edition Karthala ,Paris,1995.

6- coppolani Xavier et Depont Octave ,les Confréries Religieuses
Musulmanes, imprimerie-librerie-Editeur , Alger , 1897 .

- 7- coppolani Xavier ,**Mauritanie Saharienne (Novembre 1903-Mai 1904) Mission d'organization des Teritoires du Tagant**, l'Harmattan , Paris ,1997.
- 8- de Baudicour Louis, **Histoire de la Colinisation de l'Algérie**, Crallamel, Paris,1860.
- 9- De Paradis .V, **Alger au XVIII Siècle**,Edité par E.Fagnam, Alger , 1898.
- 10- Depeye rimhoff ,**Enquette sur les Résultats de la Colonisation Officelle 1871-1895**,T1,Alger,1906.
- 11- Douls Camille, **Voyage d'exploration à travers le Sahara occidental et le sud marocain - inBulletin de la Société de géographie-**,7e série, Tome9, Société de Géographie, Paris, 1889.
- 12- Dufal .J et Warnier .A, **Bureaux Arabes et Colons**, Paris,1869.
- 13- Féraud .L.Ch, **Histoire des villes de la Province de constantine**, Philippe ville, Alger,1875.
- 14- Georges Poulet,**Les Maures de L'afrique Occidentale Francaises**, Librerie Maritime et oloniale, Paris,1904.
- 15- Germain.R, **La Politique Indigène de Bugeaud**, Paris,1955.
- 16- GoinardPierre ,**l'Algérie L'Eouvre Française** ,2^{eme} Edition , Editions Jacques Gandini,paris.
- 17- Gretaud Marcelle ,**Réalité de la Nation Algérienne (sociales)**, paris ,1960.
- 18- Guernier Eugène, **Afrique Occidentale Française** ,Tome Encyclopédia colonial et Mauritanie,Paris, 1949.
- 19- Hanoutaux Gabriel ,Martineau Alfred ,**Histoire des Colonies Francaais et de l'Expansion de la France dans le monde**,Tome4, Librerie Plon ,Paris ,1929.
- 20- Hugonnet Ferdinand, **Français et Arabes en Algérie**, Paris, 1860.

- 21- Hugonnet Ferdinand, **Souvenir d'un Cheuf du bureau Arabe**, Paris,1858.
- 22- Jules Gérard , **L'Afrique du Nord**,2^{ème} édition,Paris iditeur, Paris, 1860.
- 23- Laigret Cristian, **Naissance d'une Nation : La Mauritanie**, Imprimerie Nationale, Nouakchott,1969.
- 24- Lapasset .F, **Aperçu sur L'Organization des Indigènes dans les Téritoires Militaires et Civils**, Alger,1850.
- 25-Marty Paul ,**Études sur l'Islam et les Tribus Maures - les Brakna-**, Ernest Leroux, Paris,1921.
- 26- Marty Paul ,**Les Tribus de la Haute Mauritanie**, Publication de Comité de l'Afrique Française, Paris, 1914.
- 27- Marty Paul, **Etude sur l'Islam maure- Cheikh Sidiya-**, Ernest Leroux, Paris 1916.
- 28- Paul Cultur **Histoire du Sénégal de XVe à 1870**, Paris, Larose, 1910.
- 29- Raoul Paul ,**Histoire de la Corse** , Edition Charles Bayle ,Paris, 1890.
- 30- René Bazin, **Charle de Foucauld Explorateur du Maroc Ermite Au Sahara**, Librairie Plon, Paris,1921.
- 31- Richard .Ch, **Du Gouvernement Arabe et de L'Institution qui doit L'exercer**, Alger,1848.
- 32- Richet Etienne,**La Mauritanie**, Emile larose libraire editeur, Paris ,1920.
- 33- Sonn et Gaston, **Sahara et Soudan**, impremerie Goseph Kugelnaun ,1880.
- 34- Vallet .E, **Constantine Surpassé centaine 1837-1937**, Edition Braham Paris,1937,Vol.LXIV.

35- Yacono .X, Les Bureaux Arabes et L'Evolution des Genres de Vie Indigènes dans l'Ouest du Tell Algérois, Paris, 1953

3-المراجع:

3- 1 باللغة العربية:

- 1- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار لإفريقيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989.
- 2- بن إبراهيم الطيب ، الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه (خاصة في الجزائر)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،الجزائر، 2010م.
- 3- إدريس محمد جلاء، الإستشراق الإسرائيلي (في المصادر العبرية)، العربي للنشر والتوزيع، 1995 م.
- 4- أبو العلاء محمد، الملاح العرقية والتكوين الاجتماعي في الجمهورية الإسلامية الموريتانية- دراسة مسحية شاملة -، معهد البحوث و الدراسات العربية ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،القاهرة، 1978 .
- 3- أرسلان شكيب ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت ، د ت.
- 4- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية و التجارية في المتوسط (500-1100م)، تر: أحمد عيسى و محمد شفيق غربال ، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د ت.
- 5- الأمين مريم أحمد ،النظم السياسية و الادارية و أثرها على التركيبة التقليدية للمجتمع البيطاني 1900-1945م ، جامعة نواكشوط ، 1989م.

- 6- أندري جوليان شارل، إفريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، دت.
- 7- بارت رودى ، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1970م.
- 8- بدوي عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين، ط 3 ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1993م.
- 9- برايمباري عثمان ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط 1، دار الأمين للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2000م، ص30.
- 10- بركان بن يحيى ، دور الاستشراق الفرنسي و نشاطه في الجزائر-الجانب الاجتماعي نموذجاً ، مجلة الدراسات و البحوث، ع17 ، الجزائر.
- 11- بلحاج صالح ، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، منشورات بن مرابط، قسنطينة، 2015.
- 12- بلعباس محمد ، الوجيز في تاريخ الجزائر ، الدار المعاصرة للنشر، الجزائر، 2009م.
- 13- بن الحسين الطيب بن عمر، السلفية وأعلامها في موريتانيا - شنقيط، دار بن حزم، ط1، بيروت، 1995 م.
- 14- بن محمذن محمّدو، وثائق من التاريخ الموريتاني -نصوص فرنسية غير منشورة -، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2000 .
- 15- بن همدى محمد سعيد، موريتانيا و أوروبا عبر التاريخ،(د.د.ن) ،أطار، موريتانيا، 2002.
- 16- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

17- بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

18- بودريالة مسعود، الاستشراق الفرنسي وتوظيفه الاثنوغرافي في الجزائر، مقال تاريخي في مجلة "دراسات"، ع 5، منشورات جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة2، الجزائر، 2016م.

19- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830، 1930)، وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

20- بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

21- بوعزيز يحيى ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

22- التميمي عبد المالك خلف، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1987.

23- جفري براون ، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المزروقي، ط1، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2006.

24- الجمل شوقي عطى الله وعبد الله عبد الرزاق ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار الثقافة ، الدوحة، 1987.

25- الجمل شوقي عطى الله، تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها، ط2، القاهرة، 1980.

26- الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2008.

- 27- الجندي أنور ،العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتب اللبناني، ط2، 1983.
- 28- حقي حسان، إفريقيا الحرة، بلاد الأمل والرخاء، ط1، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، 1962.
- 29- حلاق حسان، مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية، بيروت، دت.
- 30- حمدان جمال، إستراتيجية الاستعمار و التحرير، ط1، دار الشروق ، بيروت، 1983.
- 31- حمدان نذير ، مستشرقون سياسيون جامعيون مجتمعون ، ط 1 ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1988 .
- 32- حنبكة الميداني عبد الرحمان ، أجنحة المكر الثلاثة و حوافيها (التبشير- الاستشراق- الاستعمار) دراسة و تحليل و توجيه ، ط1، دار القلم ، دمشق ، 2000.
- 33- خربوش عبدالرؤوف ، دور المستشرقين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب ، د د ن ، د ب ن ، د ت.
- 34- خرشي جمال ، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1862، تر: عبد السلام عزيزي، الجزائر، دار القصة، 2009.
- 35- الحشن وليد كاظم ، المدرسة الاستشراقية الفرنسية (دراسة في أسلوبها و منهجها)، د ط، د د ن ، د ب ن ، د ت.
- 36- الخميس وفاء ، الاستشراق الفرنسي ونشاطه وخصائصه ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الملك سعود ، دت ، ص 14 .
- 37- الدالي الهادي و هلال عمار ، دراسة في حركات التبشير و التنصير بمنطقة إفريقيا ما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002.

- 38- داهش محمد علي ، دراسات في الحركات الوطنية و الاتجاهات الوجدوية في المغرب العربي، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2004 .
- 39- الدسوقي إبراهيم ناهد ، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2008.
- 40- دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
- 41- ديوارنت ول وايريل ، قصة الحضارة (الحضارة الرومانية)، تر: محمد بدران ، مج 11 ، مكتبة لبنان، بيروت ، د ت.
- 42- راشد أحمد إسماعيل ، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا- تونس -الجزائر-المغرب-موريتانيا) ، ط1، دار النهضة العربية للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
- 43- رزق الله أحمد مهدي، حركة الشيخ مابا جاخو الإسلامية الإصلاحية الجهادية ودورها في الحياة الإسلامية بغربي إفريقيا (1850-1890) ، مجلة الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك سعود، مج 12 ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000.
- 44- رياض زاهر، استعمار افريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- 45- الزيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر، 1972.
- 46- زوزو عبد الحميد ، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009.
- 47- زوزو عدنان محمد وآخرون ، الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات (دراسة معاصرة لأبرز التيارات المناوئة للإسلام) ، د ط ، مركز الحكمة ، قطر، د ت.

- 48- الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، ط 5، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- 49- الزيدي مفيد، موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دار أسامة، عمان، 2004.
- 50- الساموك محمد سعدون ، مناهج المستشرقين، جامعة بغداد، العراق، 1985م.
- 51- السباعي مصطفى، الاستشراق والمستشرقين ما لهم وما عليهم، ط2، المكتب الإسلامي، 1979م.
- 52- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 53- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 54- سعد الله أبو القاسم، محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877م)، الجزائر، 1977
- 55- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ ، ط 1، شركة دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2013م.
- 56- سليمان عبد العزيز ومحمد جمال الدين محمود ، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي ، مصر، 1999.
- 57- سميلوفيتش أحمد ، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، د ط ، دار المعارف، القاهرة، 1980م.
- 58- السياح أحمد عبد الرحيم ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ط1 ، دار المصرية للبنانية ، القاهرة ، 1996م.

- 59- السيد أشرف صالح محمد ، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ط 1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2009.
- 60- سيد سليمان حسن ، ظاهرة الاستعمار في إفريقيا و العالم العربي ، مجلة بحوث دراسات افريقية، العدد الثاني، المركز الإسلامي الإفريقي، السودان، 1986.
- 61- شاعر محمود ، التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر - بلادالمغرب)، ج 14 ، ط 2 ، المكتب الإسلامي ، بيروت، 1996 .
- 62- شاعر محمود ، التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر -غربي افريقية) 1432- 1412هـ / 1924-1992م، ج 15، المكتب الإسلامي، ط 1997.
- 63- شاعر محمود ، موريتانيا بلاد شنقيط ، مكتبة الفتح ، دمشق، 1965.
- 64- الشرقاوي محمد عبد الله، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، دار الهداية، القاهرة، د ت.
- 65- الصباغ ليلي ، عالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، دمشق 1986.
- 66- صبري صلاح ، إفريقيا وراء الصحراء ، القاهرة، 1960.
- 67- صقر جوزيف ، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم (القبائل العربية- موريتانيا- جيبوتي- الصومال)، Creps International Edition ، بيروت، 1999.
- 68- ضياء الدين حسن ، وحي الله حقائقه و خصائصه في الكتاب و السنة- نقض مزاعم المستشرقين، ط 1 ، دار المكتبي ، 1999م.
- 69- ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا ، السودان)، ط 1، دار المعارف، القاهرة.
- 70- طاس أحمد ، السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاسها على الثورة 1956، 1958، دار الهدى، الجزائر، 2013.

- 71- بني عامر محمد أمين حسن محمد ، المستشرقون و القرآن الكريم ، ط 1 ، دار الأمل للنشر و التوزيع ،الأردن ،2004م.
- 72- طاهر أحمد ،إفريقيا - فصول من الماضي و الحاضر ، دار المعارف ، مصر ،1975.
- 73- عباد صالح ،المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1984م.
- 74- العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس ، د ط ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1978م.
- 75- عبد الكريم أحمد عزت ،دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.
- 76- العبودي محمد ناصر، إطلالة على موريتانيا، دار المريخ للنشر، الرياض، 1998.
- 77- العقاد صلاح وآخرون، بناء الدولة الموريتانية - الجمهورية الإسلامية الموريتانية - دراسة مسحية شاملة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،1978 .
- 78- علي إبراهيم عيسى، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
- 79- عمارة إسماعيل أحمد ، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربية، ط 2، دار حنين للنشر والتوزيع، الأردن ،2004م.
- 80- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أورو بالحديث والمعاصر (1815-1919)، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2000.

- 81- عميرة عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون بين أحقاد المستشرقين وضلال الاستشراق، ط 1، دار الجليل، بيروت، دت.
- 82- العنتري محمد صالح ، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار ، الجزائر، 1974.
- 83- العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، تح: يحي بوعزيز، ط خ، وزارة المجاهدين، الجزائر ، 2009م.
- 84- فركوس صالح ، الباي محمد الكبير و بايلك الغرب الجزائري (1779-1796م) ، رسالة دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1979.
- 85- فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 86- فركوس صالح ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال ، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، 2005.
- 87- فركوس صالح ، تاريخ قسنطينة- مما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، ج 1 ، القافلة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2016.
- 88- فريد بك المحامي محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح: إحسان حقي ، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.
- 89- فوزي فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية، ط 1، قسم التاريخ، جامعة آل البيت الأهلية ، 1998م.

- 90- فيج.جي.دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد نصر يوسف، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- 91- القوزي محمد علي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، 1422 هـ / 2002 م.
- 92- الكتاني، المسلمون في أوروبا و أمريكا، تر: عمر عبد السلام التدمري، ج24، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1992.
- 93- الكعك عثمان، البربر، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، دار البيضاء، المغرب، 2003.
- 94- كمر الشيخ موسى، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تح: حماد الله ولد السالم، ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.
- 95- الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- 96- الكيلاني جمال الدين فاح، فلسفة الاستشراق في ضوء فكر القرن الواحد والعشرين، مكتبة المصطفي للنشر و التوزيع، القاهرة، 2001 م.
- 97- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار التقدم، موسكو، 1971 م.
- 98- لونيسي إبراهيم، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 99- المحجوبي خالد إبراهيم، الاستشراق و الإسلام (مطروحات نقدية للطروح الاستشراقية)، دار الكتاب الوطنية، ليبيا، 2008.

100- متولي محمد وآخرون، إفريقيا في العلاقات الدولية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975.

101- مجموعة مؤلفين، أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات ، الجزائر ، 2007.

102- محمد علي ذهني إهام ، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914)، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1988.

103- محي الدين رزق محمد، إفريقيا وحوض النيل، ط2، مطبعة عطايا لباب الخلق، مصر، 1934 .

104- المحيشي عبدالقادر مصطفى وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الإعلان ،ليبيا، 2000.

105- مذكرات الحاج أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة، ترجمة وتعليق: محمد العربي الزبيري ، الجزائر، 1973.

106- مرتاض عبد المالك ، دليل من مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، دت.

107- مطبقاتي مازن بن صلاح ، الإستشراق ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية.

108- المقرحي ميلاد ، تاريخ أوروبا الحديث 1453-1868، ط1، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، 1996.

- 109- المقرحي ميلاد ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، ط1، المكتب الجامعي الحديث ، بنغازي، 1995.
- 110- موريس شربل كمال، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998.
- 111- الموسوي سلمى حسين علوان ، التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي في القرن العشرين ، د ط ، كلية الأدب ، جامعة الكوفة ، د ت .
- 112- موسى فيصل محمد ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، 1997.
- 113- موسى فيصل محمد ، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة - بنغازي-، ليبيا، 1997.
- 1- مياسي إبراهيم ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- 2- النجم عبد الباري ، جمهورية موريتانيا الإسلامية -دراسة في أوضاع موريتانيا الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية-، دار الأندلس، بيروت، 1966 .
- 3- نوار عبد العزيز ، التاريخ المعاصر أوروبا من الحرب البروسية حتى الحرب العالمية الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1979.
- 4- هنري كلود ، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، دار المعرفة للتوزيع و للنشر، الجزائر، 1981.
- 5- ولد أباه السيد ، موريتانيا - الثقافة - الدولة والمجتمع، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1995.

البيليوغرافيا

- 6- ولد أباه محمد المختار، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان ، ط2، الرباط 2003.
- 7- ولد السالم حماد الله، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى بين أولاد الناصر ودولة ابدوكل اللمتونية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 2010.
- 8- ولد السالم حماد الله، تاريخ موريتانيا(العناصر الأساسية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007. ولد السعد محمد المختار وعبد الحي محمد، تجربة التحول الديمقراطي في موريتانيا، السياق-الوقائع-آفاق المستقبل، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات ، 2009.
- 9- ولد السعد محمد المختار، إمارة الترازة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703-1860م، مجلة رباط الكتب الالكترونية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، ع 05، الرباط، 2002.
- 10- ولد حامد المختار، حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، ج2، الدار العربية للكتاب.
- 11- ولد حامد المختار، حياة موريتانيا - الجغرافية -، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1994 .
- 12- ولد حديد سيدي محمد، مقتل منظر الحملة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا كزافيي كوبولاني (القصة الكاملة)، منشورات اتحاد الكتاب والأدباء الموريتانيين ، موريتانيا، 2011.
- 13- ولد سيد محمد الهادي محمد المختار، موريتانيا خلال قرن من الزمن 1899 / 1999م، بغداد 2000.

14- ولد صدفن محمد الراضي ، السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا و أثرها على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية (1900-1960م) ، بيروت، 1981م.

15- ياغي إسماعيل أحمد و شاكر محمود ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (قارة إفريقية)، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض.

16- يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.

17- يحي جلال ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر (حتى الحرب العالمية الأولى) ، ج2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د ت.

18- يحي جلال ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر (سيطرة أوربا على العالم) ، ج4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د ت.

19- يحي مراد ، ردود على شبهات المستشرقين (من قضايا الاستشراق بحوث ودراسات)، د ط ، د د ن ، د ت.

20- يحي مراد ، من قضايا الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م.

3-2 باللغة الإنجليزية:

1- Charlotte Alison Quinn ,Maba Diakho and The Gambian Jihàd 1850-1890, Studies in WestAfrican Islamic history – The Cultivators of Islam, Vol 02, Routedge, Great Britain, 1979.

2- Conklin Acile ,A Mission to civilize-The Republican Idea of Empire in France and WestAfrica 1895-1930 -, Stanford University Press, U.S.A, 1997.

- 3- Hogben .S.J, **An Introduction To The History Of The States Of NorthernNigeria**, Oxford University Press, Great Britain, 1967.
4-Martin A.Klein, **Breaking the Chains -Slavery, Bondage and Emancipation in ModernAfrica and Asia-**, Library of Congress Cataloging-in Publication Data, U.S.A, 1993.

3-3 باللغة الفرنسية:

- 1- Abou Sall Ibrahima, **Mauritanie du Sud (Conquêtes et administration coloniales françaises 1890-1945)**, Karthala, Paris, 2007.
2- Annuaire statistique de l'Algérie, 1939 – 1947.
3- Azan ,**Bugeaud et L'Algérie**, le Petit Parisien ,Paris.
4- Bernus Edmond et autres ,**Nomades et commandants-Administration nomades dans l'ancienne A.O.F**, Karthala, Paris, 1993.
5- Coppolani George ,**Xavier CoppolaniFils de Corse,Homme d'Afrique Fondateur de la Mauritanie**, l'Harmattan,Paris-France,2005.
6- Courrière Yves, **la guerre d'Algérie**, 2. Le temps des léopards, casbah éditions, Alger , 2005.
7- D'avezac.M, **Iles de L'Afrique**,.Fermin didot Frère iditeurs , Paris.
8- De BenoistJoseph Roger, **Eglise et pouvoir colonial au Soudan Française –Administrateurs et missionnaires dans la Boucle du Niger (1885-1945)**, Karthala, Paris,1987.
9- De chassey Francis,**Mauritanie 1900- 1975**, L'Harmattan, Paris, 1984.

- 10- Egretaud Marcel, Realité de La Nation Algérienne, 2^{ème} Edition- edi. Sociales ,Paris,1960.
- 11- Garbet.M .et Dufal.J, Archives Algériennes,T2 Année,1885.
- 12- Gérard Morel, Jean-Rémi Bessieux et le Gabon- La fondation de l'Eglise catholique à travers sa correspondance 1803-1849, Tome1, Karthala, Paris,2007.
- 13- Gnoakane Adama, La Colonie du Sénégal et les Emirats du Sud-ouest Mauritanien à la fin du 19^{ème} siècle, Département d'histoire, Université de Nouakchott.
- 14- Gravier Gabriel,Voyage de Paul Soleillet à l'Adrar décembre 1879-mai 1880, Nabu Press, Paris, 2010.
- 15- Hadir Aidara abdoul ,Saint-Louis du Sénégal d'hier à aujourd'hui,Grandvaux, Paris, 2004 .
- 16- Hamet Ismail ,Chroniques de la Mauritanie Sénégalaise, Traduction et Notice: NaserEddine, Leroux Erneste, Paris, 1911.
- 17- Hubert Deschamps, Histoire Général de l'Afrique Noire de Madagascar et les desarchipels (de 1800 à nos jours), Tome 2, Bordas, Paris,1973.
- 18- Hubert Deschamps, Histoire Générale de l'Afrique Noire, Tome II,Paris,1971.
- 19- Jacques Félix H Jacques, Ccontribution de René Caillé L'Ehtnobotanique Afcaine du Cours de ses Voyages en Mauritanie et à Tombouctou 1819-1828, Paris,1963.
- 20- Jean- Leopold et Marina Yaguello, J'apprends le Wolof, Karthala, Paris, 1991.
- 21- Klitchkoff Jean-Claude, La Mauritanie aujourd'hui, Éditions du Jaguar, 2e éd, Paris, 2003.

- 22- Ould Khalifa Abdallah, La région du Tagant en Mauritanie L'oasis Tijigja entre 1660 et 1960, Karthala, Paris, 1998.
- 23- Ould Oumar Mohamed Abderrahmane, Faidherbe et le Renforcement de l'Influence Française sur la Rive Droite de du Fleuve Sénégal, Traduit Par: Mohamed Said Ould Ahmedou, Université de Nouakchott.
- 24- Robinson David, Sociétés musulmanes et pouvoir colonial français au Sénégal et en Mauritanie 1880 – 1920, Karthala, Paris, 2004.
- 25- Roussanne Albert, L'homme suiveur de nuages : Camille Douls, Saharien 1864-1889, Edition du Rouergue, Paris, 1991.
- 26- Vullemin Geneviève Désiré.G-M, Cotribution à l'histoire de de la Mauritanie(1900-1934), Dakar, 1962.
- 27- Zanco Jean-Philippe, Dictionnaire des Ministres de la Marine 1689-1958, SPM, Paris, 2011.

4- الموسوعات والمعاجم والقواميس :

- 1- أبادي الفيروز ، القاموس المحيط، تح :مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، القاهرة، 20.
- 2- الخوند مسعود ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج2، دار رواد النهضة للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1994.
- 3- الزيدي مفيد، موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث ، دار أسامة ،عمان ،الأردن ، 2004.
- 4- عتريس محمد، معجم بلدان العالم،الدار الثقافية للنشر، مصر، 2002.

5- الكيالي عبد الوهاب ، موسوعة السياسة ، ج4، د ط ، الموسوعة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1994.

6- الفوزان بن عبد الرحمان فوزان ، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج 11، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1999، السعودية.

7- مؤنس حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، تر: عمر عبد السلام التدمري ، ج24 ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1992.

8- نيهان محمد يحيى ، معجم مصطلحات التاريخ، ط1 ، دار يافا العلمية للنشر و التوزيع ، الأردن، 2008.

9- مرتاض عبد الملك ، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1954 - 1962، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ت.

10- منجد اللغة و الاعلام (جزء الاعلام)، دار المشرق، بيروت، 2008.

11- يحي مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، د ط ، د د ن ، د ت ، ص 96.

5- الجرائد والمجلات:

5-1 الجرائد:

1- **La Dépêche Coloniale illustre :**

-Le Baru Jean ,La Mauritanie Saharienne, (3^{eme} Année) N° 19,Paris, 15 octobre 1903.

- Le Baru Jean ,Mission Coppolani en pays Trarza et Brakna, (3^{eme} Année) N° 19,Paris, 15 octobre 1903.

-Rand.R ,L'œuvre de la France en Mauritanie, ,(6^{eme} Année) N° 03,Paris, 15 février 1906.

-Rand.R ,La Mort de Coppolani, (6^{eme} Année) N° 03,Paris, 15 février 1906.

-Rand.R ,Organisation Administrative de la Mauritanie, (6^{eme} Année) N° 03,Paris, 15 février 1906.

2-La presse ,Colonies Troublées- Assassina de M .Coppolani au Sénégal, (12^{eme} Année) Nouvelle Série-N° 4745,Paris , samedi le 27 Mai 1905.

3-Loulan Robert ,Le général Gouraud –Chef et Soldat illustre-, Dimanche illustre, N° 789,Paris, 10 avril 1938.

5-2المجلات:

✓ باللغة العربية:

1- أنور محمد ،أنهار وبحيرات إفريقيا - نهر النيجر -،مجلة إفريقيا قارتنا، ع 07 ،القاهرة، مصر، سبتمبر 2013 .

2- بناني عثمان ،السودان الغربي عند ابن بطوطة و ابن خلدون ، مجلة دعوة الحق، العدد 269 ، ابريل 1988.

3- بن عمار محمد عبد الرحمن ،مقال:فيدهرب و توسيع النفوذ الفرنسي في موريتانيا، مجلة الفسطاط التاريخية.

4- الحيايي عبد الأمير عباس ،أبعاد الصراع الموريتاني -السنغالي في حوض نهر السنغال، مجلة الفتح ، كلية التربية للعلوم، الإنسانية، جامعة ديالي، ع 34 ،العراق، 2008 .

5- الدغيم محمود السيد، الواحة، جريدة الحياة، مركز معلومات دار الحياة ، ع 15538، بيروت، الأحد 13 رمضان 1426هـ/ أكتوبر 2005 .

6- دريوش سهيلة ، الاستشراق الفرنسي في الجزائر ما بين (1830-1930م) قراءة في مقال هنري ماسي ، تر: محمد يحياتن، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، د ت.

7- العليان عادل محمد حسين، الثورة الأمريكية وحرب الاستقلال دراسة لأهم دوافعها

ونتائجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1774- 1783، مجلة سر من رأى، جامعة

تكريت، كلية التربية، قسم التاريخ، ع38، مج 08، سامراء، العراق، 08 جانفي 2013.

8- مجلة الإنسان و المجتمع، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان، ع 2، 2001.

9- ولد السعد محمد المختار، موريتانيا في السياسة التوسعية الفرنسية في القرن 19م،

حولية المؤرخ العدد 3-4، جامعة وهران، الجزائر، 2005.

8- يعقوب علي، الدولة الإمامية في (فوتاتورو) ودورها في نشر الثقافة الإسلامية واللغة

العربية، مجلة قراءات افريقية، المنتدى الإسلامي، ع 09، الرياض، المملكة العربية السعودية،

رجب - رمضان 1432 هـ / جويلية - سبتمبر 2011.

✓ باللغة الفرنسية:

1- Cadabosco Montané, La question de la Mauritanie, Renseignements coloniaux, N°5, Paris, 1909.

2- De Benoist Joseph Roger, La place de la Mauritanie dans les institution de l'AOF, Revue Masadir, Université de Nouakchott, N° 3, Mauritania, 2002.

3- Frébourg Cécile, Coppolani revisité, In: Revue Francaise d'histoire d'outre-mere, tom80, n301, 4^e trimestre 1993.

4- Gnokan Adama, La Colonie de Sénégal et les Emarats du sud-ouest Mauritanien à la fin du XIXe siècle, Revue Masadir, Université de Nouakchott, N° 3, Mauritania, 2002.

5- Mamadou Amadou-Ba, L'Adrar dans l'Anarchie, Bulltin de renseignement coloniaux, n2, Paris.

6- Mamadou Amadou-Ba, L'Adrar dans l'Anarchie, Bulltin de renseignement coloniaux, n2, Paris.

7- Masson Paul ,**Une double énigme -Anré Brue-**, RHC, Vol 20, N° 85, Paris, 1932.

8- Moniot Henri - Vuillemin Geneviève Désiré, **Contribution à l'Histoire de la Mauritanie 1900 -1934**,In :Anales Economies-Sociétés-Civilisation,23^{eme} année , N3,1968.

9- Rev. franc, d'hist. d'outre-mer, t. IXXX (1993), n° 301.

10-Scotti Edgar ,**Les Uniates du Péloponnèse** , l'Algerianiste (Revue d'Expression de la Culture des Français d'Afrique du Nord), N°88 de décembre 1999.

11- Valette Jacques ,**Pénétration française au Sahara et exploration–le cas de Paul Soleillet**, RFHOM, Vol 67, N° 248-249, Paris, 1980.

12-Vuillemin Geneviève Désiré.G-M,**Le commandant Frère jean Un Pionnier de Mauritanie**. In :Revue d'histoire des colonies, Tome36, n125, Premier trimestre1949.

13-Vuillemin Geneviève Désiré.G-M,**Coppolani en Mauritanie**. In , Revue d'Histoire des colonies, tome 42,n148-149,troisième et quatrième trimestres1955.

14-Yves-Martin-Saint-Jean, **Un centenaire oublié, Eugène-Abdon Mage (1837-1869)**, RFHOM , Vol 57, N 207, Paris.

6- الرسائل الجامعية:

6-1 باللغة العربية:

1- الأعرجي نضال مؤيد مال الله عزيز، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب

المريني (685 - 1276/706 ، 1306 م) ، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ إسلامي،

كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، 2004 .

- 2- البدوي سلمان علي ، الطريقة القادرية والإستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية من قسم التاريخ (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة القاهرة، 2003.
- 3- بنت محمد حرمة تسلم ، كبولاني وسياسته في موريتانيا، شهادة المتريز، جامعة نواكشوط، 1991-1992 .
- 4- الدور أحمد شايب، الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون- جامعة وهران، الجزائر، 2010م.
- 5- عبده علي إبراهيم ، المنافسة الدولية في أعالي النيل (1880-1906) ، رسالة دكتوراة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية ، القاهرة، 1977.
- 6- المحمادي مرسل عبدالله المرسل ، موقف المستشرقين من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب(عرض و نقد) ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين- جامعة أم القرى، د ت.
- 7- محمد عادل ماجد ، الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الشرعية الإسلامية ، كلية الفقه جامعة الكوفة ،العراق ، 2008 م.
- 8- مدني حسين ، التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر (1884-1914)- الغرب الجزائري نموذجاً-، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012/2013.

9- النعيم عبد الله محمد الأمين ، الاستشراق في السيرة النبوية ، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، 1997م.

10- ولد سمير عالي، استعمار موريتانيا أسبابه ونتائجه، شهادة المتريز، جامعة انواكشوط 2008/2007 .

11- ولد محمد المختار، الطرق الصوفية ومواقفها من الاستعمار الفرنسي في موريتانيا، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2011/2010م.

2-6 باللغة الفرنسية :

1- Ould MohamedSidi Mohamed, L'évolution de la pêche en Mauritanie depuis l'indépendanceà nos jours (1960-2009), Thèse de Doctorat, Spécialité Histoire Contemporaine, UFR Langues, Arts et Science Humaines, ULR, Paris, 2010.

7- الوثائق الإلكترونية :

1- رفيع محمد ، كورسيكا جزيرة الجمال الحائر و مسقط رأس كبولاني، مقال تاريخي، صحيفة الرأي الأردنية الإلكترونية. [http:// www alrai.com/article/570407.html](http://www.alrai.com/article/570407.html).

2- <http://www.oran-memoire.fr/Monsite/Reibell.html> .

3- <https://www.universalis.fr/encyclopedie/waldeckrousseau>.

4- <https://www.wikipedia.org/>

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

أ	المقدمة
10	الفصل التمهيدي
11	1 . مفهوم الاستعمار و تطوره
11	1 . 1 . مفهومه
14	1 . 2 . بروز ظاهرة الاستعمار و تطورها
18	2 . فرنسا و التكالب الاستعماري الأوري
20	3 . الاستعمار الفرنسي في إفريقيا
30	4 . التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر و موريتانيا
30	4 . 1 . السياسة العامة للاستعمار الفرنسي في إفريقيا
32	4 . 2 . الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و موريتانيا
53	الفصل الأول : التعريف بشخصية كزافيي كبولاني
54	1 . كورسيكا مسقط رأس كبولاني
54	1 . 1 . الموقع
55	1 . 2 . جغرافيا كورسيكا
55	1 . 3 . كورسيكا عبر التاريخ
58	2 . أسرته
60	3 . مولده و التحاقه بالجزائر
71	3 . 1 . قسنطينة محطة كبولاني الجديدة
73	4 . نشأته و تعليمه
77	5 . مؤلفاته
78	5 . 1 . كتاب الطريقة الصوفية العمارية
81	5 . 2 . كتاب الطرق الدينية الإسلامية

84 3.5 . تقريره حول مهمته في السودان الغربي
86 4.5 . كتاب صحراء موريتانيا (نوفمبر 1903-ماي 1904م)
92	الفصل الثاني : كبولاني والاستعمار الفرنسي في الجزائر
93 1 . كبولاني و السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر
93 1.1 . مظاهر السياسة الفرنسية في الجزائر
96 1.1 . سياسة الاستيطان بإقليم قسنطينة
99 1.3 . كبولاني و المكاتب العربية
105 2 . توظيفه بالإدارة الفرنسية بالجزائر
113 3 . تأليفه كتاب الطرق الصوفية الإسلامية
116 4 . مهمته في السودان الغربي (السودان الفرنسي)
119 5 . مشروعه لفرض السلم في البيضان
120 1.5 . نتائج البعثة
122 2.5 . عودته إلى باريس و تقريره حول المهمة
126	الفصل الثالث: موريتانيا من التنافس الأوربي إلى الهيمنة الفرنسية
127 1 . معطيات عامة عن موريتانيا
127 1.1 . أصل التسمية
131 1.2 . موقعها
132 1.3 . المساحة و المناخ
133 1.4 . اللغة
133 1.5 . التركيبة السكانية
141 1.6 . الموارد الاقتصادية
143 1.7 . التقاليد و الثقافة في المجتمع الموريتاني
144 2 جذور التدخل الأوربي في موريتانيا
144 1.2 . بداية الكشوفات الجغرافية
148 2.2 . التنافس الأوربي على موريتانيا

157 3 . العلاقات التجارية بين الفرنسيين و الإمارات الموريتانية
162 4 . الأطماع الفرنسية في موريتانيا
170 5 . البعثات الاستكشافية في المجال الموريتاني
182	الفصل الرابع : كبولاني والاستعمار الفرنسي في موريتانيا
183 1 . موريتانيا قبيل الحماية الفرنسية
183 1 . 1 . أوضاع القبائل الموريتانية
185 1 . 1 . العلاقات الفرنسية بالقبائل الموريتانية قبيل الاحتلال
193 2 . 2 . كبولاني و الاحتلال الفرنسي في موريتانيا
197 1 . 2 . مشروع كبولاني لاحتلال موريتانيا
202 2 . 2 . بداية تجسيد مشروع الاحتلال
204 3 . فرض الحماية على موريتانيا
205 1 . 3 . التغلغل السلمي في موريتانيا(1900-1905)
214 2 . 3 . مرحلة الإخضاع العسكري (1905-1914)
217 4 . مقتل كبولاني
218 1 . 4 . حسب الرواية الموريتانية
221 2 . 4 . حسب الرواية الفرنسية
229 5 . السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا بعد كبولاني
230 1 . 5 . احتلال أدرار
232 2 . 5 . احتلال تيشيت
233 3 . 5 . السياسة الفرنسية في موريتانيا
242 الخاتمة
247 الملاحق
278 البيليوغرافيا
307 فهرس الموضوعات

الملخص:

يعتبر كزافيي كبولاني من أهم الشخصيات في تاريخ الاستعمار الفرنسي من خلال إنجازاته في الجزائر و في موريتانيا هاجر في صغره إلى الجزائر و تكون في المدرسة الجزائرية التي تلقى فيها تعليمه بعد أن استقر بإقليم قسنطينة. وبعد التخرج عين سنة 1889م كاتباً ببلدية وادي شارف. لتبدأ حكايته في التعامل مع الثقافة الإسلامية، قبل أن تتم ترقيته في سنة 1896م ليتولى إدارة شؤون الأهالي المسلمين كنائب للإداري والباحث أوكتافديون، الذي نشر بالتعاون معه كتابا حول "الطرق الدينية الإسلامية" في 1898م. وفي سنة 1901م كلف بمهمة في السودان الغربي قدم من خلالها كبولاني "مشروع فرض السلم في منطقة البيضان"، وهو مشروع تقبلته الحكومة الفرنسية بحماس. ويمكن القول أنه أول من مهّد للسيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية، بل مهّد أيضا للاحتلال الفرنسي لموريتانيا، قبل أن يغتال سنة 1905م قبل اكتمال مشروعه الاستعماري لموريتانيا.

الكلمات المفتاحية:

كزافيي كبولاني، الإدارة الفرنسية، الطرق الصوفية، السودان الغربي، بلاد البيضان، الحماية الفرنسية.

Résumé :

Xavier Coppolani est l'une des personnalités les plus importantes de l'histoire du colonialisme français par son travail colonial en Algérie et en Mauritanie. Il a été immigré dans son enfance en Algérie. à l'école algérienne il a reçu son éducation. Après l'obtention de son diplôme, il a été nommé en 1889 écrivain dans la municipalité de WadiSharef. où il a commencer son histoire avec la culture islamique, avant d'être promu en 1896 pour gérer les affaires du peuple musulman en tant qu'administrateur adjoint du chercheur Octave Depont, qui publia avec lui un livre sur les "Confreries religieuses musulmanes " en septembre 1898. En 1901, il reçoit une mission dans l'ouest du Soudan pour présenter le Projet de paix dans la région du Beidane , un projet que le gouvernement français l'accepte. Il fut aussi le berceau de l'occupation française de la Mauritanie, avant d'être assassiné en 1905 avant l'achèvement de son projet colonial en Mauritanie.

Mots-clés :

Xavier Coppolani , administration française , confréries religieuses , Soudan occidental , pays des baydane , Colonialisme français.

Summary:

Xavier Coppolani is one of the most important personalities in the history of French colonialism through his colonial work in Algeria and Mauritania. He was an immigrant in his childhood in Algeria. at the Algerian school he received his education. After graduation, he was named in 1889 writer in the municipality of WadiSharef. where he began his history with Islamic culture, before being promoted in 1896 to manage the affairs of the Muslim people as deputy administrator of the researcher Octave Depont, who published with him a book on the "Confreries_ religieuses_ musulmanes" in September 1898 In 1901, he received a mission to western Sudan to present the Baydane Peace Project, a project accepted by the French government. He was also the birthplace of the French occupation of Mauritania. to be assassinated in 1905 before the completion of his colonial project in Mauritania.

Key – words:

Xavier Coppolani , French Administration , Religious Brotherhoods , Western Sudan, Baydane Country, French Colonialism.